عنوان المجد
في
بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد

تأليف
إبراهيم فصيح صبغة الله بن أسعد الحيدري البغدادي
ت. ١٢٨٦ هـ

تحقيق
العلامة: كوركيس عواد
الشيخ: ياسين باش أعيان

الدار العربية للموسوعات

عنوان المجد

في

بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد

تأليف

العلامة ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن

الحيدري البغدادي

كتبه سنة 1286هـ

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى
1999

كافة المراسلات تعنون بإسم:

الدار العربية للموسوعات

ص.ب : 13/5348 تلفاكس: 05/459981 - 05/459982

هاتف خليوي: 03/388363 - 03/525066

بيروت ـ لبنان

عنوان المجد

في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد

مقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تاهت العقول في بيداء معرفة كنه ذاته المقدسة ، وعجزت الافهام عن درك حقائق مصنوعاته المؤسسة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، المبعوث رحمة للعالمين بمعجز آياته ، وعلى صحبه الذين عمروا البلاد بالآثار الحسنة ، واقتفوا اثر دلالاته .

اما بعد ، فيقول الفقير المحتاج الى عفو ربه ، السيد ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي، واني قبل هذا سافرت من بلدي مدينة السلام الى دار الخلافة قسطنطينية ، حماها عن كل سيء رب البرية . ومنها الى مصر ، والحجاز ، وعدت اليها ثانية لأستوفي الوقوف على بدائعها بالحقيقة لا بالمجاز ، ثم خرجت منها الى البلاد السورية ، وبعض البلاد الاناضولية ، فاطلعت على تلك البلاد واحوال العباد ، ثم رجعت الى بلدي مدينة السلام ، ذات الثغر البسام ، ومكثت فيها بين اهلي واحبابي غير قليل من الاعوام ، الى ان رمتني الاقدار بسهام النيابة الى البصرة ، المسماة بخزانة العرب وقبة الاسلام ، فلما وردتها ورأيت ما فيها من عجائب الانهار ، وغرائب النخيل الاشجار الممتنعة العدّ والحصر، مع ما فيها من المدّ والجزر في اليوم مرتين ، بحيث تمتلىء الانهار والسواقي وكل عين ، وقد آلت الى الخراب ، فلم يبق منها الا الاسم ، واندرست آثارها ، فلم يبق منها الا الرسم والوسم ، واحببت ان اؤلف كتاباً في بيان انهارها ، ونخيلها ، واشجارها ، وبيان بيوتها القديمة ، من ذوي الثروة العظيمة

مع بيان احوال بغداد ، وان كنت قبل هذا قد الفت في دار الخلافة احسن الكلام في مدينة السلام ، الا اني اردت ان اجمع احوال البلدتين في هذا الكتاب ، واحوال اراضي نجد، وقبائله وما يليه من البلاد ، مع تصدير الكتاب ببعض ما ذكره الحكماء في سياسة الملوك ، فشرعت في ذلك ورتبته على مقدمة وثلاثة مسالك ، وخاتمة ، وسميته «عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد » .

المؤلف

توطئــــــة

اعلم ان من حكم اللّه تعالى وضع وجود السلطان في الارض ، ان اللّه تعالى جبل نوع الانسان على عدم الانصات لما خلق فيه من القوة ، الغضبية والشهوانية، الموجبتين للفساد في العالم ، واختلال نظامه . وبوجود السلطان يدفع الفساد ويضبط النظام ، فمثل العالم بلا سلطان كمثل الحوت في الماء ، الكبير يبتلع الصغير والقوي يهلك الضعيف ، ولما لم يكن للعالم البحري سلطان قاهر لم ينتظم امر معاشهم ، ولم يتهنوا بالحياة ، وهذا معنى قول بعض العلماء المتقدمين : « لو رفع السلطان من الارض ما كان للّه تعالى في اهل الارض من مراد» يعني ان اللّه تعالى قد تعلقت ارادته العليا بتكليف الناس بالأوامر والنواهي التي اوحاها الى نبيه (ص) لتكون باعثه لثواب بعض ، وعقاب بعض ، فلو رفع السلطان من الارض ذهب كل الى ما شاء ، وحصل الرج ، واختل نظام العالم ، فيلزم من ذلك ان لايكون له تعالى مراد في أهل الأرض من التكليف بل يكون خلق الناس كسائر الحيوانات ، وهو محال ، ومن حكم اللّه تعالى في اقامة السلطان في الارض اشارة الى وحدانية اللّه تعالى ، فانه كما لايستقيم الأمر بتعداد السلطان ، بل يختل بالتعدد ، كذلك لا يمكن وجود هذا العالم بدون اله واحد ، منفرد بخلقه ، وايجاده من العدم ، واتقانه على ابدع وجه «لو كان فيهما آلهة الا اللّه لفسدتا» ، وهذا معنى قول علي رضى اللّه عنه وكرم اللّه وجهه امران جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ، ولا يصلح الآخر الا بالمشاركة ، وهما الملك والرأي ، فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأي بالتفرد ، ثم ان السلطان كلما زادت شوكته وصولته وتمت استقامته اعتدل مزاج رعيته ، وتم امره ، وقد مثل بعض الحكماء

للسلطان الكثير الشوكة والصولة والاستقامة مثلاً حسناً ، وهو : ان مثل السلطان كمثال بيت فيه سراج ، وحوله اناس مشتغلون بصنائعهم فبينما هم في شغلهم طفيء السراج فكفوا ايديهم عن الشغل ، وتعطلوا عن صنائعهم ، فتحركت الحيوانات المؤذية لما رأت تلك الظلمة ، كالحيات والعقارب ، ونهض اللص بحيلة للسرقة ، وهاج البرغوث مع حقارته وظهرت امارته الضارة فكذلك السلطان اذا كان ذا شوكة وصولة واستقامة كانت منافع العالم عامة ، فكانت الدماء محقونة ، والاموال مصونة ، والاعراض محفوظة ، والاعداء مخفوضة ، وخفت الاشرار ، وظهرت الاخبار ، واستقام أمره بلا التماس ، وعظم في اعين الناس واذا اختل أمر السلطان وضعفت صولته قلب شوكته ، ولم تكن له استقامة دخل في العالم الفساد ، وفاح فيح اهل القبح والفساد ، وخف في اعين الناس روح يظهر التناقض في امور دولته ، ولو جعل قهر السلطان ، وكذا جوره حولاً كاملاً في كفة الميزان ، وجعل فساد الرعية وجورهم ، وهرجهم ساعة واحدة في الكفة الاخرى مع عدم وجود السلطان ، كان هرج ساعة أعظم وأثقل من وجود السلطان ، سنقول هذا سر قول الفضيل «جور ستين سنة خير من هرج سنة» وقال العلماء من السلف والخلف : ان استقامت لكم أمور السلطان فأكثروا حمد الله تعالى وشكره ، وان جاءكم بما تكرهونه وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم ، وتستحقونه من جرائمكم ، وأقيموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه ، وكثرة ما يزاحمه من ضبط جوانب الملك ، ورفع كيد الاعداء ، وتوارد امور شاقة عليه ، متعذرة الرد الا بالعناء ، ولهذا قال بعض الحكماء : هموم الناس صغار ، وهموم الملك كبار ، ومما نقلناه من المثال عن بعض الحكماء هو تفصيل ما اجمله بعضهم ، بقوله : لا تتوطن الا بلداً فيه سلطان قاهر ، وقاض عادل ، وسوق قائمة . وطبيب عالم ، ونهر جار ، وقال حكماء العرب : مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث ، الذي احيى الله تعالى به الأرض بعد موتها ، فبث فيها آثار رحمته من النبات . والرزق فأن الغيث

قد يتداعى به البنيان ، وتكون فيه الصواعق المهلكة لبعض الناس والدواب ، وتموج به البحار، فتشتد به البلية على من فيها ، فلا يمنع ذلك عن ان ينظر الناس الى آثار رحمة اللّه تعالى في الأرض ، التي احياها وانبت فيها النبات ، والرزق والمنافع التي لا تحصى ، فيعظموا نعمة ربهم ويشكروها ، والا يلتفتوا الى الاذية الخاصة ، فأن العبرة بالعموم و الى هذا المعنى أشار بعض الشعراء بقوله :

لا ترج شيئاً خالصاً نفعه   فالغيث لا يخلو من العبث

وقد ضبط بعض الحكماء ضابطاً فقال كل أمر جسيم من أمور الدنيا يكون ضرره خاصاً ، ونفعه عاماً فهو نعمة عامة ، وكل شيء يكون نفعه خاصاً ، وضرره عاماً فهو بلاء ، ثم ان نسبة السلطان الى الرعية كنسبة الروح الى الجسد ، فإذا صفت الروح من الاكدار مرت الى الجوارح سليمة ، وجرت بوصف سلامتها في جميع اجزاء الجسد ، وان تكدرت الروح وانزعجت ، وفسد مزاجها ، أعوج أمر الجسد ، واختلف أمر الجوارح بأسرها ، وصار تكدرة منحرفة عن اعتدال المزاج، ومرضت الحواس ، وتعطل نظام الجسد ، وآل الى الفساد والهلاك ، لأن كل عضو حاسته تأخذ بقسطه من كدر الروح وصفائها . وقال كعب : مثل السلطان والاسلام والناس مثل الفسطاط في العمود والاطناب ، الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض ، ومع ما نقلناه عن الحكماء من ان السلطان كلما زالت صولته ، وظهر قهره، كان امره في رعيته أتم وانفذ ، فالذي ينبغي على ما ذكره أهل العقول المستقيمة ان يكون السلطان ، مع اظهار قهره ، رؤوفا ، شفيقاً ، حليماً ، صبوراً ، متأنياً غير عجول ، ذا بذل واعطاء ، فأن من لا رأفة ولا شفقة ولا حلم عنده آلت رعيته الى الضعف ، وهو مؤد الى ضعف السلطان ، اذ لا سلطان الا بالملك ، ولا ملك الا بالرعية ، ولا رعية الا بالعدل ، ولا عدل الا بالرأفة وقلة الطمع ، ومن لا يكون متأنياً

في الأمور فقد يزل به قدم العجلة ، اذ قد يظهر للمرء في بادىء نفسه ما هو حسن ، ثم بأدنى تأمل وامعان فكر يظهر قبحه كما قيل .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

ومن ليس له بذل وعطاء فقد تنصرف عن محبته قلوب الرعية ، ويؤول الأمر الى عدم الاستقامة . ومما يؤيد هذا ما نقل من أمر علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهـه ، مع معاوية بن أبي سفيان ، فأن علياً لما كان ضائناً لبيت المال عن الضياع الا بحق انصرفت عنه قلوب قريش وغيرهم ، ومالت الى معاوية لما عنده من بذل المال ، وسعة الحال ، مع علمهم بفضل علي ومقامه الأسنى على معاوية ، ولقد أجاد من قال :

أذا ملك لم يكن ذا هبـة فدعـه فدولتـه ذاهبـة

ولكن ، يجب عليه أن لا يكون مبذراً ، ولا مقتراً ، بل يعطي كل ذي حق حقه، من أهل العلوم ، والوزراء ، والأمراء ، والكتاب ، وسائر العونة ، والغزاة ، والفقراء والمساكين ، لأن من يكون بخيلاً فقد انصرفت عنه قلوب الرعية ، وصار مكروها عند الناس ، وكان في معرض عدم الراحة وعدم استقامة أموره ، وطالت عليه ألسنة الرعية ، فيكون موجباً لعدم نفاذ أمره ، وحكمه على مقتضى ما يجب ويشاء، ومن أحسن التمثيلات ما قاله بعض الحكماء من أن مثال السلطان مثال النار ، ومثال الرعية مثال الخشب ، فما كان معتدلاً منها لم يحتجْ الى النار ، وما كان اعوج احتاج اليها لتعديل عوجه ، فأذا فرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم عوجه ، وان قلت النار لم يستقم الخشب ، بل يبقى معوجاً ، واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب ، فكذلك السلطان في أطواره ، وأحواله أن افرط اهلك

الرعية ، وان فرط لم يستقيموا ، وان اعتدل اعتدلوا ، ومما يليق بكل عاقل كامل ان لا يغفل عن خطر السلطان وبليته العامة ، وعما يتطرقه من الأمور الشاقة في ضبط جوانب الملك ، فيعذره ويشكره على احواله ، فأن السلطان لا يسكن خاطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر لبه ، فالخلق في شغل منه وهو مشغول ، والرجل يخاف عدواً واحداً ، وهو يخاف آلف عدو ، ويضيق الرجل بتدبير أهل بيته ومعيشة نفسه، وهو مكلف بتدبير سياسة جميع اهالي مملكته ، فكلما رتق فتقاً من حواش ملكه انفتق آخر ، وكلما قمع عدواً ارصدت له اعداء ، مع ما يعانيه من اختلاف طبائع الناس ، وله نفس واحدة ثم يسأل غداً عن جميعهم وهم لا يسألون عنه والى هذا المعنى أشار (ص) بقوله الشريف : « ما لكم والأمراء لكم صفوا أمرهم وعليهم» وروي انه لما حج هارون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف ، فقال له يا هارون ، فقال : لبيك يا عم ، فقال : كم ترى ههنا من الخلق ؟ قال لا يحصيهم الا الله تعالى ، فقال عبد الله العمري : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ، فبكى هارون وجلس ، فجعلوا يعطونه منديلاً للدموع ، هذا ولا يخفى على كل ذي لب ان هذا الأمر من اعظم مصائب السلطان ، كان الله تعالى في عونه ، وقال ابو بكر المالكي الطرطوشي في تفسير قوله تعالى : «لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» يعني لولا إن الله تعالى أقام السلطان في الأرض لدفع القوي الضعيف ، وتواثب الخلق بعضهم على بعض ، فلا ينتظم لهم حال ، ولا يستقر لهم قرار، فتفسد الأرض ومنْ عليها ، ثم امتن الله تعالى بإقامة السلطان . فقال ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ، يعني في اقامة السلطان ، فيأمن به الناس فيكون فضله على الظالم كف يده ، وعلى المظلوم امانة بكف يد الظالم عنه ، وروي كثير عن مرة عن النبي (ص) انه قال : السلطان ظل الله في أرضه ، يأوي اليه كل مظلوم من عباده، فإذا عدل كان له الأجر ، وعلى الرعية الشكر ، واذا جار كان عليه الوزر ،

وعلى الرعية الصبر ، وقال بعض العلماء : ليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل أو ملك ، وقوام أمر السلطان ودوامه ، وربط ملكه بقوام العدل والأنصاف، الحاكمة بهما الشريعة المحمدية الجامعة لجميع مصالح العباد ، المطابقة احكامها للعقول المستقيمة ، وأن منهما من امارات الذل والزوال ، كيف وهي وضع إلهي ويظهر شؤم مخالفتهما ، ولو بعد مدة طويلة ، هذا ومما يلزم على السلطان أن يراعي أهل الفقه والعلم باداء حقهم واحترامهم ، فأن في ذلك زينة ملكه ، لأن قيام الشريعة بهم ، كما ورد في الآثار ومما جرت عليه عادة الملوك الماضية ، كيف لا وقد ذكر تعالى الفقهاء ، بقوله: « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » ، ومن لوازم السلطان ، ان لا يغفل عن احوال رعيته بالفحص عنها ، ولا يحتجب وكلاؤه وأمراؤه عن فقرائهم ، بل الاحرى أن لا يحتجب الامام أيضاً ، فإن التحجب غفلة وجهلٌ بأحوال الناس ، قال بعض الحكماء : يضيع أمر الناس أذا كان الأمير محتجباً وكان الرأي عند من لا يقبل النصح والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ويجب على السلطان أن يخشى الله تعالى في جميع أفعاله وأقواله وحركاته ، وأن يصغي للحق وأن كان مراً ، ولا يأمن من آفات الدنيا والاقدار الالهية جارية غير مأمونة . قال بشر بن السري بينما الحجاج جالس في الحجر إذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف فوكل الحجاج بعض من معه فقال : إذا فرغ من طوافه ائتني به ، فلما فرغ أتاه به فقال : منْ أنت قال :

من أهل اليمن قال : أفلك علم بمحمد بن يوسف قال : نعم قال : فأخبرني عنه قال : لقد تركته أبيض بضاً ، سميناً طويلاً ، عريضاً ، قال : ويلك ليس عن هذا أسألك قال : فعما تسأل قال : عن سيرته وطعمته ، قال : فأجور السير وأخبث الطعم ، واعدى العداة على الله تعالى في أحكامه ، قال : فغضب الحجاج

وقال : ويلك أما علمت أنه أخي فقال : بلى وأنت أما علمت ان اللّه تعالى ربي ، واللّه لهو أمنع لي منك اكثر منك لأخيك ، فقال : أجل أرسله يا غلام فسكت ، فأنظر الى وقوف الحجاج وخوفه عند ذكر اللّه تعالى ، مع شدة بأسه وجوره وظلمه الذي بلغ عنان السماء .

ومن الأمور المهمة التي ورد بها الشرع الشريف ، وأتفق عليها العقلاء ، وبها نظام الأمور اللين ، وترك الغلظة ، ومنها المشاورة وعدم استعمال منْ أظهر الحرص في طلب الولاية على الأعمال والولايات ، فأن هذه الخصال من أساس استقامة الملك ، أما اللين وترك الغلظة فلقوله تعالى لنبينا الأعظم محمد (ص) « فبما رحمةٍ من اللّه لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك » ، وقوله تعالى : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » . وروي أن النبي (ص) كان جالساً مع أصحابه ، فجاء رجل فقال : أيكم ابن عبد المطلب ، فقالوا : هذا الأبيض المتكىء ، فقال الرجل : يا ابن عبد المطلب ، فقال النبي (ص) قد اجبتك ، فأنظر الى تواضعه (ص) ، وجلوسه مع أصحابه كأحدهم بحيث لايمتاز بشيء عنهم ، ولم يعرفه الرجل بهيئة مخصوصة ، وبالجملة أنه قد يبلغ بالتواضع واللين ما لا يبلغ بالكبر والغلظة ، الا ترى أن الرياح بهبوبها لا عن شدة تنعطف بها أغصان الأشجار . واذا اشتدت انكسرت الأغصان بل ربما قلعت أصولها . ومما ذكرناه من الأمر باللين وترك الفظاظة والغلظة لا ينافيه ما ذكر في بعض التواريخ ، من ان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لما سمع بأمر معاوية من استعمال شوكة الملوك توجه الى الشام ، ولما رأى معاوية بهيئة الملوك قال له : ما هذا يا معاوية ، فقال يا امير المؤمنين : هذه الروم ، يعني أن قرب الروم من بلاد الشام ، يقتضي تعاطي هذه الحلة لاظهار شوكة الاسلام وصولتهم ، فهو لغرض ديني لا شهواني ، فاقره عمر رضي اللّه عنه على ذلك لما رأى أن مصلحة الدين فيه . ووجه ، عدم المنافاة أن اللين وترك الغلظة طور وراء طور الوقار والشوكة لمعلمة الدين . وأين هذا من

ذلك بل اللائق بحال امام المسلمين في زماننا هذا ، أن يكون في غاية الشوكة والمهابة والصولة لما ترى من تبدل الزمان والاحوال ، وكثرة الاعداء وشوكتهم وصولتهم ، فلكل مقال ولكل زمان حال واما المشاورة وعدم الاستقلال في الرأي فلقوله تعالى خطاباً لأفضل خلقه ، وأعلمهم وأعقلهم وأكملهم خلقاً وخلقاً ، نبينا محمد (ص) : «وشاورهم في الأمر» فانظر الى هذه الاشارة اللطيفة ، فأن نبينا (ص) مع كونه أكمل العالمين عقلاً وفضائل حتى قال بعض العارفين : لو وزن عقله (ص) بعقول العالمين أجمعين لرجح عقله على الجميع » ، أمره بمشاورة أصحابه لما في المشاورة من حسن الأدب مع الجليس ومساهمته في الأمور ، لأن نفوس الجلساء تميل الى ذلك فأدب الله تعالى نبيه به ليكون مأدبة لسائر الملوك والأمراء والجلساء ، والاستبداد بالرأي من أقبح ما يوصف به الرجل ، ملكاً كان أو غيره ، ومن ألطف ما قيل في المشاورة قول بعض الأدباء وقد أجاد :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر — فالأمر لا يخفى على رأيين

فالمرء مرآة تريه وجهـــــــــه — ويرى قفــاه بجمع مرآتيـن

وأما عدم استعمال من طلب الولاية فما رواه البخاري ومسلم ، أن رجلاً قــال : يا رسول الله استعملني ، فقال النبي (ص) إنا لا نستعمل على عملنا من أراده ، والسر إن الولاية أمانة وتصرف في ارواح الخلائق واموالهم ، والاسراع الى الامانة دليل على الخيانة ، وهي تستدعي فساد قلوب الرعية على الملك ، لأنه اذا بطلت حقوقهم ، وأتلفت أموالهم فسدت نياتهم ، وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء عليه، والله سبحانه وتعالى عند القلوب المنكسرة ، فيؤول الامراء الى الاختلال والزوال ، وبالجملة ، أن هذا أو أن تعسر في زماننا لقلة أهل العفة والاستغناء ، الا من ظهرت عليه إمارة الخيانة ، والارتكاب والجسارة من العمال يجب عدم استعماله ،

بل يجب على السلطان ان يتحرى في تجربة الرجل ، ليكون أقرب الى امتثال الحديث ، وأن قل الأمناء لفساد الزمان ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، واللائق بحال السلطان أن يكون واعياً متفحصاً عن أحوال رجاله ورعيته ، ليضع كل شيء في محله ، ويكون مشغولاً بتمرين نفسه وتطبيعها امهات الفضائل وهي : الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة فالحكمة فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب فيها ، وبها يتم نظام جميع الأمور ، ولذا قيل بالعدل قامت السموات والأرض ، فقوة العدالة حالة للقوى الثلاث في انتظامها على التناسب تحت الترتيب الواجب فليست قوة العدالة جزءاً من الفضائل ، بل هي عبارة عن الحالة العارضة لجملة الفضائل ، فأنه مهما كان بين السلطان وجنوده وأعوانه ورعيته ترتيب حسن يكون السلطان بصيراً ، وتكون الجنود والأعوان والرعية ذات انقياد وطاعة .

يُقال إن للسلطان عدلاً ، ولا يتم العدل بكون بعضهم بهذه الصفات دون الكل ، وكذلك العدل في مملكة البدن ، فالعدل في أخلاق النفس يتبعه العدل في المعاملة والسياسة ، والعدل في المعاملة وسط بين رذيلتي الغبن والتغابن ، وهو أن يأخذ ماله أخذه ويعطي ماله عطاؤه والغبن ما ليس له والتغابن أن يعطي في المعاملة ما ليس عليه حمد ولا أجر ، والعدل في السياسة أن يترتب أجزاء المدينة وفق الترتيب المشاكل لترتيب أجزاء النفس حتى تكون المدينة في أتلافها وتناسب أجزائها ، وأركانها على طبق الغرض المطلوب من الاجتماع ، وهو التعاون الذي به يحصل نظام العالم ، بحيث يكون كالشخص الواحد ، وينقسم السكان الى مخدوم ولا يخدم كالملك ، والى خادم ليس له مخدوم كالعبد ، والى من يكون مخدوماً من وجه وخادماً من وجه آخر كأعوان الملك ، والمرء مع أهل بيته مثلاً كما في قوى النفس ، فأن بعضها مخدوم لا يخدم كالعقل المستفاد ، وبعضها خادم ليس

بمخدوم كالقوة الدافعة للعضلات ، وبعضها خادم من وجه ومخدوم من وجه آخر كالمشاعر الباطنة ، وبمثل هذا الترتيب قامت السموات والأرض حتى صار العالم كله كالشخص الواحد ، متعاون القوى والاجزاء على الترتيب الحسن بتقديم ما حقه التقدم وتأخير ما حقه التأخر ، فليس في الامكان أبدع مما كان ، والانسان بين ان يحصل الفضائل ويكمل فيلتحق بالمجردات ويقرب من الله تعالى ، وبين أن يبقى برذائل الشهوة والغضب والجهل فيلتحق بالبهائم ويهلك في الدارين ، على ما تقرر في علم الاخلاق وبالملة أن العدل اعظم الأركان التي بها قوام السلطنة والملك ودوام الدولة ، فأن العدل ميزان الله تعالى أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون .

وقد شبهوا الملك بالرجل فأعتبر السلطان رأسه ، والوزير قلبه ، والأعوان يديه ، والرعية رجليه ، والعدل وجهه ، وهو موجب لاجتماع الرعية على محبته ، المفضي الى استقامة أمره ونظام ملكه ، واذا عدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد منه ، وعز الملوك بالعدل ، كما أن شرفها بالعفو ، وعدة السلطان ثلاثة أمور : مشاورة النصحاء وثبات الأعوان ، وترويج سوق العدل ، ثم العدل ينقسم الى قسمين : قسم إلهي جاءت به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الله تعالى وهو الشرائع ، وقسم يشبه العدل وهو السياسة الاصلاحية ، ويستحيل أن يدوم بقاء السلطان او تستقل رعيته في حال إيمان أو كفر ، بلا عدل قائم ولا ترتيب للأمور ثابت ، وتوافقت حكماء العرب وغيرهم على هذه الكلمات فقالوا : الملك بناء والجند أساسه فإذا قوي الأساس دام البناء ، واذا ضعف الأساس انهار البناء ، فلا سلطان الا بجند ، ولا جند إلا بمال ، ولا مال الا بالعمارة ، ولا عمارة الا بالعدل ، فصار العدل أساساً لسائر الأساسات ، والعدل النبوي هو العدل الإلهي عبارة عن الاحكام الشرعية المحفوظة بالعلماء الوارثين لعلوم الأنبياء، الذين خصهم الله بكرامة الرفعة ، بقوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا بالعلم درجات » فلا مندوحة لأحد عن امتثال أمرهم ، لأنهم الموصلون الى النبي (ص) الموصل الى الله تعالى ، وكما ان السلطان الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة وكلائه ووزرائه الحاذقين كذلك لا يتم عدله الا باستفتائه العلماء الصادقين.

روي أنه استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يجد عنده حاجباً ولا بواباً ، فقيل له في المسجد فأتى المسجد ، فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه ، فقال له الهرمزان : عدلت فأمنت فنمت. وقالت الحكماء : من حرم العدل فلا خير له ولا للناس في سلطانه ، وقال يحيى بن اكثم القاضي : ماشيت المأمون في بستان والشمس عن يساري والمأمون في الظل ، فلما رجعنا وقعت الشمس أيضاً علي ، فقال المأمون : تحول مكاني وأتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت واقيك الشمس كما وقيتني ، فأن أول العدل أن يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم ، حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى ، فعزم علي فتحولت ، وقال بعض الحكماء : رم ما شئت بالانصاف ، وأنا زعيم لك بالظفر به ، ومن الأمور المهمة التي تجب رعايتها على السلطان وأعوانه تقوى الله تعالى ، والخوف منه سراً وعلناً ، واذا كان مبتلياً بالمعاصي فعليه أن يتستر ولا يتجاهر بالمعاصي ، ولا يهتك محارم الله تعالى ، فأن ذلك يكون موجباً لاستخفاف الرعية به ، مع كون الفسق موجباً لزوال النعمة ، وعما قريب تكون اللذة عذاباً ، والعفة عتاباً ، فكم ملك أزالت ملكه الشهوات وهدمت قواعد دولته قلة المبالاة بالطاعات .

قال ابو جعفر المنصور : ما زال أمر بني أمية مستقيما حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين ، فكانت همتهم مصروفة في قصد الشهوات وايثار اللذات ، ومن الامور المهمة عدم تقليد الاعمال المهمة غير أربابها .

سئل بعض الكاملين ، ما بال ملك آل ساسان صار الى ما صار بعدما كان

فيه من القوة وشدة الاركان ؟ فأجاب بأنهم قلدوا كبار الأعمال صغار العمال ، ولهذا أطبق الحكماء على ان موت الف من الرجال الكاملين أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة ، وفي الأمثال زوال الدول باصطناع السفل . وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أظلم الناس لنفسه اللئيم ، الذي اذا ارتفع جفا أقاربه ، وانكر معارفه ، واستخف بالاشراف ، وتكبر على ذوي الفضل ، وقالت الحكماء : أسرع الخصال في هدم قواعد السلطنة أعظمها في افسادها ، وفي تفريغ الجمع عنه رفع السفلة واظهار المحاباة لقوم دون قوم ، والميل الى قبيلة دون قبيلة، وقيل لبعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذي اذهب ملكك ؟ فقال : رفعي للسفلة وثقتي بدولتي ، واستبدادي ومعرفتي واغفالي الى استشاراتي ، واعجابي بشدتي وأضاعة الحيلة والتدبير في وقت حاجتي ، والتأني عند عجلتي ، ومن الامور المهمة اتصال الاخبار ، فقد سُئل بعض العارفين ما الذي أذهب ملك بني مروان ؟ ، فقال : تحاسد الأكفاء وانقطاع الأخبار .

روي ان يزيد بن عمر كان يحب ان يضع نصر بن سيار ، وكان لا يرفع الى الخليفة ما يرد عليه من نصر من أخبار خراسان ، فلما رأى نصر بن سيار ذلك أنشد يقول :

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار من عودين تذكى ... وأن الحرب أولها كلام

فقلت تجاهلاً يا ليت شعري ... أ إيقاظ أمية أم نيام

ومن الأمور التي لا يدوم معها الملك العجب ، قال الحكماء : ومن العجب العجاب دوام الملك مع الكبر والاعجاب .

روى عن النبي (ص) أنه قال للعباس رضي الله عنه : أنهاك عن الشرك بالله تعالى ، والكبر ، فأن الله تعالى يحتجب منهما ، وقال الأحنف بن قيس : ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه ، ولم تزل الحكماء تتحامى عن الكبر وتأنف منه ، ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب ، فقال : وددت أني مثلك في ظنك ، وأن اعدائي مثلك في الحقيقة وقال لبعض الحكماء : وقد يدوم الملك مع معظم النقائص ، فرب جاهل ساد قومه ، ورب احمق رأس عشيرته ، فمنهم الاقرع بن حابس ، الذي قال فيه النبي : ذلك الاحمق المطاع ، ولا يدوم مع الكبر والاعجاب وقد حرم الله الجنة على المتكبرين ، فقال تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً » . فقرن الكبر بالفساد ، وقال : أن الكبر يوجب المقت والمقت البغض ، ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ، ومن أبغضته بطانته كان كمن غص بالماء ، ومن كرهته الحماة تطاولت عليه الاعداء والاعجاب يكون سبباً لحمل صاحبه على الاستبداد وترك مشاورة الرجال ، ومن الامور التي لاتدوم مع الملك الكذب .

قال الحكماء العرب : وغيرهم ست خصال لا تغتفر من السلطان : الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن . اما الكذب فلأنه اذا كان كذاباً ، لم يوثق بوعده ووعيده ، فلم يرج خيره ولم يخف احد من بأسه ، ولا بهاء لسطان لا يرجى خيره ولا يرهب بأسه ، واما الخلف فما ذكره الحكماء من ان خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك ، وأما الحسد ، فأنه اذا كان حسوداً لم يشرف احد به ، واذا ضاعت الأشراف هلكت الاتباع ، ولا يصلح الناس الا باشرافهم ، قال بعض الشعراء :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة أذا جهالهم سادوا

وأما الحدة ، فلأنها تكون موجبة لانفضاض الرعية عنه . وأما البخل ، فلأنه اذا كان بخيلاً لم يناصحه احد ، ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة ، واما الجبن ، فلإنه اذا كان جباناً اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره ، ومن الامور الموجبة لفساد أمر الرعية وهدم قواعد السلطنة الاحتجاب ، قال بعض الحكماء : اذا احتجب السلطان فكأنه مات ، وقال بعضهم : لا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يتصرفون في ارواح الخلائق واموالهم ، على ما يشاؤون ، لأمنهم من وصول المظلوم الى السلطان .

قال بعض الحكماء : من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة ، واعظم أسباب الخراب ان يكل السلطان أمر رعيته الى اعوانه ، ولا يتفحص عن احوالهم، واذا علم خيانتهم لا يصغي الى شكوى المظلومين ، ولا يفتش عن حقيقة تلك الشكوى وكذلك الوزراء بالنسبة الى سائر العمال ، الا أن السلطان اذا جرب صدق احد وكلائه وسداد رأيه وسعيه في مهام الملك ، فعليه ان يثق به ويعتمد عليه ، وينفذ احكامه ولا يصغي الى كلام الواشي عليه ولا يستعجل في عزله .

روي انه قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال كان عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً عن الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الثياب متحرياً للصواب ، رفيقاً للضعيف غير محاب للقوي ولا جاف للقريب . ومن الكلمات الجامعة ما قاله بعض الحكماء : المنفعة توجب المحبة ، والمضرة توجب البغضة والمضادة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة ، والصدق يوجب الثقة ، والامانة توجب الطمأنينة ، والعدل يوجب اجتماع القلوب ، والجور يوجب الفرقة ، وحسن الخلق يوجب المودة ، وسوء الخلق يوجب المباعدة ، والانبساط يوجب المؤانسة ، والانقباض يوجب الوحشة ، والكبر يوجب المقت ، والتواضع يوجب الرفع ، والجود يوجب الحمد ،

والبخل يوجب الذم ، والتواني يوجب التضييع ، والجد يوجب رجاء الاعمال ، والهويناء توجب السلامة ، واصابة التدبير توجب بقاء النعمة ، وبالتأني تسهل المطالبة ، وبلين كتف المعاشرة تدوم المودة ، وبخفض الجانب تأنس النفوس ، وبسعة خلق المرء يطيب عيشه ، والاستهانة توجب التباعد ، وكثرة الصمت توجب الهيبة ، وبعدل المنطق تجلب الجلالة ، وبالنصفة تكثر المواصلة ، وبالافضال يعظم القدر ، وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال ، وباحتمال المؤن يجب السؤدد ، وبالحلم عن السفية تكثر انصارك عليه ، وبالرفق والتؤدة تستحق اسم الكرام ، وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل .

واتفق حكماء العرب وغيرهم على اربع كلمات : الاولى : لا تحمل نفسك شيئاً ما لا تطيق ، الثانية : لا تعمل عملاً لا ينفعك ، الثالثة : لا تغتر بالمؤنة ، الرابعة : لا تثق بمال وان كثر ، ومن اعظم الامور التي بها عز السلطان الطاعة .

روي انه قال ملك فارس لموبذان : أي شيء واحد يعتز به السلطان ؟ قال : الطاعة ، قال : فما ملاك الطاعة ؟ قال : التودد الى الخاصة والعدل على العامة .

وروى القهري انه لما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حمير ، فقال له ياسعد : ما صلاح الملك ؟ قال : معدلة سابغة وهيبة وازعة ورعية طايعة فإن في المعدلة حياة الأنام ، وفي الهيبة نفي الظلام ، وفي طاعة الرعية التآلف والالتئام . ويجب طاعة الامام على الرعية ، وطاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله (ص) فأن طاعة الامام عصمة كل فتنة ، ونجاة كل شبهة ، وحرز لمن دخل فيها والتجأ اليها من كل مفسدة ، وليس للرعية ان تعترض على الامام في تدبيره من امور السياسة لحفظ قواعد الاسلام ، بل عليها الانقياد والطاعة ، وعلى الامام الاجتهاد بالمعدلة فالامامة عصمة للعباد وحياة البلاد ، اوجب الله تعالى الطاعة لمن خصه بفضل الامامة وحمله عبئها ، فقرن طاعته بطاعته وطاعة رسوله (ص) فقال تعالى: « يا

ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فمن خرج عن طاعة الامام فقد انقطت عصمته ، وبرىء من الذمة ، لأن طاعته حبل الله المتين ودينه القويم ، فيجب على كل مسلم الاخلاص والنصيحة الصادقة مع الامام، فأنه ما مشى قوم على سلطان ليذلوه الا اذلهم الله تعالى قبل أن يموتوا ، وعلى السلطان الاستصلاح لهم ، والتعهد لأمورهم بحسن السيرة والعدل والتعديل بينهم بالرفق والرأفة والشفقة ، كما ان حق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة والصدق وعدم الخيانة .

قال سليمان بن داود عليهما السلام : الرحمة والعدل يحرزان الملك .

روى بعض المؤرخين انه لما غزا سابور ذو الأكتاف ملك الروم ، وأخرب بلاده وقتل جنوده وأفنى بطارقته ، قال له : انك قتلت جنودي واخربت بلادي فاخبرني بالأمر الذي تسببت به حتى قويت على ما أرى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فان كان مما تضبط به الامور اديت لك الخراج وصرت كبعض الرعية في الطاعة لك ، قال له سابور اني لم ازد في السياسة على ثمان خصال لم اهزل في امر ونهي ولم اخلف في وعد واثبت على العنا لا على الهوى وضربت للأدب لا للغضب واودعت قلوب الرعية المحبة من غير جزاء والهيبة من غير ضغينة وعممت بالقوة ومنعت بالفضول فأذعن له وأدى اليه الخراج .

روي انه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمغيرة لما ولاه الكوفة : يا مغيرة ليأمنك الابرار ، ويخافك الفجار ، وقال حكماء الهند : أفضل السلطان من أمنه البريء ، وخافه المجرم ، وشر السلطان من خافه البريء وامنه المجرم وقالوا : سلطان تخافه الرعية خير الرعية من سلطان يخافها وقالوا : شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء ، والقوة على الضعفاء ، والبخل عند الاعطاء وقالوا : الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الاخيار والاشرار، وبصلاح السلطان يكون

صلاح الدنيا ، قال معاوية بن ابي سفيان لابن الكري: صف لي الزمان ، فقال : انت الزمان ان تصلح يصلح ، وان تفسد وفي المثل السائر الناس على دين ملوكهم وكذا قيل الدين والسلطان توأمان .

روي انه قال اردشير لابنه : يا بني ان الملك والدين اخوان لاغناء لاحدهما عن الاخر فالدين اساس والملك حارس وما لم يكن له اساس فمهدوم ، وما لم يكن به حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع اهل المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، ومشورتك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك وليكن من أهل العقل ، ومن الامور المهمة استثناء البلاد القريبة من الثغور لبعض الرعايات ، ولاسيما اذا كانت كثيرة القبائل والعشائر ، اكثر اهاليها سكان البادية متفرقة الاحوال والاخلاق بعيدة المزاج عن التمدن ، بحيث يتعذر ويشق ضبطها الا بعد ممارستها وتمرينها بزمان طويل ، ويصعب اجراء السياسة بينهم الا برفق ومماشاة ، كسواد العراق وذلك بأخذ الأمور معهم بلطف ، فات في ذلك من المنافع والمصالح الغائبة ما لا يخفى على من نظر من بعيد الى بعيد ، فان الهجوم على المصالح الشاقة دفعة لا ينتج الا عناء ، وتكون مقاصده ناقصة ومطالبه غير سديدة ، فان التأني في الامور يوجب الظفر ، ومعاملة الناس على مقتضى عقولهم من سمات الحكمة ، كما ورد ، كلم الناس على قدر عقولهم ، فإذا تطبعت النفوس سهلت الامور وحسنت عاقبة الامور ، فالحكيم منْ نطق بالحكمة ، وباشر الامور بالتدرج والاستثناء ، ان امتنع وخالف امور السياسة المعتبرة لدى سلطان العصر ، واسلتزم وخرق القواعد والقوانين الكلية ، فلابد ان يعتبر بعض لوازمه ، فأن الاستثناء ولو مؤقتاً في مثل هذه المواضيع يوجب الظفر في المطالب المهمة .

ومن اعظم الامور المهمة التعمير بحفر الانهار المندرسة ، والحرث بمساعدة الفلاحين ، والتخفيف فيما يرتب عليهم ، وحث العامة على تعليم الصنائع

والمعــارف ، بحيث لا يحتاجون الى صنائع الدول الاجنبية ، وبناء المدارس والمكاتب وتعليم الاولاد العلوم الدينية وغيرها ، كعلم النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع واللغة والعروض والأنساب والمنطق والحكمة والهيئة والطب والهندسة والحساب ، وتعلم سائر الألسن وغيرها من الآلآت ، التي تزيد العالم قوة ومعرفة بأحكام الدين والسياسة . فإن العالم بالفقه اذا خلا من معرفة هذه العلوم لم يوثق بفقاهته لقصوره عن درك العبارات الدقيقة ، من كتب الفقه ، بل يستحيل ان يدرك معاني القرآن والحديث والمأمور بادارة محل اذا كان جاهلاً مطلقاً او عارياً عن اكثر هذه العلوم كانت سياسته ناقصة ، وان كان ذا فهم وفطنة ، ويجب تعلم علم الفقه والحديث والتفسير والسير وكذا التاريخ ، واللايق بالسلطان توسيع الدائرة بترويج المذاهب الاربعة بين القبائل والعشائر ، تسهيلاً على العباد لان اختلاف الائمة رحمة في حق الناس ، على ان ذلك اقوى اسباب العمارة ، لان ترويج المذاهب الاربعة سبب لحفظ عقائد العامة عن الرفض ، وسائر الاعتقادات المخالفة لأهل السنة والجماعة ، واذا كانت الرعية على مذهب أهل السنة كان السلطان اميناً من خيانة رعيته ، وميلهم الى المبتدعة ، الا ترى ؟ ان الامراء والوزراء لما غفلوا عن عشائر العراق ، ولم ينصبوا بينهم العلماء ، كيف ارتد اكثرهم عن مذهب اهل السنة ، وصار ميلهم الى الرفض اكثر ، وان كانوا من العرب ، حتى انهم اذا ضاقت بهم المسالك ، ولّوا وجوههم الى نحو العجم ، وما ذلك الا لاتحاد المذاهب ، وبالجملة ، ان الغفلة عن ترويج العلوم الدينية ، وعن تثبيت كل عشيرة وقبيلة على احد المذاهب الاربعة ، بارسال العلماء اليهم وتعليمهم امور الدين على قواعد اهل السنة وعدم الاعتناء بذلك خطر عظيم ، بحسب المال وترويج المذاهب الاربعة بين القبائل والبلدان ، مع كونه مستلزماً لمصالح مهمة دينية ودنيوية ، لا يمنع من اعتبار السياسة العرفية والقوانين النظامية ، الا ترى ؟ ان ملوك الاسلام الماضين كيف اعتبروا الامور الدينية ، وروجوا العلم والعلماء لمصالحهم المهمة ،

ومع ذلك كانت لهم قوانين عرفية في ضبط امور السياسة بين العباد ، ومن اسباب العمارة ترويج التجارة بتسهيل الطرق لخروج الاموال وبحفظ اموالهم ورعايتهم .

ومن اسباب العمارة جلب القبائل والعشائر التي في البادية الى المدن ، وترغيبهم الى الحرث ، وتعلم الصناعة ، والمعارف ، كما اسكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سبعين الفاً من اشراف العرب في البصرة ، وسببت خزانة العرب رقية الاسلام ، والبصرة اليوم بلاقع وذلك انما يكون بقوة دافعة او بعطاء ولطف ، ومماشاة طويلة ، وعلى السلطان ووكلائه ووزرائه تسوية الاحكام بين الخواص والعوام ، وبين المسلم وسائر اهل الكتاب في اجراء الاحكام واظهار الحقوق ، كما هو مقتضى شريعتنا المحمدية . واعلام العوام ، بأنه ليس لاحد عليهم سبيل ، وانه لا فرق بينهم وبين اشراف الناس في الحكم ، بمقتضى الامر الالهي ، وانه لا حاكم عليهم سوى السلطان ووكلائه وامرائه ونوابه نيابة عن السلطان ، فأن ذلك من اعظم اسباب العمارة ، نعم ، ان لخواص الناس رعاية باكرامهم واحترامهم وتنزيلهم منازلهم ، لا تبصر فيهم في ارواح العامة واموالهم فهذا يتعلق بالسلطان، واما الامور المتعلقة بالرعايا والمتبعة ، فأما الوكلاء والوزراء فيجب عليهم الصدق والعدل والعفة والنصح والخدمة النافعة ، وعدم الطمع فأن ذلك يكون سبباً للفوز في الدارين ، على ان عدل ساعة خير من عبادة الف شهر ، والعدل اقوى اسباب نظام العالم والجور اسرع الى الخراب ، واختلال النظام كما سبق ، ويجب عليهم التسوية بين الغني والفقير ، والشريف والوضيع ، في اجراء الاحكام ، فأن المحاباة والميل الى بعض دون بعض دليل خيانة في الدين والدولة ، ويجب عليهم التفحص عن أهل الفضل والمعرفة والعفة والصدق ليقلدوهم اهم الامور ، وان ابوا عنها فأن اقبح المظالم تقليد القضاء والامارة والعمالة ارباب الخيانة والكذب والارتكاب والجهل والتكبر والجور ، فقد روي عن النبي (ص) انه قال : من قلد إنساناً وفي رعيته أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين ، وروي عن

انس رضي الله عنه عن النبي (ص) انه قال : لا ايمان لمن امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، فان وجد اثنان احدهما اروع والاخر افقه فالاروع اولى لانه يمكنه ان يقضي بعلم غيره على ما ذكر في المضرات وبالجملة ، ان التحري على الوكلاء والوزراء في الحكم بين الرعية ، وفي تقليد الامور واجب ، وعليهم ان يتجسسوا عن احوال الخواص والعوام بأنفسهم خفية ، وبأعوانهم المفتشين الصادقين الخالين عن الاغراض من ذوي العفة ، الذين لا يفترون على الناس .. فأن وزر العباد على الوزراء لا على السلطان ، لانه وكل الامور اليهم ، وهو نفس واحد لا يمكن ان يحيط نفسه باحوال العباد والبلاد ، نعم ، على السلطان ان لا يكل الامر إلاّ الى الوزراء الصادقين ، من ذوي العفة والعدل والمروّة والرحمة ، حسب التجربة ، ومن ظهر منه نوع ارتكاب وجور وعدم انصاف فعليه ان لا يقلده امراً من الأمور ، فأن فعل فهو مسؤول يوم القيامة ، واما القضاة والنواب وارباب الفتوى فوجب عليهم الحكم بالعدل ، وعدم الارتشاء والعفة والورع والديانة والاحتياط ، والحكم بالقول الراجح المفتي به دون المرجوح واجراء ادب القضاء بين الداعي والمدعي عليه ، والتسوية بينهما ، وان كان احدهما شريفاً والآخر وضيعاً ، وكان احدهما مسلماً والآخر نصرانياً او يهودياً او مجوسياً ، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ص) انه قال : منْ ولي عشرة ، فحكم بينهم بما احبوا وكرهوا ، جيء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه ، فان حكم بما انزل الله ولم يرتش في حكمه ولم يخف فك الله غله ، وان حكم بغير ما انزل الله وارتشى في حكمه وخاف فيه شدت يساره الى يمينه ، ثم رمى به في جهنم .

وروي عن بريدة عن ابيه عن النبي (ص) انه قال : القضاء ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة ، رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار ، ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار، هذا والقضاء من المناصب العالية ، وهي من اعظم

المصائب على اهل الورع والديانة ، لأنه مزلة الاقدام ، ولذا اجتنب عنه الامام ابو حنيفة رضي الله عنه وصبر على الحبس والسجن حتى مات فيه ، وقيل انه ضرب ولم يقبل القضاء ، وقال : البحر عميق كيف اعبره بالسباحة ، وقال ابو قلابة : ما وجدت القاضي الا كسابح بحر ، وقد دعي ابو قلابة الى القضاء فهرب الى الشام ، فوافق موت قاضيها ، فهرب الى اليمامة ، واجتنب عنه كثير من السلف ، واما سائر العلماء والمدرسين فأكثرهم قد اعتمد على الرتب والجاه ، وصرف النظر عن كسب العلوم ، وكثير منهم في سائر البلاد ، قد تقلد التدريس مع عدم الاستعداد التام ، ولذا قل العلماء الفحول من ذوي التحرير والتقرير في البلاد فيجب على الولاة ان لا يقلدوا احداً مدرسة الا اذا كان عالماً بجميع العلوم ، وله قوة التقرير فيها مع التحرير ليروج سوق العلم ، وانت ترى انه اذا مات عالم في زماننا وترك ولداً جاهلاً نصبوه في محل ابيه ، ولم ينظروا الى حرمة العلم ورعايته بنصب اهله ، بل يلتفتون الى كونه ولد العالم المتوفى ، والعلم لا يكون موروثاً ، بل انما يكون بالجد والتحصيل ولو نظرنا الى جهة كونه ولد العالم المتوفى لآل الامر الى زوال العلم ، والعلم لم يبق الى الآن الا برعاية اهل العلم ، ولو روعيت جهة لما وصل الينا شيء من العلم ، نعم ، أولاد العلماء لهم حق الرعاية على الولاة يحثهم على تعلم العلوم والمعارف ، والنسب لا يجدي نفعاً كما قال بعض الكاملين من اهل النسب :

لسنا وان كنا ذوي نـــــسب … يوماً على الأنساب نتكـــل
نبغي كما كانت أوائلنـــــا … تبغي ونفعل مثل ما فعـــلوا

وقال بعضهم :

كن ابن منْ شئت واكتسب أدباً … يغنيك محموده عن النســب
ان الفتى من يقول ها أنـــذا … ليس الفتى من يقول كان أبي

واكثر أهل الانساب في هذا العصر قد اتكلوا على انسابهم وتقاعدوا عن طلب العلم والمعارف ، فصاروا كآحاد الناس ، ولم يتفطنوا أن شرف المرء بالفضل والكمال والمعرفة ، لا بالعظام البالية ، واللائق بالعاقل ان يحصل الكمالات ، ويخرج نفسه من دناءة الجهل ، فأن العلم يرفع والخط ينفع والجهل يضع ،، واما التجار فحرفتهم التي هي التجارة من الحرف المستحسنة ، فقد روى بعض اهل العلم : ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان يكتسب بالتجارة ، والاكتساب من الحلال من الطاعات ، ولذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام يكتسبون ، فروي ، ان آدم عليه السلام كان يزرع الحنطة ، وكان نوح عليه السلام نجاراً ، وكان داود عليه السلام يصنع الدرع ، وكان سلمان عليه السلام يصنع المكتل ، وعيسى عليه السلام يأكل من غزل امه ، ونبينا محمد (ص) من الغنائم وقد تاجر (ص) قبل النبوة فعلم ان طريق الاكتساب من طرق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولذا قال الفقهاء : الكسب فرض بقدر الكفاية لنفسه وعياله وقضاء ديونه ، والكاسب حبيب الله تعالى على ما قيل في المثل المشهور ، ثم ان طرق الاكتساب على ما ذكره بعض الفقهاء النجارة ثم الصناعة ، والصناعة انواع كثيرة ويجب على النجار تعلم مسائل المعاملات الشرعية .

روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالجرة ، ويقول لا يبيع في سوقنا من لم يتفقه في الدين ، فينبغي لهم ان يتعلموا علم الحساب والدفتر وقواعد التجارة ، والنجارة والصناعة فرض كفاية لأنها لو تركت لبطل المعاش وهلكت الناس واختل نظام العالم ، فشرع الحكيم المطلق تعالى المبادلة على وجه لا يخل بنظام الكونين ، ويجب على المكتسب ان يراعي في معاملته العدل ويجتنب الغش واخفاء العيب .

حكي عن يونس بن كفديد انه كان عنده حلل مختلفة الاثمان ، فذهب الى الصلاة وترك ابن اخيه في المكان ، فجاء اعرابي وطلب حلة بأربعمائة ، فعرض عليه حلة من الحلل التي تقوم بمائتين ، فاستحسنها واشتراها بأربعمائة ، وذهب فاستقبله يونس ورأى حلته في يده وعرفها ، فقال : بكم اشتريتها ؟ فقال : بأربعمائة فقال : لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها ، فقال : هذه لا تساوي في بلدنا خمسمائة وانا راضي بها ولا اردها ، فقال له يونس : انك وان نصبتها فأن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ، فرده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، ثم توجه الى ابن اخيه وقال له : أما خشيت الله تعالى حتى ربحت مثل الثمن وتركت النصح للمسلمين ! فقال له ابن اخيه : والله ما أخذها الا وقد رضي بها ، فقال له : هلا رضيت له ما رضيت لنفسك ، وذكر في «شرح المشكاة» أن ابا حنيفة رضي الله عنه تصدق بجميع ما أتى به وكيله اليه ، لما خلط ثمن ثوب معيب بيع مخفياً ، قيل وكان المال ثلاثين الفاً ويجب على المكتسب ان لا يثني على السلعة ، ولا يحلف عليها ، ويجب عليه ايضاً ان يصدق في سعر الوقت ، ولا يلبس ولا يخون في المقدار ولا يطفف ، والمتحكر ملعون .

قال ابو يوسف : كلما يضر بالناس حبسه ماكولا أو غيره ، وان كان ذهباً وفضة فأنه يأثم بالحبس ، وان قلت مدته ومن حبس غلة ارضه لا يكون محتكراً ، لكن لو امتنع عن البيع عند شدة احتياج المسلمين اليها يكون مسيئاً ، ومن جلب من بلد آخر فقد اختلفوا فيه ، والاحتياط ان يبيع بسعر وقته .

وروي عن النبي (ص) انه قال : منْ جلب طعاماً فباعه بسعر وقته يومه فكأنما تصدق به ، وعنه (ص) : ما من جالب يجلب طعاماً من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهداء ، ثم قرأ : « وآخرون

يضربون في الارض يبتغون من فضل اللّه ، وآخرون يقاتلون في سبيل اللّه » فانه تعالى سوى في هذه الآية بين درجة المجاهدين في سبيل اللّه ، والمكتسبين المال الحلال ، فدلت الآية على ان التجارة بمنزلة الجهاد ، واما ارباب الحرف من الصناعة والفلاحة يجب عليهم ايضاً الصدق ، وعدم الغش والسعي التام ، وبالجملة ، ان عالم الدنيا هو عالم الاسباب ، ونظامه بنظام الاحكام والصنائع والحرف ، فاللائق بحال اخواننا المسلمين ، ان يتيقظوا من يوم البطالة والغفلة ، فأن سائر الملل ، قد حازوا انواع المعارف والصنائع ، بعد ان كانوا من قبل عارين عن كل معرفة ، وكان المسلمون من قبل احسن المسالك في امور المعاش ، وكان غيرهم يحتاجهم ، وهم لا يحتاجون غيرهم في شيء ، وقد انعكس الامر في هذا العصر ، فيجب عليهم ان ينهضوا من نوسة الغفلة ، ويتعاضدوا على تعلم المعارف والصنائع ، ليعودوا الى سيرتهم الاولى ، ويستغنوا عن غيرهم ويتحاببوا ويتعاضدوا على تقوية الدين والدولة ، وتركوا القال والقيل ، ويجتنبوا عن فلان طويل وفلان عريض ، ويراعوا قوله تعالى : « انما المؤمنون أخوة » فإن ذلك يكون سبباً لعمارة الممالك الاسلامية وتزداد به قوة الدولة الموجبة لقوة الدين ، فأنه لا تقوى الدولة الا بالعمارة ، ولا يقوى الدين الا بقوة الدولة على ما جرت به عادة اللّه تعالى .

ومن أقوى أسباب العمارة فتح الانهار واجراء السفن والمراكب فيها ، واحداث سكك حديد ، فأنه موجبة لقرب الطريق الموجب لسهولة التجارة والاكتساب الباعث على العمارة ، هذا ، ويجب على الرعايا اطاعة السلطان ووزرائه في سياستهم وفيما احدثوه من اضافة السياسة ، ولا تشمئز قلوبهم منها ، وعما احدثوه من الامور السياسية فأن بالسياسة تنضبط امور الناس على وجه لا يكون لاحد مداخلة في شيء من الاحكام ، وسائر الامور وتنقطع المحاباة والالتزامات في التصحيحات ، وتكسب الرعية والعامة اتم الراحة ، وتأمن عن ابطال الحقوق ، كما

كان يقع في الازمنة السابقة انواع السياسات كإحداث المجالس السديدة في سياسة حكامه وغيرها ، في زمن الملوك الماضية ، فقد ذكر اقضى القضاة ابو الحسن البارودي (لعله الماوردي) في الاحكام السلطانية : ان الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة ، من الاعمال والاموال ، ومن يقوم فيها من الجيوش والعمال ، وفي تسميته ديواناً وجهان اولهما : ان كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحبسون مع انفسهم ، فقال ديوانه : أي مجانين ، فسمى موضعهم بهذا الاسم ، ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال ، والثاني : أن الديوان اسم للشياطين بالفارسية ، فسمى الكتاب باسمهم لحذاقتهم بالامور ووقوفهم .

وذكر العلامة المقريزي في تاريخ مصر ان كتابة الديوان على ثلاثة اقسام : كتابة الجيوش ، وكتابة الخراج ، وكتابة الانشاء والمكاتبات ، ولا بد لكل من استعمال هذه الاقسام الثلاثة ، ثم ذكر ديوان العساكر والجيوش ، وقال : أول من وضع ديوان الجند بخيلهم كلهراسب احد ملوك الطبقة الثانية من الفرس ، وان كيفياد قبله اخذ العشر من الغلات ، وصرفه في مصارف جنده ، وأما في الاسلام فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله (ص) : «اكتبوا الى منْ تلفظ بالاسلام من الناس ، فكتبنا له الفاً وخمسمائة رجل » الحديث ذكره البخاري في باب كتابة الامام الناس .

أقول هذا من أقوى الدلائل على ان للسلطان ان يكتب عدد نفوس تبعته ، ومن اختلج في نفسه الانكار ، فقد اخطأ وخالف الشرع المبين على ان في كتابة الانفس احاطة بمن يصلح للعساكر ، ومن يصلح للحرث ، ومن يصلح للصناعات ، ومن يصلح للرئاسة والعمالة وللكتابة والخدمة وغير ذلك فيضع كل أحد فيما يليق ، واللائق بكل مسلم ، مقتدر على الحرب ، أن يدخل في سلك العساكر لحماية الدولة، التي بها حماية الدين وسد ثغور الاعداء ، بل يجب عليهم ، وقد فضل الله

المجاهدين على القاعدين ، ثم ذكر المقريزي : أن أول منْ اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونقل ابن شهاب بن عمر رضي الله عنه انه اول منْ دون الدواوين ، وروى في ذلك روايات منها عن خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال لعمر رضي الله عنه : كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديواناً وجندوا جنوداً ، فدون ديواناً وجند جنوداً فأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله ودعا عقيلاً ابن أبي طالب ومخرقة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا كتاب قريش ، فقال : اكتبوا للناس على منازلهم فبدأوا ببني هاشم ، وكتبوهم ، ثم اتبعوهم اولاد ابي بكر وقومه ، ثم القبائل ، ثم رفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما نظر فيه قال : ابدأوا بقرابة رسول الله (ص) الاقرب فالاقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضي الله عنه على ذلك ، وقال وصلت رحمك .

قيل لما فتح الله على المسلمين القادسية ، وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين وقال : ما يحل للوالي من هذا المال ، فقالوا جميعاً اما الخاصة فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط ، وكسوتهم للشتاء والصيف ، ودابتان الى جهاده وحوائجه وحملاته الى حجه وعمرته ، والقسم بالسوية ، وان يعطي أهل البلاد على قدر بلادهم ، ويبدأ بأهل الفيء منهم ويفهم من هذا ترجيح العساكر على غيرهم ، أقول ، وأنت ترى السلطان نصره الرحمن في عصرنا هذا وقد جعل لكم من العساكر والوزراء والعلماء والامراء والاشراف والعمال والكتاب وغيرهم من الفقراء ، في كل بلدة من بلاد حصة من بيت المال ، مع ما له من الخدمات الوافية للحرمين الشريفين وأهلهما من ارسال الصرف وغيــره ، شكر الله تعالى سعيه وأدام ظله ، وقال المقريزي : انه كانت عادة الخلفاء من أمية وبني عباس والفاطميين ، من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تجيء اموال الخراج ثم تفرق ، ومن الديوان في الأمراء والعمال والأجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم . وكان يقال لذلك في صدر الاسلام

العطاء وما زال الأمر على ذلك الى ان كانت دولة العجم فغيروا هذا الاسم وفرقوا الاراضي اقطاعات على الجند ، واول من فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك وزير الب ارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق ، وذلك ان مملكته اتسعت فرأى ان يسلم الى كل مقطع قرية ، او اكثر او اقل على قدر اقطاعه ، لأنه رأى ان يسلم الاراضي الى المقطعين عمارتها لاعتناء مقطعيها بأمرها ، بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة ديوان واحد ، فأن الخرق يتسع ويدخل الخلل في البلاد ، ففعل نظام الملك ذلك وعمرت البلاد وكثرت به الغلات ، واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك . أقول الاقطاع من الامور المستحسنة الباعثة للعمارة ، ولكن اعطاءَها على الجند والعسكر ليس بجيد ، لأن اللائق بحال العسكر أن يكون مشغولاً بعلوم الحرب فقط ، وان يكون تحت الضبط ، فلو كان مشغولاً بتعمير الاراضي لفاته على الحرب وخرج عن الضبط والتعمير والحراثة انما يليق بغير العسكر من سائر الناس ، الطابو المرتب في عصر سلطان العصر هو عبارة عن الاقطاع وهو من جملة اسباب العمارة ، اذا كان بطريق غير شاق على المقطعين بأن يكون على سبيل العشر ، واذا كان بأكثر من ذلك كالخمس لم تبق فائدة تامة للمقطع ، فلا يرغب ويهتم بالعمارة ، وبالجملة ان اقوى اسباب العمارة تخفيف الرسومات على الفلاحين وعلى ارباب الملك ، ثم ان المقريزي ذكر الدواوين التي كانت مرتبة في مصر سابقاً ، بقوله : ***فأولها*** : ديوان المجلس وهو على ما نقله ابن الطوير : اصل الدواوين قديماً ، وفيه علوم الدولة بأجمعها ، وفيه عدة كتب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين او معينان ، وصاحب هذا الديوان هو التحدث في الاقطاعات ، ويلحق بديوان النظر وله المرتبة والمسند والحاجب وغير ذلك ، وله الخدمة الخاصة وله دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين ، ثم يتولاه اجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحاً لرأس الدواوين ، ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديواناً بالقصر الباطن ، ويضبط فيه ما ينفق في الدولة من المهمات . وما يرد اليها من ملوك ادنيا ، وما

يعطي الى ارباب الرتب والجهات أهل الصدقات ، ويعلم فيه ما بين كل سنة من التفاوت ، وما ينفق في مهم فتح الخليج ، وما ينفق في سماطي الفطر والنحر ، وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحتويات ، وما ينحر للضحايات ، وما يعطي من الكسوة للأولاد والأقارب ، وما ينفق في شهر رمضان وغير ذلك من العطايا .

الثاني : ديوان النظر ، قال ابن الطوير : أما ديوان الاموال فان اجلها من يتولى النظر عليهم ، وله العزل والولاية ومن يده عرض الاوراق في أوقات معروفة على الخليفة ، أو الوزير ، ولم ير فيه نصراني الا الاحترام ويتعلق بنواب الدولة وله المرتبة وبين يديه حاجب من أمراء الدولة .

الثالث : ديوان التحقيق ، وهو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين ولا يتولاه الا كاتب خبير ، وله الضلع والمرتبة والحاجب ، ويلحق برأس الديوان يعني متولي النظر.

الرابع : ديوان الجيوش قال ابن الطوير : والخدمة في ديوان الجيوش قسمان : *الاول* : ديوان الجيش وفيه مستوف أصيل ولا يكون الا مسلماً وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس ، وله مسند وبين يديه الحاجب ، وترد عليه امور الاجناد ، وله العرض ، ولهذا الديوان ديوان خازنان ومن هذا الديوان تعمل اوراق الجزايات ، *والقسم الثاني من هذا الديوان* : ديوان الرواتب : ويشتمل على اسماء كل مرتزق وفيه كاتب اصيل ، وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة انفس ، والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من استمر ومباشرة من استجد وموت من مات ، ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم ، وفي هذا الديوان عدة عروض العرض الاول : يشتمل على راتب الوزير، وهي في الشهر خمسة آلاف دينار ، وراتب غيره من الحواشي على مقتضى مراتبهم ، العرض الثاني : حواشي الخليفة ، وأولهم الاستاذون على رتبهم

وجواري خدمهم ، فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومساد التاج وزمام الاشراف وصاحب المجلس ، لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ، ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ، والطبيبان الخاصان لكل واحد منهما خمسون ديناراً ، ولمن دونهما من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير ، *العرض الثالث* : يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة ، فأولهم كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون ديناراً ولكل واحد من كتابه ثلاثون ديناراً ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارا ، ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل واحد منهما سبعون ديناراً ، وبقية العساكر والسوقان من خمسين الى أربعين الى ثلاثين ديناراً ، *العرض الرابع* : يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار ، وداعي الدعاة مائة دينار ، *العرض الخامس*: يشتمل على من يجري مجراهم ، وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون ديناراً وديوان التحقيق جاريه خمسون ديناراً ، وديوان المجلس اربعون ديناراً وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون ديناراً وكاتبه خمسة دنانير ، وديوان الجيوش وجاريه اربعون ديناراً ، والموقع بالقلم الجليل ثلاثون ديناراً .

الخامس : ديوان الانشاء والمكاتبات وكان لا يتولاه الا اجل كتاب البلاغة ، ويخاطب بالشيخ الاجل ، ويقال له كاتب الدست الشريف ، ويتسلم المكاتبات الواردة مختومة ، فيعرضها على الخليفة وهو الذي يأمر بتنزيلها (لعلها بتذيّلها) والاجابة عنها للكتاب ، والخليفة يستشيره في اكثر أموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه ، وهذا أمر لا يصل اليه غيره ، وربما بات عند الخليفة ليالي ، وكان جاريه مائة وعشرين ديناراً في الشهر وهو اول ارباب الاقطاعات وارباب الكسوة والرسوم والملاطفات ، ولا سبيل ان يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه احد ، الا الخصوص وله صاحب من الامراء والشيوخ الفراشون ،

وله المرتبة والمسند والدواة ،لكنها بغير كرسي ، وهو من اخص الدواوين ويعملها استاذاً من استاذي الخليفة .

السادس : ديوان التوقيع بالقلم الدقيق ، وكان لابد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله ، وتجويد الخط ، واخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به في اكثر الايام ومعه استاذ مؤهل لذلك ، فيكون الاستاذ ثالثهما ، ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه مكارم الأخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون عنده دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة القى في الدواة كاغداً فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مناقيل من الندم المثلث الخالص ، ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثاني مرة ، وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق ، وله سند وفراض يقدم اليه ما يوقع عليه ، وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل عليه احد الا بأذن ، وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوى وغيرها .

السابع : ديوان التوقيع بالقلم الجليل وهي رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ، وله المسند بغير حاجب وانما فراش لترتيب ما يوقع فيه .

الثامن : ديوان مجلس النظر في المظالم ، كانت الدولة اذا خلت من وزير جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر ، وبين يديه النقباء والحجاب، فينادي المنادي بين يديها : يا ارباب الظلامات ، فيحضرون ، فمن كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ، ومن تظلم ممن ليس من اهل البلد احضرت قصة بأمره ، فيتسلمها الحاجب ، فاذا جمعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق ، فيوقع عليها ، ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل ، فيبسط ما اشار إليه الموقع الأول في خريطة الى الخليفة ، فيوقع عليه ، ثم تخرج الخريطة الى الحاجب ، فيقف على باب القصر ، ويسلم كل توقيع الى صاحبه ، فإن كان له

وزير صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضي القضاة ، ومن جانبيه شاهدان معتبران ، وعن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ، ويليه صاحب ديوان المال ، وبين يديه صاحب الباب واسفهسلار العساكر ، وبين ايديهما النواب والحجاب على طبقاتهم ، ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الاسبوع ، وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها هذه العبارة : يعتمد ذلك ان شاء الله تعالى . ويوقع في الجانب الايمن منها ، فتخرج الى صاحب ديوان المجلس ، فيوقع عليها جليلاً ، ويخلي مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة ، وتثبت ، وكانت علامتهم : الحمد لله رب العالمين ، وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسوية والتحبيس : قد انعمنا بذلك او قد امضينا ذلك .

التاسع : صاحب الباب ، وينعت صاحب هذه الخدمة اولا بالمعظم ، وله نائب وتسمى الخدمة بالنيابة الشريفة ، وانها مميزة ولا يليها الا أعيان العدول وأرباب العمائم ، وينعت بمدي الملك ، وهو الذي يتلقى الرسل الواصلة من الدول ، ومعه نواب الباب في خدمته ، فيحفظهم وينزلهم بالاماكن المعدة لهم ، ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب ، فيكون صاحب الباب يميناً وهو يساراً ، ويلي رتبة صاحب الباب الاسفهسلار ، وهو زمام على زمام ، واليه امور الاجناد .

العاشر : ديوان قاضي القضاة ، وكان من عادة الدولة اذا كان وزير فأن الوزير يقلد القضاء رجلاً نيابة عنه ، وهذا حدث من عهد الامير بدر الجمالي ، واذا كان الخليفة مستبداً ليس له وزير قلد القضاء رجلاً ونعته بقاضي القضاة ورتبته أجل رتب ارباب العمائم وارباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعياً ، فيقال له (ح) قاضي القضاة وداعي الدعاة ، ولا يخرج شيء من الامور الدينية عنه ، ويجلس السبت والثلاثاء ويجلس الشهود حواليه ، يميناً ويساراً

بحسب تاريخ عدالتهم ، وبين يديه خمسة من الحجاب ، اثنان بين يديه يقابلان اثنين ، وله كرسي الدواة ، وهي دواة محلاة بالفضة ، تحمل اليه من خزائن القصور ، ولها حامل بجا مكية في الشهر على الدولة ، ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء ، وهو مخصوص بهذا اللون من البغال ، دون ارباب الدولة ، وعليها من خزانة السروج سرج محلي تقبل وراءه دفتر فضة ، ومكان الجلد حرير ، وتأتيه في المواسم الاطواق ، ويخلع عليه الخلع المدهشة ، بلا طبل ولا بوق الا اذا كان والي الدعوة مع الحكم ، فأن الدعوى في خلعها الطبل والبوق والبنود الخاص نظير البنود الخاص التي يشرف بها الوزير ، وحوالي قاضي القضاة القراء وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير ، ويحمل بنواب الباب والحجاب ولا يتقدم عليه احد في محضر هو حاضره من صاحب سيف وقلم ، ولا سبيل الى قيامه لأحد في مجلس الحكم ، ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر في يومي الاثنين والخميس ، اول النهار والسلام على الخليفة ونوابه لا يفترون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال ، وكان له النظر في ديوان الضرب ليضرب من الدنانير ، وكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه ، ويختم عليه ، ويحضر لفتحه وكان القاضي لا يصرف الا بجنحة ولا يعدل احد الا بتزكية عشرين شاهداً ، عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ، ولا يحتمي احد على الشرع ، ومن فعل ذلك أدب ، والسقيف للخليفة ، وهي موضوع من جملة القصر الكبير ، يقف عنده المتظلمون . وكانت عادة الخليفة ان يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين ، فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة ، وقال بصوت عال : لا اله الا الله محمد رسول الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره ويفرض امره الى الوزير او القاضي او الوالي وكان الكُتاب الى الاعمال نصارى .

أقول اذا علمت ما نقلناه لك من هذه المجالس المرتبة على تلك الترتيبات ارتفع عن خاطرك ايها الواقف على ترتيب المجالس في هذا العصر على الوجه

المخصوص بما يختلج فيه شائبة الانكار ، لأن لكل سلطان ان يخترع في سياسة الملك ما يليق بعصره مع رعاية الشرع الشريف ، والشرع ولله الحمد في غاية الرعاية لدى السلطان ، كما هو معلوم من نصب شيوخ الاسلام والنواب والمفاتي في دار الخلافة وغيرها من البلاد ، وغاية الامر انهم جعلوا للنواب مجالس وهو من الامور الحسنة الى النائب بعد هذا سدت عليه سبب الارتشاء وابطال الحقوق بالمحاباة كما شاهدناه من اكثر نواب عصرنا قبل هذا ، حتى ان بعض القضاة الجهلة كان يتوسط وكلاء المحكمة بعمل احكام الشرع ملعبة ، عاملهم الله تعالى بعدله ، ولله الحمد على زوال تلك الحلة الشنيعة التي كانت تخزي الاسلام لدى سائر الملل ، ولا بأس بتسمية القاضي مفتش الاحكام ، كما انه لا بأس بتسمية داعي الدعاة في زمن ملوك مصر الماضين ، لأن مفتش الاحكام بمعنى انه ناظر على حكام الشرع ونوابه ، ومفتش عن احوالهم واحكامهم ، وهو حسن نعم يجب ان يكون المفتش والنائب من العلماء الاعلام ، وكذا من يجلس معهما ثم ان جميع ما ذكرته انما هو لأجل ايقاظ الرعية من الغفلة وحثهم على الاهتمام والسعي في الحرث وكسب العلوم والمعارف والتشبث بأسباب العمارة وترك ما لا يعني من القال والقيل والبطالة ، وحث الوزراء والامراء على التشبث باسباب العمارة وحث الناس عليها ، ورعاية الرعايا بتخفيف الاثقال عنهم فقد ذكر المقريزي في تاريخ مصر نقلاً عن ابي قبيل : انه روي عن بعض مشايخ مصر ان الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرون القرى في ايدي اهلها ، كل قرية بكري معلوم لا ينقص عنها الا في كل اربع سنين من اجل الظمأ ، وتنقل البسار ، فاذا مضت اربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلاً جديداً ، فيرفق بمن استحق الرفق ، ويزداد على من احتمل الزيادة ، ولا يحمل عليهم من ذلك ما يثني عليهم ، فاذا بني الخراج جمع وكان للملك من ذلك الربع خالصاً لنفسه يصنع به ما يريد ، والربع الثاني لجنده ومن يقوى به على حرب عدوه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث

في مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها والقوة للزارعين على زرعهم ، وعمارة ارضهم والربع الرابع يخرج منه ربح ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك لنائبة تنزل او حاجة بأهل القرية ، والذي يدفن في كل قرية من خراجها هو كنوز فرعون ، ومن عمارة بعض ملوك مصر انه ارسل وبه فتح الى اسفل الارض ، والى الصعيد في وقت تنظيف الارض والترع من العمارة ، فلم يوجد لها ارض فارغة تزرع فيها ، وانه كان عند تناهي العمارة يرسل اربع اوقيات برسيم الى الصعيد ، والى اسفل الارض ، والى اي كورة فان وجد لها موضع خالٍ فزرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة ، وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة اربعين فرسخاً في مثلها ، والفرسخ ثلاثة اميال والبريد اربعة فراسخ ، ولم تزل الفراعنة تسلك هذه المسالك الى ايام فرعون موسى فأنه عمرها عدلاً وسماحة وتتابع الظمأ ثلاث سنين في ايامه ، فترك لأهل مصر خراج ثلاث سنين ، وانفق على نفسه وعساكره من خزانته ولما كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واستمر فاعتاض ما انفق ، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى عمرو بن العاص (وردت العباس) رضي الله تعالى عنه : أن اسأل المقوقس عن مصر من أين تأتي عمارتها وخراجها ، فسأله عمرو ، فقال له المقوقس : عمارتها وخراجها من وجوه خمسة : أن يستخرج خراجها في ابان واحد عن فراغ اهلها من زرعهم ويرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ اهلها من عصر كرومهم ويحفر في كل سنة خلجاتها وتسد ترعها وجسورها ولا يقبل مطل اهلها بريد البغي ، فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت . وقال عمرو بن العاص (وردت العباس) رضي الله عنه للمقوقس انت وليت مصر فبم تكون عمارتها ؟ قال : بخصال ان تحفروا خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلتها ، ولا يقبل مطل اهلها ويوفي لهم بالشروط ويدر الارزاق على العمال لئلا يرتشوا ، ويرتفع عن اهله المعاون والهدايا ليكون قوة فبذلك تعمر ولا

يرجى خرابها .

ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص ، سلام الله عليك ، فإني احمد الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فإني فكرت في امرك والذي انت عليه فاذا أرضك ترض واسعة عريضة رفيعة وقد اعطى الله اهلها عدداً وجلداً وقوة في بر وبحر وانها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوهم وكفرهم ، فعجبت من ذلك واعجب مما عجبت انها لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحط ولا جدب ، ولقد اكثرت من مكاتبتك في الذي على ارضك من الخراج ، وظننت ان ذلك سيأتينا على غير نزر ، ورجوت ان نفيق فترفع إلي ذلك ، فاذا انت تأتيني بمعاريض تعباً بها لا توافق الذي في نفسي ، لست قابلاً منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ، ولست ادري ، مع ذلك ما الذي نفرك من كتابي وقبضك فلئن كنت مجرماً كافياً صحيحاً من البراءة النافعة ، وان كنت مضيعاً نطعاً ان الامر لعلى غير ما تحدث به نفسك ، وقد تركت ان ابتلى ذلك منك في العام الماضي ، رجاء ان تفيق وترفع إليّ ذلك وقد علمت انه لم يمنعك من ذلك الا ان اعمالك اعمال السوء ، وما توالى عليك وتلفف واتخذوك كهفاً وعندي بأذن الله تعالى دواء فيه شفا عنا أسالك فيه فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر والحق ابلج ، ودعني وما عنه تلجلج فأنه قد برح الخفاء والسلام .

فكتب اليه عمرو بن العاص : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله امير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام الله عليك فأني احمد الله الذي لا اله الا هو . اما بعد، فقد بلغني كتابك يا أمير المؤمنين في الذي استبطاني فيه من الخراج ،

والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلي وعما به من خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها مذ كان الاسلام ولعمري الخراج يومئذ اوفر والارض اعمر ، لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارغب في عمارة ارضهم منا مذ كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلباً قطع درها ، واكثرت في كتابك وانبت وعرضت ان ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر ، فجئت لعمري بالمقطعات المقدمات ، ولقد كان لك من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ، وقد عملنا لرسول الله (ص) ولمن بعده ، فكنا نحمد الله مؤدين لأماناتنا حافظين ، لما عظم الله من حق أمتنا ، ترى غير ذلك قبيحاً ، والعقل به شيئاً فنعرف ذلك لنا ونصدق فيه قلبنا معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم والاجتراء على كل مأثم فأمض في عملك فأن الله قد نوهني عن تلك الطعم الدنيئة والرغبة فيها ، بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضاً ، ولم تكرم فيه أخاً ، والله يا ابن الخطاب ، لا تلحين براد ذلك مني اشد غضباً لنفس ولها انزاها واكراما وما عملت من عمل اروى عليه فيه متعلقاً ، ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن أشياء كنت بها عالماً ، وكان اللسان بها مني ذلولاً ولكن الله اعظم من حقك ما لا يجهل اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ، سلام الله عليه فأني احمد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فأني قد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الى بينات الطرق ، وقد علمت أني لست ارضى منك الا بالحل المبين ، ولم أقدمك الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكنني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج ، فإنما هو في المسلمين وعندي من قد تعلم قوم محصورون ، والسلام .

فكتب اليه عمرو بن العاص : بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من

عمرو بن العاص ، سلام الله عليك ، فأني احمد الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج ، ويزعم أني احيد عن الحق وانكب عن الطريق واني والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الارض استنظروني الى ان تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غناء بهم عنه ، والسلام .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص : أن أبعث الي رجلاً من أهل مصر ، فبعث اليه رجلاً من القبط فأستخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن مصر وخراجها قبل الاسلام فقال : يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها الا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر الى ذلك ، بل يأخذ ما ظهر له ، كأنه لا يريدها الا لعام واحد ، فعرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما قال وقيل من عمرو ، وما كان يتعذر به هذا ، وكان من خبر أراضي مصر بعد نزول العرب في اريافها ، واستيطانهم فيها ، واتخاذهم الزرع معاشاً وكسباً .

ان متولي خراج مصر كان يجلس في الوقت الذي تتهيأ فيه قبالة الاراضي، وقد جمع الناس من القرى والمدن ، فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج ، يكتبون ما ينهي اليه مبالغ الكور والصفقات على منْ ينقلها من الناس ، وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين ، فإذا انقضى هذا الامر خرج من تقبل ارضاً وضمنها الى ناحيته وزرعها وأصلح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه وأهله ، ويحمل ما عليه من الخراج في ابانه على أقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلك الاراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين ويقال لما تأخر من مال الخراج البواقي ، وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة ، فاذا

انقضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلاً جديداً ، فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التنقيص منها ولم يزل عملهم جارياً على هذا المجرى ولما رأى محمد بن فاتك البطائحي اختلال احوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضورهم من كون اقطاعاتهم قد خسرت نفقاتها ، وساءت احوالهم لقلة المحصول منها ، وان اقطاعات الامراء قد تضاعف ارتفاعها ، وازدادت مخاطب الافضل ابن امير الجيوش ، في ان يحل الاقطاعات جميعها، وعرفه المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان فأجابه الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها ، واخذ كل من الاقوياء والمتجبرين يتضورون ويذكرون ان لهم بساتين واملاكاً فــي نواحيهم ، فقال : من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في هذا الاقطاع ، وان شاء باعه وان شاء اجره ، فلما حلت الاقطاعات أمر الضعفاء ان يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة في اقطاعات الاقوياء ، الى ان انتهت الى مبلغ معلوم ، وكتبت السجلات وصار بقاؤها في ايديهم الى مدة ثلاثين سنة ، لا يقبل عليهم فيها زائد ، واحضروا أقوياء وقال لهم : ما تكرهون من الاقطاعات التي كانت بيد الاجناد ؟ قالوا كثر تغيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن فقال لهم : ابذلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى ان بلغت الى الحد الذي يرغب كل منهم فيه ، فاقطعوا فيه ، وكتب لهم السجلات فشملت المصلحة الفريقين ، وطابت نفوسهم ولما انتهى الى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيارات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقة والتعب ، وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب ، أنكر ذلك ومنع ارتكابه ونهى عن الولوج في بابه وخرج امره باعفاء الكافة ، وتضمن ذلك منشوراً قرىء في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر ، وفي ديوان المجلس الخاص ، ومما لا غنى للاراضي عنه الجسور وهي على

قسمين : سلطانية وبلدية ، فالجسور السلطانية هي العامة النفع ، واما الجسور البلدية فأنها عمارة مما يخص نفسها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من أهل الناحية .

قال ابو بكر بن وحشية (وردت وحنية) في كتاب الفلاحة ، وذكر ان مصر اذا زرعوا يخرج من المد ثلثمائة مد ، والعلة في ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن ارضهم وكثرة دورة ماء النيل ، وكان يزرع الشعير في اثر القمح وغيره في الارض التي غرقت ، وهي رطبة وتتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام ، وكذلك حصاده فانه يحصد قبل القمح ، ويحتاج الفدان من الذرة الى ثلاث وقيات ، ويتحصل من فدانه ما بين عشرين أردبا ، ويزرع العدس والحمص ، والحلبان لا يزرع الا في ارق الاراضي حرثاً من الاراضي العالية ، ويبذر في كل فدان من الحمص من اردب الى ثمان وقيات ، ومن الحلبان من اردب الى أربع وقيات ، ومن العدس من وقيتين الى ما دونهما ، والكتان اذا زرع يحتاج الى ان يسبخ بتراب سباخ وهو اذا طال قد يقلع قضباناً وينشر في موضعه حتى يجف ، فاذا جف صقل وعزل جوزه ، فيخرج منه بذر الكتان ، ويستخرج منه الزيت الحار ، ويحتاج الفدان ان يبذر فيه من البذر ما بين اردب وثلث الى ما دون ذلك ، ويخرج من الفدان ما بين ثلثين شدة الى ما دون ذلك ، وأجود ما يكون الكتان اذا زرع في البرنس الجنوبية ، وهذه من الاصناف الشتوية .

واما الاصناف الصيفية ، فاللوبياء والبطيخ والقطن وقصب السكر ويحتاج القصب الى ارض جيدة ، قد شملها الري وعلاها الماء ، وقلع ما بها من غلة الحلفاء ، ونظفت ثم برشت بالمقلقلات : وهي محاريث كبار لها ستة وجوه ، وتجرف حتى تتمهد ثم تبرش سنة وجوه اخرى وتجرف ومعنى البرش : الحرث ، فاذا اصلحت الارض وطابت ونعمت ، وصارت تراباً ناعماً وتساوت بالتجريف شقت (ح)

بالمقلقلات ويرى فيها القصب قطعتين ، قطعة خشناء وقطعة مفردة ، بعد ان تجعل الارض احواضاً ، وتفرز لها جداول يصل الماء منها الى الاحواض ، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة انابيب كوامل وبعض انبوبة منه اعلى القطعة ، وبعض اخرى من اسفلها ، ويختار ما قصرت انابيبه وكثرت كعوبه من القصب ، فاذا اكمل نصاب القصب اعيد التراب عليه ، ولابد في النصبان تكون القطعة ملقاة لا قائمة ، ثم يسقى من حين نصبه في اول صيف الربيع ، لكل سبعة ايام مرة ، فاذا انبت القصب وصار اوراقاً ظاهرة نبتت معه الحلفاء ، والمقلدة الحلفاء فعند ذلك تفرق ارضه ومعنى الفراق : أن تنكمش ارض القصب وتنظف ما نبت مع القصب، ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزو القصب ، ويقوى ويتكاثف ، ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء ، ويدخل حتى يعلو على ارض القصب ، نحو شبر ، ثم يقطع عنه الماء ، ويترك فوق الارض ، قدر ساعتين او ثلاث ، ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ، ويجدد عليه ماء آخر ، كذلك يتعاهد ما ذكرناه مراراً في ايام متفرقة ، بقدر معلوم ثم يفطم بعد ذلك ، فاذا عمل ما قلنا في القصب حقه ، وان نقص عن ذلك شيء حصل فيه الخلل ، ولابد للقصب من القطران قبل ان يحلو ، ولابد من حرق آثار القصب بالنار ، ثم سقيه وغرقه كما تقدم ، فينبت قصباً له الخلفة ويسمى الاول الرأس ، وقنود الخلفة أجود من قنود الرأس ، غالباً ويحصل من الفدان ما بين اربعين ابلوجة قندالي ثمانين ابلوجة ، والبلوجة تسع قنطاراً فما حوله ، وسبب اتضاع مزاج مصر بعد ان كان بحيث لا يحصى ان الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الارض ، فأنها تحتاج الى ان ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه ، هذا ما كان في عصر المقريزي .

أقول ، واما مصر في هذا العصر فانها على ما شاهدتها وتتبعت ما فيها ، اما من حيث العلم ، ففيها العلماء الاعلام من ذوي التقرير والتحرير ، واما من حيث طلبة العلم ، فقد بلغوا مراتب الالوف ، ولهم المصنفات العديدة في كل فن ،

وحق لها ان تسمى اليوم بدار العلم كالنجف قرب بغداد ، واما من حيث التجارة فذلك غني عن البيان على ما يشهد به كمرك الاسكندرية وتوارد التجار اليها من الدول الاجنبية ، واما من حيث المطابع فهو معلوم من الكتب المطبوعة فيها ، الواردة الى جميع البلدان كتحفة العلامة ابن حجر ، وحاشية الدار للطنطاوي ، وحاشيته لابن عابدين الدمشقي ، مع فتاواه ، والخيرية وغيرها من الكتب الفقهية على مذهب الامام الاعظم والامام الشافعي رضي الله عنهما ، وكالاغاني وشرح الناموس ، وشرح مجمع الامثال ، واحياء العلوم ، وتاريخ ابن خلدون ، وابن خلكان ، والمقريزي ، وشرح المواهب اللدنية والموطأ للزرقاني ، والمزهر للحافظ السيوطي وغيرها من كتب الدين والادب ، والآلات والتواريخ المعتبرة .

وأما من حيث الحراثة والزراعة وحفر الانهار والخلج واجراء السفن فهو مما لا يحصى واني لما سافرت الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة خير الأنام عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلاة والسلام من مصر على طريق السويس رأيت العجب من ذلك ، واما من حيث سكك الحديد فمشاهد ومسموع ما ينقل فيها من أموال التجارة والحجاج وسائر الواردين ، مما يتعجب منها الناظر ، ولقد ركبت سكة الحديد من الاسكندرية الى مصر ومنها الى السويس فشاهدت خلائق كثيرة واموالاً عظيمة ، وتعجبت من ذلك غاية العجب ، هذا ، وانت اذا دخلت مصر واسكندرية ونواحيها لا تجد احداً بلا عمل ، الا بعض الغرباء ، فهي مشحونة بالاعمال والحراثة والصنائع والمطابع ، والعساكر ، والمصارف ، والعلم والعلماء ، والطلبة والكتاب ، والتجار والمهندسين والحسّاب ، وأهل الكسب من كل صنف ، زادها الله تعالى عمارة لنفع الدين والدولة ، اذا تقرر هذا فليعلم الناس انه يجب عليهم خدمة الدين والدولة والصدق ، ويبذل الجهد والسعي والاعانة بالانفس والاموال ، ولا تكون همتهم البطالة فأن بذلك تكون قوة الدولة الموجبة لقوة الدين .

روى المقريزي : ان عمر بن الخطاب رضـي اللّه عنه أتاه انـاس من اهل الشام فقالوا : اصبنا دواباً وأموالاً ، فخذ منها صدقة تطهرنا بها ، فقال : كيف افعل ما لم يفعل من كان قبلي ؟ وشاور ، فقال علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه : لا بأس به أن لم يأخذه من بعدك ، فأخذ عن العبد عشرة دراهم ، وكذلك عن الفرس ، وعن الهجين وعن البرذون ، والبقل خمسة .

أقول الظاهر من أخذ عمر رضي اللّه عنه الى قول علي رضي اللّه عنه أن لم يأخذه من بعدك ، وأداء اجتهاده الى الاخذ لمصلحة بيت المال ، ومع ذلك ، فلو كان علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه في عصرنا هذا ، ورأى مضايقة بيت المال وسعة العساكر والمصارف اللازمة . مع قوة سائر الدول المخالفة للأسلام لحكم بالأخذ لسعة خزائن بيت المال ، حفظاً لبيضة الاسلام ، كما لا يخفى على من دقق النظر وانص وأول من وضع على الحوانيت الخراج في الاسلام امير المؤمنين ابو عبد اللّه محمد بن أبي جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة ، وولي ذلك سعيد الجرسي ، وأول من احدث مالا ، سوى مال الخراج بمصر ، احمد بن محمد بن مدبر ، لما ولي خراج مصر سنة خمسين ومائتين ، فأنه كان من دعاة الناس وشياطين الكتاب ، فأبدع في مصر بدعا استمرت من بعده ، وقرر على الكلأ الذي ترعاه البهائم مالاً سماه المراعي ، وقرر على ما يخرج من البحر وسماه المصائد ، الى غير ذلك ، ولما ولي أمير المؤمنين أ بو العساب أحمد بن طولون امارة مصر ، وأضاف اليه امير المؤمنين المعتمد على اللّه الخراج والغفور (لعلها الثغور) الشامية تنزه عن ادناس المعاون ، وكتب باسقاطها الى جميع الاعمال ، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة الف دينار في كل سنة ، ثم أعيدت المعاون في ابتناء الدولة الفاطمية عندما ضعفوا ، ولما استند السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف ابن أيوب لملك مصر أمر باسقاطها ، وتسمى مكوس مصر ، فكتب له القاضي الفاضل مرسوماً بذلك ، وأصل ذلك في الاسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي

اللّه عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منها العشر ، فكتب الى أبي موسى الاشعري ، وهو على البصرة ، أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم ، وخذ من كل تاجر من تجار العهد، يعني اهل الذمة ، من كل عشرين درهماً درهماً ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهماً ، فاحدث الولاة بعد ذلك اموالاً شيئاً بعد شيء وسموها الاموال الهلالية .

وأما الاموال الخراجية فما يؤخذ من الاراضي التي تزرع نخلاً وعنباً وفاكهة وحبوباً ، ويؤخذ من الفلاحين مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره على طريق الهدية ، وكان مكس البهار ثلاثة وثلاثين الفاً وثلثمائة واربعة وستين ديناراً ومكس البضائع والقوافل تسعة الاف وثلثمائة وخمسون ديناراً والنحاس والمرجان خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون ديناراً ، ورسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير ، ورسوم الخشب الطويل والملح ستمائة وستة وسبعون ديناراً ، ورسوم فندق القطن الف دينار وسوق الغنم وعبور الاغنام والكتان والابقار لباب القنطرة الف ومائة دينار وما ورد من الكتان الحطب الى الصناعة مائتا دينار . ورسوم الغلات كالحبوب وغيرها ستة آلاف دينار ، ومكس الاغنام مائة وتسعون ديناراً وما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون ديناراً ، ومكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار ، والحصة بساحل الغلة والاقوات سبعمائة وثمانية وستون ديناراً ، ودار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار ، ودار الجبن الف دينار ، ورسم الحلي من الوجه البحري والقطن الف وعشرون ديناراً ، ورسم الحمام بساحل الغلة خمسمائة واربعة وثلاثون ديناراً ، والحلفاء الواردة في البرد ثمانمائة دينار ، ورسم الفحم الوارد الى القاهرة عشرة دنانير ، ورسوم الدلالة ثلثمائة دينار ، ودكان الدهن ومعصرة الشيرج (هكذا وردت) ، والخل بالقاهرة خمسمائة دينار ،

وبيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون ديناراً ، وذبائح الابقار ألف دينار ، وسوق السمك بالقاهرة ومصر (وردت مصرف) ألف ومائتا دينار ، ومربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون ديناراً ، ومعادن جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار ، وخاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون ديناراً ، وضريبة الذبيحة سبعمائة دينار ، وحمولة السلجم ثلثمائة وثلاثون ديناراً ، ودكة الدباغ ثمانمائة دينار ، وسوق الدقيق خمسمائة دينار ، ومعمل الطير مائتان وأربعون ديناراً ، وتنور الشوي مائة دينار ، ومطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون ديناراً ، وسوق الدواب بمصر والقاهرة أربعمائة دينار ، وسوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً ، وقبان الحناء ثلاثون ديناراً ، وطاقات الأدم ستة وثلاثون ديناراً ومنغلت الخام بالشاشين ثلاثة وثلاثون ديناراً ، وانولة القصار أربعون ديناراً ، وبيوت الفروخ ثلاثون ديناراً ، والشعر أربعة دنانير ، ورسوم الصبغ والحرير ثلثمائة وأربعة وثلاثون ديناراً ، ووزن الطفل مائة واربعون ديناراً ، ومعمل البزر أربعة وثمانون ديناراً ، والفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون ديناراً .

وذكر ابن أبي علي ان الذي اسقطه السلطان صلاح الدين ، وسامح به مبلغاً عن نيف ألف ألف دينار ، وألفي أردب سامح بذلك وابطله من الدواوين ، واسقطه عن العاملين ، رغبة في مساعدة الرعايا ، وتعمير البلاد بالحرث والتجارة والصنائع وغير ذلك ، مما يوجب النفع مع راحة العباد ، وسلك هذا المسلك الحسن بعض ملوك الفاطمية بمصر ، ويدل عليه المنشور الذي كتبه قاضي القضاة جلال الملك ابو الحجاج ، يوسف بن أيوب المغربي ، وهو قد علم الكافة ما عراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح كل قاص ودان ، وانا لا ندع ضرراً يتوجه الى احد من الرعية الا حسبناه ، ولا نعلم صلاحاً يعود نفعاً الى أحد الا قوينا سببه ، ووصلناه حسبما يتعين على رعاة الأمم ، وعملاً بالواجب وسلوكاً لمحجة الدولة الفاطمية واستمراراً على قضاياها وسجاياها الكريمة ، وكما

نرى النظر في مصالح الرعايا أمراً واجباً ، ونصرف الى سياستهم عزماً ماضياً ورأياً ثاقباً ، كذلك نرى النظر في أمور الدواوين واستيفاء حقوقها المسروقة الى حماية البيضة ، والمحاماة عن الدين والجهاد ليكون ما نراعيه وننظر فيه جارياً عن سنن الواجب ، محروساً عن الخلل بإذن الله تعالى من جميع الجوانب . ومن الله نستمد مواد التوفيق في الحل والعقد ، ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد، وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وكان القاضي الرشيد من الزبير أيام مشارفته الصعيد الاعلى ، قد طالع المجلس الافضلي بحال ارباب الاملاك هناك ، وانهم قد استضافوا الى اماكنهم من أملاك الدواوين ، أراضي اغتنموها ومواضع مجاورة لأملاكهم تعدوا عليها ، وخلطوها وحازوها ، ورسم له كشفها وقسم المشاريع بها وارتجعها الى الدواوين ، يعتمد في ذلك ما يوجبه حكم العدل المثبت في كل قطر ومكان ، ويؤخر ذلك ميرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقة وانهائه على طيته فاعتمدوا ما أمرونا به من الكشف في هذه الاملاك ، ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن بيده ملك او ساقية ما يشهد بصحة ملكه ومبلغ فدنه ، وذكر حدوده فلم يحضر احد منهم كتاباً ، ولا أوضح جواباً ، وأصدروا الى الديوان المشاريع بما كشفوه وأوضحوه وجدوا التعدي فيه ظاهراً ، والشرع يوجب وضع اليد على من هذه حاله ومطالبة صاحبه بريحه واستغلاله ولا سيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأسا ولا يستند في ذلك الى حجة ادخرها . ولكن نحكم بما نراه من المصلحة المرعية والعدل ، والذي اقمنا مناره وأحيينا معالمه وآثاره مع الرعية في تعمير البلاد ومصالح احوالها واستنباط الأرضين الدائرة ، وانشاء العروش واقامة السواقي .

أمرنا بكتابة هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى ، باقرار جميع الأملاك والارضين والسواقي بأيدي أربابها الان ، من غير انتزاع شيء منها ، ولا ارتجاعه ، وان يقرر عليها من الخارج ما يجب تقريره ، ويشهد الديوان على

امثالهم بمثله احساناً اليهم ، لم يزل نتابع مثله ونواليه ، وانعاماً ما برحنا نعيده عليهم ، ونبديه ، وقد أنعمنا وتجاوزنا عما سلف ، ونهينا منْ يستأنف وسامحنا منْ خرج عن التعدي الى المألوف ، وجرينا على سنتنا في العفو والمعروف ، وجعلناها نوبة مقبولة من الجماعة الجانين ، ومنْ عاد من الكافة اجمعين ، فلينتقم اللّه تعالى منه ، وطولب بمستأنفه رأسه وبرأت الذمة من ماله ونفسه ، وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة ، وسدت في وجهه ابواب الشفاعة والسلامة . وقد فسحنا مع ذلك لكل من يرغب في عمارة أرض حلفاء ، دائرة وادارة بئر معطلة مهجورة في ان يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ، ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه ، وأن يكون المقرر على كل فدان ما توجبه زراعته لمثله خراجاً مؤيداً وأمراً مؤكداً . فليعتمد ذلك النواب وحكام البلاد ومنْ جرت العادة بحضوره عند المجلس واحضار جميع ارباب الملاك والسواقي ، وأشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذي تجاوز آمالهم في اجابتهم الى ما كانوا يسألون فيه ، وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثلناه ، ويجيز الديوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة والابار المعطلة ، لمن يرغب في ضمانها ونظم المشاريع بذلك واصدارها الى الديوان ليخلد فيه على حكم امثالها بعد ثبوت هذا المنشور .

ولما سرت هذه المصالح الى جميع اهل هذه الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الديوان ، وعمارة البلاد ، وقد كان للنظر في المظالم ديوان أفرد للمتظلمين بالتناصف مع الرعية ، وزجر المتنازعين على التجاحد بالهيبة وكان من شرط الناظر في المظالم أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع لأنه لا يحتاج في نظره الى سطوة الحماة ، وتشبث القضاة ، فيحتاج الى الجمع بين صفتي الفريقين ، وأن يكون بجلالة القدر، وهي خطة جعلت لفساد الناس ، وهي كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من أقوى منه يداً ، وأول من نظر في المظالم من الخلفاء أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب رضي اللّه عنه ، وأول من افرد للظلامات يوماً ، يتصفح فيه قصص المظلومين من غير مباشرة النظر عبد الملك بن مروان ، فكان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها الى حكم ينفذ رده الى قضابة (لعلها قضاته) ابن ادريس هو المباشر ، وعبد الملك الامير ، وعمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر في المظالم وردها ثم جلس لها خلفاء بني العباس ، وأول من جلس منهم المهدي محمد، ثم الهادي موسى ، ثم الرشيد هارون ، ثم المأمون ، وآخر من جلس منهم المهتدي باللّه محمد بن الواثق ، وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الأمراء للنظر في المظالم الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون ، ولما قدم المعز لدين اللّه الى مصر ، وصارت دار خلافة استقر النظر في المظالم مدة يضاف الى قاضي القضاة ، وتارة ينفرد بالنظر فيه احد عظماء الدولة ، ولما ضعف جانب المستنصر باللّه أبي نعيم معد بن الظاهر ، وكانت الشدة العظمى بمصر قدام أمير الجيوش الى بدر الجمالي الفاخرة ، وولي الوزراء فصار أمر الدولة كله راجعاً اليه ، واقتدى به من بعده من الوزراء ، وكان الرسم في ذلك ان الوزير يجلس للمظالم بنفسه ويجلس قبالته قاضي القضاة ، وبجانبه شاهدان معتبران ، ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال ، ويوقف بين يدي الوزير صاحب الباب واسفهسلار العساكر ، وبين ايديهم الحجاب والنواب على طبقاتهم ، ويكون هذا الجلوس يومين في الاسبوع ، وآخر من تقلد المظالم في الدولة الفاطمية رزبك بن الوزير الأجل الملك الصالح طلائع بن رزبك في وزارة ابيه ، وكتب له سجل عن الخليفة ، وكان السلطان يجلس في ديوان دار العدل بكرة الاثنين والخميس طول السنة ، الا شهر رمضان ، للنظر في المظالم ، وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالباً ، فاذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسي اذا قعد عليه يكاد تلحق الارض رجله ، وهو منصوب الى جانب المنبر ، الذي هو تحت الملك وسرير السلطنة ، وكانت العادة أولاً ان يجلس قاضي القضاة من المذاهب

الاربعة رضي الله عنهم عن يمينه ، اكبرهم الشافعي وهو الذي يلي السلطان ، ثم الى جانب الشافعي الحنفي ، ثم المالكي ، ثم الحنبلي ، والى جانب الحنبلي وكيل بيت المال ، ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة ، ويجلس على يسار السلطان كاتب السر ، وقدامه مناظر (لعلها ناظر) الجيوش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست ، وموقعي الدست تكملة حلقة دائرة فأن الوزير من أرباب الاقلام كان بين السلطان وكاتب السر ، وان كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية أرباب الوظائف ، ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلحدارية والجمدارية والخاصكية ، ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعاً عن يمينه ويسرته ، ذوو السن والقدر من اكبار الامراء وأرباب الوظائف ، وهم وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء أمراء الشورى ، ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان والحجاب والدوادارية لاعطاء قصص الناس ، واحضار الرسل وغيرهم من الشكاة واصحاب الحوائج والضرورات ، فيقرأ كاتب السر وموقعو الدست القصص على السلطان ، فإن احتاج الى مراجعة القضاة يراجعهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا الدينية ، وما كان متعلقاً بالسكر ، فإن كان القصص أمراء لاقطاعات قرآها ناظر الجيش ، وان احتاج الى مراجعة في أمر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه ، وكانت العادة الناصرية أن تكون الخدمة في هذا الديوان على ما تقدم ذكره في بكرة الاثنين ، وأما بكرة يوم الخميس فأن الخدمة على مثل ذلك الا انه لا يتعدى السلطان فيه لسماع القصص ، ولا يحضره أحد من القضاة ، ولا الموقعين ولا كاتب الجيش ، الا أن عرضت حاجة الى طلب احد منهم ، وقد تغير بعد الأيام الناصرية هذا الترتيب ، فصارت القضاة تجلس عن يمنة السلطان ويسرته ، فيجلس الشافعي من يمينه ، ويليه المالكي ، ويليه قاضي العسكر ، ثم محتسب القاهرة ، ثم مفتي دار العدل الشافعي ، ويجلس الحنفي عن يسار السلطان ويليه

الحنبلي . ويقبل الأمراء الأرض بين يديه دون القضاء ، ثم اعلم ، أن الملوك في زماننا ، بل وفي الازمنة السابقة بعد الدولة العباسية ، يرون الاحكام على قسمين: حكم الشرع وحكم السياسة ، فالشريعة هي ما شرع الله من الدين ، وأمر به كالصلاة والصيام والحج وسائر اعمال البر والاوامر والنواهي ، واحكام المعاملات والانكحة ، والحلال والحرام وسائر احكام الشرع المبسوطة تفاصيلها في كتب الفقه ، المدونة على المذاهب الاربعة رضي الله عنهم والسياسة نوعان : سياسة عادلة توجب عمارة البلاد وراحة العباد ، فهي أيضاً شرعية اعتبرها الخلفاء الراشدون رضي الله تعالى عنهم وألف فيها العلماء الاعلام ، كالقاضي أبي الحسن الماوردي وغيره كتباً متعددة ، وسياسة ظالمة توجب خراب البلاد ، وعدم راحة العباد ، بل تؤدي الى انقراض الدولة على ما علم ذلك بحسب التجربة ، كما لا يخفى على من نظر الى كتب تواريخ الدول ، وتفصيل هذا البحث في تاريخ المقريزي ، هذا والسياسة العادلة من اعظم اسباب العمارة الموجبة لقوة الدولة ، الباعثة لقوة الدين ، وللحكماء أنظار لطيفة في ترتيب أسباب السياسة ، وان لم يكونوا على دين من أديان أهل الكتب ، الا انهم لقوة نظرهم وكمال عقولهم ، استنبطوا اموراً عجيبة ، وعلوماً غريبة ، ومع ذلك فقد نزهوا واجب الوجود عن كل نقص ، مع عدم اتباعهم النواميس السماوية ، فكأنهم صاروا كالعقول المجردة . وقد حصل لهم كمال الادراك ، وبكمال الادراك يكون حسن التدبير في ملك البدن وفي تدبير السياسة ، لأن مراتب الادراك متفاوتة على اربعة: الاول الحسن فانه يجرد نوعا من التجريد اذ لا تخيل الصورة في الحس بل مثالها فلو غاب عنه او حدث حجاب لم يكن مدركا والثاني : ادراك الخيال وتجريده ، أتم قليلاً وابلغ تحصيلاً ، لأنه لا يحتاج الى المشاهدة بل يدرك مع الغيبوبة ، لكن مع اللواحق الجسمانية ، والثالث : ادراك العزم وتجريده ، أتم واكمل مما سبق ، لأنه يدرك المعنى المجرد من اللواحق وحواشي الاجسام ، كالمحبة والعداوة ، الا انه لايدرك

محبة كلية بل يدرك الجزئية ، بأن يدرك ان هذا الرجل محب وهذا عدو ، والرابع : ادراك العقل ، وذلك هو التجريد الكامل من كل غاشية وعن جميع لواحق الاجسام بل جناب ادراكه منزه عن ان يحزم بين لاحق من لواحق الاجسام ، كالأين والكم والكف وغيرها من الاغراض الجسمية ، ويدرك معنى كلياً لا يختلف بالاشخاص ، وجدت الاشخاص قريبة او بعيدة أم عدمت ، فأنه ينفذ في اجزاء الملك والملكوت ، وينتزع الحقائق منها ويجردها عما ليس منها ، ان كان المدرك محتاجاً الى التجريد فأن كان مجرداً في نفسه ادرك كما هو اكتفى عن مؤونه التجريد ، والحكماء قد حازوا من العقل ما ترك من آثاره العجب . ولما اشرت الى بيان ادراك العقل ناسب بيان مراتبه ، فأقول ان للعقل مراتب بعضها يخدم بعض فانك تجد العقل المستقل بيناً مطلقاً يقدمه الكل وهو الغاية القصوى ، ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة والعقل الهيولاني بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة ، ثم العقل العملي يخدم الجميع ، لأن العلاقة البدنية انما هي لأجل تكميل العقل النظري ، فالعقل العملي مدير تلك العلاقة ، ثم العقل العملي يخدمه الوهم ، تخدمه قوتان : قوة بعده ، وقوة قبله ، فالقوة التي بعده هي القوة التي تحفظ ما اداه الوهم ، والقوة التي قبله هي القوة الحيوانية ، ثم التخلية تخدمها قوتان ، فالقوة النزوعية تخدمها بالائتمار ، لأنها تبعثها على التحريك ، والقوة الخيالية تخدمها الحس ، والقوة النزوعية تخدمها الشهوة ، والغضب تخدمها القوة المحركة في العضل ، والقوة الحيوانية تخدمها في الجملة القوة النباتية ، أولها المولدة ثم المرئية تخدم المولدة ، ثم الخافية تخدمها ، ثم القوى الطبيعية الاربع تخدم العازمة ، ويقال للقوى الطبيعية الهاضمة وتخدمها الماسكة من جهة ، والجاذبة من جهة اخرى وتخدمها البرودة ، وتخدم كليهما الرطوبة واليبوسة ، وهناك آخر درجات القوى .

قال بطليموس الحكيم صاحب الطلسمات والغرائب والاسرار والعجائب : ان

أول ما دل بكلمة الله تعالى المطاعة العقل ، ودل العقل على الحركة ، والحركة دلت على الحرارة ، فكانت الحرارة أول الجواهر الاربعة ، ولما انقضت الحركة جاء السكون عند فنائها ، ودل السكون على البرد ، ولما كانت الحركة في نشأتها على هيئة التدوير انعطف ما على ما سفل فحل الحار البارد ، فحصل منه اللين فأسرع اللين الى الحر لشبهه به ، فظهر اليبس في البرد بانحلال الرطوبة منه ، فكلمت (ح) الجواهر الاربعة ثم ان الحركة اخذت صعوداً للحرارة ، التي حدثت بها من كثرة اضطرابها ، فصعدت بقدر قوتها مقدار ستين الف سنة ومائتين وخمسين سنة ، فكان ما صعد مما بقى حتى صعد اللطيف كله ، وما بقي ما برد وغلظ ، فاستقل مقدار سبعمائة وخمسين سنة ، وكان ذلك في مقدار ثمانية وأربعين ساعة، وقد علت الحركة وتباسطت واسندت وتقطعت ، فكانت كلما علا منها شيء كان اشد حرارة مما سفل منه ، فكانت تلك القطع والفصول اثنتى عشرة قطعة قطعة، واثني عشر فصلاً ، ثم أن الجزء الاسفل الساكن اشتهى الحركة واللحوق بالجزء الاعلى ، لأنه خرج منه وهو اليه أحوج ، فلما دام الحر مطلاً مغطياً لذلك الجزء الأسفل ، سخن ما يليه منه فتحرك فأخذ بالصعود ولم يقدر لثقله بما صعد قبله فلذلك علمنا ان علة الحركة الحرارة ، وعلة السكون البرودة ، وعلة الصعود الخفة ، وعلة المكث وعدم الصعود الثقل ، وعلة الخفة البساطة ، وعلة الثقل الترتكيب ، (لعلها التركيب) والعلة في كون مقدار صعودها ستين الف سنة ومائتين وخمسين سنة ، انما هي لقوة الحر في سوسها الذي له قوة الصعود والعلة في استقال الجزء الذي بقي مقدار سبعمائة وخمسين سنة انما هي لضعف القوة المحركة له عن تسخينه وتلطيفه وتخفيفه . وأما علة كينونة هذا البناء العظيم في مقدار ثماني وأربعين ساعة ، وهو مقدار قليل فهي اللطافة ، فلذلك أسرع انفعاله وانها كانت القطع اثني عشر قطعة ، لأن الحرارة ليست فيها على سواء ، بل هي اثنتا عشرة طبقة ، فكلما كان منها أخف كان أسرع صعوداً ، ثم يتبعه الذي يليه جزء بعد

جزء ، وكذلك الحرارة التي في هذا العالم ليست صنفاً واحداً ، وان كانت عقولهم لا تدرك ذلك ، وانما قويت عقولهم على ادراك ما اتصل بهم في خلفتهم . فلما لم تكن الحرارة صنفاً واحداً في هذا العالم اختلف الخلق ، فصارت تلك القطع الاثنتي عشرة علة لعدد البروج الاثني عشر التي في الفلك ، ثم انه لما علا ما سفل انفصل فصلين آخرين ، ثم انفصل كل منهما على سبعة ، فكان على أربعة عشر فصلاً فلذلك علة السموات السبع والأرضين السبع ، فخلق الزمان من ذلك الصعود ، وجعل عمر العالم سبعين الف سنة ، حتى ينفذ فلا يبقى عالم ولا زمان انتهى ما ذكره بطليموس .

أقول ، بعد حمد اللّه الذي تفجرت ينابيع حكمه البالغة من ألسنة الكاملين من عباده ، وتاهت عقول ذوي الانظار في بيداء معرفة بدائع مصنوعاته ، لما جرى بحث الحكمة اقتضى تعيينها وبيان اقسامها تكميلاً للفائدة ، فالحكمة علم يبحث فيه عن احوال اعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر ، بحسب الطاقة البشرية ، وعرفها الشيخ الرئيس ابن سينا بأنها صناعة نظر يستفيد منها الانسان ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب ، مما ينبغي أن يكتسب لتشرف نفسه وتستكمل بتصور الامور ، والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية بحسب الطاقة البشرية ، ثم ان الحكمة تنقسم الى نظرية وعملية ، فالنظرية : ما يترتب عليها حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات ، التي لا تعلق لوجودها بفعل الانسان والغرض منها حصول الرأي ، وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام العلم الأسفل ، وهو العلم الطبيعي ، والعلم الأوسط وهو العلم الرباني ، والعلم الأعلى وهو العلم الالهي ، لأن الامور التي يبحث عنها في الحكمة النظرية اما ان تكون حدودها ووجودها ومتعلقاتها بالمادة الجسمانية والحركة ، كإجرام الافلاك والعناصر ، وما يتكون منها وما يحدث من احوالها المختصة بها ، كالحركة والسكون ، والتغير والسكون ، والفساد والملي ، والنشوء والقوى ، والكيفيات وما

يشبهها من الاحوال ، فهو العلم الطبيعي ، وأما أن يكون وجودها متعلقاً بالمادة والحركة من دون حدودها ، كالتربيع والتدوير والكروية والمخروطية والعدد وخواصه ، فانك تفهم الكرة مثلاً من غير أن تحتاج الى فهم أنها من خشب او غيره ، ولا تفهم الانسان الا وأنت محتاج الى أن تفهم ان صورته من لحم وعظم ، وكذلك تفهم التقعير ولا تحتاج في فهمه الى فهم ما هية الشيء ، الذي فيه التقعير ، ومع هذا فالتدوير وما شاكله مما سبق لايوجد الا في الاجرام المتحركة ، فهي العلم الرياضي . وأما أن يكون وجودها وحدودها غير مفتقرين الى المادة والحركة ، كذات الله تعالى وصفاته ، وما كان على هذا المنوال من المعاني ، فهو العلم الالهـي ، ولما كانت الموجودات منحصرة في هذه الاقسام الثلاثة كانت الحكمة النظرية منحصرة في الاقسام الثلاثة ، والحكمة العملية ايضاً تنقسم الى ثلاثة اقسام ، لأن تدبير الانسان اما يكون بشخص واحد ، أو لا ، والثاني هو الذي يتم بالشركة أما بحسب الاجتماع ، منزلي أو مدني ، فكانت العلوم العملية ثلاثة : الأول منها ، وهو الخاص بالشخص الواحد ما يعرف به ، أن الانسان كيف ينبغي أن تكون اخلاقه وافعاله ، بحيث تكون حياته الاولى والآخرة سعيدة ، والمتكفل لبيان هذا القسم كتاب ارسطاطليس في علم الاخلاق ، والثاني ، ما يعرف فيه ان الانسان كيف ينبغي أن يكون تدبيره للمنزل المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه، حتى تكون حاله منتظمة ، ويشتمل على هذا القسم كتاب اروس في تدبير المنزل . والثالث : ما يعرف به اصناف السياسات والرئاسات والاجتماعيات المدنية الفاضلة والرديئة ، ويعرف به وجه استيفاء كل واحد منها ، وعلة زواله ، وجهة انتقاله ، وما كان يتعلق من ذلك بالملك والمتكفل ، لبيان هذا القسم بما تقتضيه الحكمة حسب الطاقة ، كتاب افلاطون وارسطو في السياسة ، وما كان يتعلق من ذلك بالنبوة والشريعة ، فتشتمل عليه كتب النواميس السماوية التي بها السعادة الابدية ، لأنها على مقتضى الامر الالهي الذي هو مقتضى الحكمة بحسب نفس الامر ، لأنه تعالى هو المطلع على ما يليق بالحال وعلى ما هو في نفس الأمر .

واما علم ما سوى الله تعالى من اصناف البشر ، فأنها هوس وظنون وأوهام وخبط عشواء ، الا ما تلقيناه من الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام والله الموفق .

والحكمة الطبيعية تنقسم الى قسمين : الأول ما يقوم مقام الأصل ، والثاني ما يقوم مقام الفرع ، فأن ما يقوم مقام الاصل فثمانية أقسام : القسم الأول ما تعرف به الأمور العامة لجميع الطبيعيات ، ويشتمل عليه كتاب الكيان ، والقسم الثاني ما يعرف به أحوال الاجسام التي هي أركان العالم ، وهي العناصر وطبائعها وحركاتها وموضعها ، ويشتمل عليه كتاب السماء والعالم ، والقسم الثالث ما يعرف حال الكون والفساد والتوليد والنشوء والبلاء والاستحالة ، ويبين فيه عدد الاجسام القابلة لهذه الاحوال ، ولطيف صنع الله تعالى في ربط الارضيات بالسموات ، ويشتمل عليه كتاب الكون والفساد ، والقسم الرابع ما يبحث فيه عن الاحوال التي تعرض العناصر قبل الامتزاج لما يعرض لها من أنواع الحركات والتخلخل والتكاثف بتأثير السموات ، وما يبحث فيه عن العلامات والشهب والغيوم والامطار والهالة وقوس قزح والصواعق والرياح والزلزال والبحار والجبال ، ويشتمل على هذا القسم كتاب الآثار العلوية ، والقسم الخامس ما يعرف به الكائنات النباتية المعدنية ، ويشتمل عليه كتاب المعادن والقسم السابع ما يعرف به حال الكائنات الحيوانية ويشتمل عليه كتاب طبائع الحيوان ، والقسم الثامن ما يعرف به النفس والقوى الدراكة التي في الحيوانات ، ولا سيما قوى الانسان ، وعدم موت قوة النفس بموت الانسان ، وأنها جوهر روحاني ، والمتكفل لبيان هذا القسم بلا مزيد عليه ، كتاب النفس والحس والمحسوس .

وأما ما يقوم مقامه الفرع فسبعة (عدد المؤلف خمسة منها فقط) أقسام : الأول الطب ، والغرض منه معرفة مبادىء البدن الانساني وأحواله من الصحة

والمرض وأسبابهما ودلائلهما ، ليدفع المرض وتحفظ الصحة ، واحسن كتاب صنف فيه على عهد الحكماء الاسلام قانون الشيخ الرئيس ابن سينا ، وهو علم تخميني، والغرض فيه الاستدلال بقياس بعض الكواكب الى بعض وبقياسها الى درج البرج ، وبقياس جملة ذلك الى الارض ، وعلى ما يكون من أحوال أدوار العالم ، والملك والممالك والبلاد والمواليد والتحاويل والاختبارات وغير ذلك من المطالب . والقسم الثاني علم التعمير ، والغرض منه الاستدلال بالمتخيلات الحكمة على ما شاهدته النفس من عالم الغيب ، فضيلته القوة المخيلة بمثال غيره ، والقسم الثالث علم الفراسة ، والغرض منه الاستدلال من الخلق على الخلق ، والقسم الرابع علم الطلسمات ، والغرض منه تمزيج القوى السماوية وقوى بعض الاجرام العلوية ، ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلاً غريباً في عالمنا الارضي ، لتحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب ، والتكفل لأنواع هذا الفن كتاب أبي القاسم ، فأنه مشتمل على أبواب كثيرة عجيبة . والقسم الخامس علم الكيمياء ، والغرض منه سلب الجواهر المعدنية خواصها وافادتها كذا خواصاً وافادة بعضها خواص بعض آخر ، والمتكفل بهذا الفن كتاب جابر الحكيم ، فأنها بديعة الأسلوب خفية الاشارات والرموز ، وقل من وقف على حقيقة هذا العلم ، ولذا أنكره بعض الناس ، والظاهر ان له حقيقة يخص الله به من يشاء من عباده والكيمياء العملية من فروع هذه الكيمياء ، فهذه جملة أقسام الحكمة الطبيعية الاصلية والفرعية ، واما أقسام الحكمة الرياضية الاصلية فهي أربعة : علم العدد ، وعلم الهندسة ، وعلم الهيئة ، وعلم الموسيقى . فأما علم العدد فهو الذي يعرف به حال أنواع العدد وخاصة كل نوع في نفسه ، وحال النسب بعضها من بعض وعلم الهندسة يعرف منه حال أوضاع الخطوط وأشكال السطوح وأشكال المسطحات والنسب الى المقادير وذوات الاشكال والاوضاع ، ويشتمل عليه كتاب اقليدس «علو الهيئة» ما يعرف به حال أجزاء العالم في اشكالها وأوضاع بعضها بالنسبة الى بعض ، ومقاديرها

وأبعادها ما بينها وحال الحركات التي للأفلاك والكواكب وفرض الدوائر والكرات والأس التي بها تتم الحركات ، ويشتمل عليه كتاب المجلسي وهو كتاب عظيم في هذا الفن ، وعلم الموسيقى ما يعرف به حال النغم والعلة في اتفاقها واختلافها ، وحال الابعاد والاجناس والجموع والانتقالات والايقاع ، وكيفية تألف ومعرفة الملاهي كلها بالبراهين . ولفظ الموسيقى معناه الالحان واحسن كتاب وقفت عليه من كتب هذا الفن كتاب «المدخل الى صناعة الموسيقى» لأبي نصر بن محمد الطوخاني ، وأما أقسام الحكمة النظرية الفرعية فكثيرة ، فمن فروع علم العدد : عمل الجمع والتفريق بالهندي ، وعمل الجبر والمقابلة وغير ذلك ومن فروع الهندسة عمل المساحة ، وعمل جسر الاثقال ، وعلم الاوزان والموازين ، وعلم الآلات الجزئية، وعلم القناطر والمريا ، وعلم نقل المياه ومن فروع علم البيئة الزيج الزايرجات والتقاديم ، ومن فروع علم الموسيقى اتخاذ الآلات العجيبة المطربة ، والاقسام الاصلية للعلم الالهي خمسة : الاول النظر في معرفة المعاني لجميع الموجودات ، من الهيبة والوحدة والكثرة والوفاق والخلاف والتضاد والقوة والفعل والعلة والمعلول . والثاني النظر في الاصول والمبادىء مثل علم الطبيعيين والرياضيين ، وعلم المنطق ومناقشة الآراء الفاسدة فيها . والثالث النظر في اثبات الحق الاول وتوحيده والدلالة على تفريده وربوبيته ، وامتناع مشاركة موجود في مرتبة وجوده ، وانه وحده واجب الوجود بذاته ، ووجود ما سواء يجب به ، ثم النظر في صفاته وانها كيف تكون صفاته ، وان المفهوم من لفظ كل صفة هو ان الالفاظ المستعملة في صفاته مثل الواحد والموجود والقديم والعالم والقادر ، يدل كل واحد منها على معنى آخر ، وان هذه الصفات له تعالى لا توجب كثرة في ذاته تعالى ، ولا تفدح (لعلها تقدح) في وحدانيته اذ انه الحقيقة ، والرابع النظر في اثبات الجواهر الاول الروحانية ، التي هي مبدعاته واقرب مخلوقاته منزلة عنده ، والدلالة على كثرتها واختلاف مراتبها وطبقاتها ، وهذه مرتبة الملكة الكروبيين ، ثم في اثبات الجواهر

الروحانية وطبقاتها ، وهذه مرتبة الملائكة الموكلة بالسموات وحملة العرش ، ومدبرات الطبيعة ومقرها ومتعهدات ما يتولد في عالم الكون والفساد والخامس في تسخير الجواهر الجسمانية التي بعضها عاملة وبعضها آمرة عن رب العالمين والدلالة المبلغة وارتباط الكل بالامر الذي ما هو الا واحد لمح البصر ، والكل لا تفاوت فيه ولا فطور ، ولا في أجزائه ، وان مجراه الحقيقي على مقتضى الخير المحض ، وان الشر فيه ليس بمحض ، بل هو الحكمة والمصلحة ، وهو ينبع في جهة خير فهذه اقسام الفلسفة الاولى ، اعني الاهي ويشتمل عليه كتاب «ماطانوسقا» (كذا في الاصل والاصح ماطافوسفا) فانه عرف جميع هذا بالبرهان وفروع علم الالهي منها معرفة كيفية نزول الوحي ، والجواهر الروحانية ، التي تؤدي الوحي ، وان الوحي كيف يتأدى حتى يصير مبصراً مسموعاً ، وان الذي يأتيه الوحي تصدر عنه المعجزات المخالفة لمجرى الطبيعة ، ويخبر بالغيب وان الابرار الاتقياء كيف يكون لهم الهام وكرامات تشبه المعجزات وان الروح الامين جبريل عليه السلام من طبقات الجواهر الروحانية ، وان الانسان لم يخلق سدى يذهب الى ما يشاء بوهمه ، بل لابد له من التدين بدين صحيح ، يعرف بدلائله البديهية المسلمة المقدمات لدى من القى السمع وهو شهيد وترك التعصب وموافقة هوى النفس في تقليد ابيه وجده من غير نظر صحيح دقيق ، فان الاثر يدل على المسير ، والحق ابلج والله الموفق الى اتباع دين الاسلام المبني على توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل نقص ، وعما لا يليق بمقام الربوبية ، وعلى الايمان بجميع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وبكتبهم والسلام وبكتبهم المنزلة عليهم من اعتقاد والعصمة فيهم وتنزيههم من العيوب مع التكليف بالعبادات الكثيرة ليلاً ونهاراً المشروطة بالطهارة والنظافة والنهي عن كل منكر ، فمن انصف بعد مطالعة كتب الاسلام القوية الاركان وجد من نفسه حلاوة لدين الاسلام ، واستقامة في مناهجه ، وعدلاً في احكامه ، والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل . والطرق

الصحيحة الموافقة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه الاعظم سيدنا محمد (ص) وما عليه الائمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم من اهل السنة والجماعة ، المبنية اقوالهم على الكتاب والسنة البرية عن الأكاذيب الظاهرة ، لا ما ذهب اليه الرافضة من الآثار الشنيعة والهذيانان (لعلها الهذيان) القبيحة ، التي ما انزل الله بها من سلطان ، ولم توجد في شريعة من الشرائع من لدن آدم عليه السلام الى سيدنا محمد (ص) انما زورها المنافقون ، ومن وقف على كتب هذه الفئة وسائر الخوارج والرافضة ، واطلع على ما فيها من الهذيان ، والشنائع المخالفة لقواعد الاسلام ، ودقق النظر ، تيقن ان الحق مع ما عليه أهل السنة والجماعة ، ومن يضلل الله فلا هادي له ، (ثم اعلم) أن الرسالة عطية الهية لا تكتسب بجهد ، ولا تنال بكسب ، فالله اعلم حيث يجعل رسالته ، ولكن الكسب في امداد النفس لقبول آثار الوحي بالعمادات والمعاملات الخالصة عن الرياء من لوازم الرسالة . وكما ان النوع الانساني متميز عن سائر الحيوانات بنفس ناطقة هي فوقها بأفضلية العقلية ، كذلك نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تميزت عن عقول الناس بعقل كامل مهدي ، هو فوق العقول كلها بالفضيلة البانية ، فأن النبي وان شارك الناس في البشرية والانسانية من حيث الصورة ، فقد يأتيهم من حيث المعنى ، إذ بشريته فوق بشرية الناس ، لاستعداد بشريته لقبول الوحي ، وقد اشار الله تعالى الى جهة المشابهة من حيث الصورة ، بقوله : إنما أنا بشر مثلكم ، والى جهة المباينة من جهة المعنى ، بقوله : يوحي إليّ ، فالنبي وان شارك الناس من حيث أصل الانسانية والبشرية ، الا ان انسانيته معقلة فوق سائر البشريات والعقول ، فإن مراتب العقول متفاوتة ، وهي على تفاوتها لم تبلغ في النوع الانساني الى حد الكمال ، الا في الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فأنهم قد أوتوا الكمال في حدس القوة النظرية ، حتى استغنوا عن المعلم البشري ، وأوتوا للقوة المختلية (لعلها المتخلية) استقامة وهمة ، حتى تشاهد العالم النفساني بما فيه من أحوال

العالم ، فيصير العالم وما يجري فيه متمثلاً لها ، ويكون لقوته النفسانية ، أن يؤثر في عالم الطبيعة حتى تنتهي الى درجة النفوس السماوية ، ثم بعدهم الذي له الامر له الامران الأولان ، وليس له الأمر الثالث ، ثم الذي له هذا التهيؤ الطبيعي في القوة النظرية لاتهيء ولا اكتساء تكلفي ، ولكن له النهي في القوة العملية فالرئيس المطلق والملك الحقيقي الذي يستحق بذاته أن يملك ، هو الأول الذي إن نسب نفسه الى عالم العقل وجد كأنه يتصل به دفعته ، وان نسب نفسه الى عالم النفس وجد كأنه من سكان ذلك العالم ، وان نسب نفسه الى عالم الطبيعة كان فعالاً فيه ما يشاء والذي تبلوه ايضاً رئيس كبير ، وبعده في المرتبة والباقون هم أشراف النوع الانساني وكرامه ، وأما الذين ليس لهم استكمال شيء من القوى ، الا انهم يصلحون الاخلاق ، ويقتنون الملكات الفاضلة ، فهم الأذكياء من النوع الانساني ، ليسوا من ذوي المراتب العالية ، الا انهم مميزون عن سائر أصناف الناس ، هذا ، وفي اثبات النبوة والرسالة طرق ، منها الذي أنشيء من الحركات الاختيارية ، وهي اقسام ثلاثة فكرية وقولية ، والحركة الفكرية يدخلها الحق والباطل ، والقولية يدخلها الصدق والكذب ، والعملية ويدخلها الخير والشر . ولاشك إنها على تضادها واختلافها ليست واجبة التحصيل بجملتها ، فإن من أفتى بهذه الفتوى يكون مستحق القتل بفتواه المذكورة ، لأن قتله من جملة المحركات ، وهو قد أفتى بأن تحصيل كل حركة واجبة ، اي واجب الفعل ، وليس كلها واجب الترك ، لأن مَنْ افتى بوجوب ترك كل حركة فظهر من هذا ان بعض الحركات واجب الفعل ، وبعضها واجب الترك ، واذا ثبت هذا فقد ثبت حدود في الحركات ، اعني الحق والباطل والصدق والكذب والخير والشر ، فما كان حقاً وصدقاً وخيراً كان واجب التحصيل ، وما كان باطلا وكذبا وشراً كان واجب الترك . والتمييز بين الحركات بحدودها المذكورة لا يخلو : أما أن يعرفه كل أحد أو لا يعرفه أحد ، لوجود من يعرفه من الخواص ، وبطلان أن يعرفه كل احد لكثرة مَنْ لا يعرفه من العوام ،

فظهر ان الصحيح انما هو ان يعرفه احد دون احد فثبت بالتقسيم الاول حدود في الحركات ، وثبت بالتقسيم الثاني أصحاب حدود يعرفونها ، هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، أصحاب الشرائع المؤيدة عقولهم بالوحي ، الذي لا يحتمل الخطأ الذي به حفظ نظام العالم ، فثبتت النبوات بضرورة الحركات ، وقد أقيمت أدلة كثيرة على اثبات النبوات ، استوفيتها في الكتاب المسمى بـ «الصراط المستقيم » في الرد على النصارى أو اليهود .

ومن فروع العلم الالهي : ان الأرواح البشرية حادثة ، حدثت عند استعداد النطفة لقبول النفس من واهبها ، كما قال اللّه تعالى : فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ، والدليل العقلي على ذلك أن الارواح لو كانت موجودة قبل الابدان لكانت إما كثيرة وإما متحدة ، وكل منهما باطل ، فبطل وجودها قبل الابدان ، أما بطلان الوحدة فلأنها بعد التعلق بالأبدان أما أن تبقى الروح على وحدتها ، أو تكدر وكل منهما باطل أيضاً . أما بطلان بقاء الوحدة بعد التعلق بالأبدان فلأن الواحد إنما يقبل القسمة والكثرة ، اذا كانت من المقادير كالجسم ، فأنه لكونه ذا مقدار يمكن تقسيمه وتبعيضه وتكثيره ، واما اذا لم يكن من المقادير كالروح فأنه لا يقبل القسمة ولا التكثير. هذا واما استحالة كثرة الوحي قبل التعلق بالأبدان فلأنها اما ان تكون متماثلة او مختلفة ، وكل منهما محال . اما استحالة التماثيل فلأن وجود المثلين محال في الأصل ، ولذا يستحيل وجود سوادين في محل ، وجسمين في مكان واحد ، لأن الأينينية تستدعي المغايرة ، ولا مغايرة هنا بخلاف وجود سوادين في محلين أو في محل واحد في زمانين ، فأنه جائز غير مستحيل ، فليس في الوجود مثلان مطلقا ، بل بالاضافة كقولك زيد مثل عمرو في الانسانية ، او الجسمية سواد الحبر والغراب مثلان في السوادية . وأما استحالة التخالف والتغاير فلأن التغاير على نوعين : احدهما باختلاف العوارض التي لا تدخل في الماهية ، كتغاير الماء البارد للماء الحار ، فإن كان تغاير الارواح البشرية بالنوع

والماهية ، فهو محال لأن الأرواح البشرية متفقة بالحد والحقيقة ، وهو نوع واحد ، لأن الحد وهو حيوان ناطق يشملها متفقة بالحد والحقيقة ، وهو نوع واحد ، لأن الحد وهو حيوان ناطق يشملها وان كانت متغايرة بالعوارض ، فهو ايضاً محال ، لان الحقيقة الواحدة انما تتغاير عوارضها إذا كانت متعلقة بالأجساد ، منسوبة اليها بنوع ما ، ولا تعلق لها بالأجسام قبل وجود الأبدان . فكان الاختلاف محال لأن الاختلاف انما هو في اجزاء الجسم ضرورة ، فإن قبل ، فكيف تكثرت الارواح وتغايرت بعد مفارقة الاجسام لا تعلق لها (رح) بالأجسام . قلنا : أنها قد اكتسبت بعد التعلق بالأبدان أوصافاً مختلفة ، من العلم والجهل والصفاء والكدورة وحسن الاخلاق وقبحها ، فبقيت متغايرة بسبب تلك الاوصاف ، فعقلت كثرتها بعد المفارقة بخلافها قبل تعلقها بالأبدان ، فانه لاسبب لتغايرها العلم الالهي .

ومن فروع اعتقاد المعاد الجسماني فأنه يقال لو لم يبعث الانسان ببدنه لكان له ببقاء وجه بعد موته ثواب وعقاب غير بدنيين ، وكانت الروح النقية التي هي النفس المطمئنة الصحيحة الاعتقاد العاملة للخير ، الذي يوجبه الشرع والعقل ، فائزة بسعادة ألذ من كل سعادة ، ولم يخالف العقل في أنها تكون للبدن ايضاً ، الا (وردت لا) ان البدنية لا يفي بوصفها الا الوحي والشريعة دون العقل ، وان جوزها لا يفي بوصفها اذ لا مجال له في وصفها ، لأن الوصف لا يكون الا بالأخبار النبوية الصادقة ، بخلاف السعادة والشقاوة الروحانيين ، فأن العقل طريق اليهما ، هذا ، وأقسام المنطق الذي هو آلة الى كسب الحكمة النظرية والعملية الصائنة عن الخطأ في الفكر تسعة :

الأول : بحث أقسام اللفظ والمعاني من حيث هي مفردة ومركبة ، وهو كتاب «ايسافوجي» تصنيف كذا ، والاصح «فرفريوس» المعروف بالمدخل الثاني : بحث المعاني المفردة الذاتية الشاملة لجميع الموجودات من غير شرط تحصلها في

الوجود او قوامها في العقل ، ويشتمل عليه كتاب ارسطو المعروف «بقاطغورياس» أي المقولات . الثالث : تبيين تركيب المعاني المفردة بالسلب والايجاب ، حتى تصير قضية وخبراً يلزمه الصدق والكذب ، ويشتمل عليه كتاب ارسطو المسمى بـ «العبارة» . الرابع : تبيين تركيب القضايا حتى يتألف منها القياس في تأليف القضايا التي هي مقدماته ، ويشتمل عليه كتاب ارسطو المعروف «آنولوطيقي» . الخامس والسادس : ما يشتمل على تعريف القياسات النافعة في المخاطبات والمواضع ، التي تكتسب منها الحجج في الجدل من السائل ، والعجيب ويشتمل عليه كتاب ارسطو الموسوم بـ «ديالقطيقي» أي الجدل ، وبهذا تعرف القياسات الاقناعية في الامور الكلية . السابع : ما يشتمل تعريف المغالطات ، التي تقع في الدلائل والمجاز والسهو ، وتعديدها بأسرها ، والتنبيه على وجه الاحتراز عنها ، ويتضمنه كتاب ارسطو المعروف بـ «سوفسطيقا» أي نقض شبه المغالطين . الثامن: ما يشتمل عليه تعريف المقاييس الخطابية النافعة ، في مخاطبات الجمهور ، على سبيل المخاصمة والمشاهرة والمدح والحيل النافعة في الاستعطاف والاغراء ، وتصغير الأمر وتعظيمه ، والمعاينة ووجوه ترتيب الكلام في كل قصة وخطبة ويتضمن كتاب ارسطو المعروف بـ «روطوريقي» أي الخطابة . التاسع : ما يشتمل على الكلام الشعري انه كيف يجب أن يكون ، وما أنواع النقص فيه ، ويشتمل عليه كتاب ارسطو المعروف بـ «عرنيطقا» ويقال «برايطقا» أي الشعر فهذه ثلاثة وخمسون علماً ، وهي عدة العلوم الحكمية على ما ذكرها الشيخ الرئيس ابن سينا، وقال بعد عدها : فقد دللت على أقسام الحكمة ، فظهر انه ليس شيء منها ما يخالف الشرع ، فإن الذين يدعونها ثم يزيغون عن منهاج الشرع انما يصلون من تلقاء انفسهم ومن عجزهم وتقصيرهم ، لأن الصناعة توجيه فأنها بريئة منهم .

أحوال بغداد

الباب الأول

في بيان فضائل بغداد، وبنائها وبانيها، وانهارها وجسورها، وعشائرها واكابرها القديمة، وبيان سواد العراق، وعشره وخراجه وغير ذلك، مما يتعلق بأحوال بغداد وفيه عدة ابواب

الباب الاول

في فضائلهـــــا

روى أبو بكر النيسابوري عن يونس بن عبد الأعلى ، انه قال له الشافعي رضي الله عنه : يا يونس هل دخلت بغداد ، قال : قلت له لا ، قال : ما رأيت الناس ، ولا رآك الناس . وروى احمد بن أبي طاهر أنه قيل لرجل : كيف رأيت بغداد ؟ قال : الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها ، وروى ابن سلامة عن ابن علية انه قال : ما رأيت قوماً أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد ، وروى الشافعي رضي الله عنه انه قال : ما دخلت بلداً قط الا عددته سفراً ، الا بغداد فاني حين دخلتها عددتها وطناً ، وروى عن ابن مجاهد المقري إمام الزمان انه قال : رأيت أبا عمرو بن العلاء ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : دعني مما فعل الله بي ، منْ أقام ببغداد على السنّة والجماعة ، ومات نقُل من جنة الى جنة . وقال أبو بكر بن عياش : الاسلام ببغداد ، وانها لصيادة تصيد الرجال ، ومن لم يرها لم ير الدنيا .

وقال أبو عثمان الجاحظ في وصف البلاد : الصناعة بالبصرة ، والفصاحة بالكوفة ، والخير ببغداد ، والغدر بالري ، والحسد بهراة ، والجفاء بنيسابور ، والبخل بمرو ، والطرقدة بسمرقند ، والمروءة ببلخ ، والتجارة بمصر ، ونقل الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة عن تذكرة الصلاح الصفدي انه قال : كان الشيخ تاج الفزاري يقول : ان الحكماء وأهل التجارب ذكروا : أنه منْ أقام ببغداد سنة وجد في عمله زيادة ومن امام بالموصل سنة وجد من عقله زيادة ومن اقام في حلب سنة وجد في نفسه شحاً ومن أمام بدمشق سنة وجد في طباعه غلظة ، ومنْ اقام بمصر سنة وجد في نفسه أي في اخلاقه رقة وحسناً .

ونقل عن مباهج الفكر انه روي عن كعب انه قال : لما خلق الله تعالى الاشياء قال العقل : انا لاحق بالشام (وردت في أغلب المصادر بالعراق) فقالت الفتنة :

وانا معك وقال الخصب : انا لاحق بمصر ، فقال الذل : وانا معك وقال : الشقاء انا لاحق بالبادية ، فقال الفقر : وأنا معك ، ونقل عن محمد بن حبيب انه قال : لما خلق الله تعالى الخلق خلق معهم عشرة أخلاق ، الايمان والحياء باليمن ، والنجدة والفتنة بالشام ، والكبر والنفاق بالعراق ، والغنى والذل بمصر ، والفقر والشقاء بالبادية .

ونقل عن بعضهم انه قال : ان الله تعالى جعل البركة عشرة اجزاء : تسعة منها في قريش ، وواحداً في سائر الناس ، وجعل المكر عشرة اجزاء : تسعة منها في القبط وواحداً في سائر الناس ، وجعل الجفاء عشرة اجزاء : تسعة منها في الروم ، وواحدة في سائر الناس ، وجعل الصناعة عشرة اجزاء : تسعة منها في الصين وواحدة في سائر الناس ، وجعل الشهوة عشرة اجزاء : تسعة منها في النساء وواحدة في الرجال ، وجعل العمل عشرة اجزاء : تسعة منها في الانبياء وواحداً في سائر الناس ، وجعل الحسد عشرة اجزاء : تسعة منها في اليهود وواحداً في سائر الناس .

وحكي عن الحجاج انه سأل ابن القرية عن طبائع اهل البلاد ، فقال : أهل الحجاز أسرع الناس الى الفتنة ، وأعجزهم عنها ، رجالها حفاة ونساؤها عراة وأهل اليمن أهل سمع وطاعة ولزوم الجماعة ، وأهل عمان عرب أستنبطوا وأهل البحرين نبط استعربوا ، واهل اليمامة اهل جفاه واختلاف آراء ، واهل فارس اهل بأس شديد وعز عتيد ، واهل العراق ابحث الناس عن صغيرة واضيعهم للكبيرة . واهل الجزيرة اشجع فرسان واقتل للأقران . واهل الشام اطوعهم لمخلوق واعصاهم لخالق . وأهل مصر عبيد لمن غلب ، اكيس الناس صغاراً

واجهلهم كباراً .

أقول : أهل اليمامة احق بأن يكونوا أهل بأس شديد ، لقوله تعالى في حقهم : ستدعون الى قوم أولي بأس شديد ، فما ذكر ابن القرية ليس في محله . ونقل عن ابن القرية انه قال : الهند بحرها در ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عود وورقها عطر . وكرمان ماؤها وشل ، وتمرها دقل ، ولصها بطل ، وخراسان ماؤها جمد جامد ، وعدوها جاهد ، وعُمان حرها شديد ، وصيدها عتيد ، والبحرين كناسة بين المصرين والبصرة ماؤها ملح ، وحربها صلح ، مأوى كل تاجر ، وطريق كل عابر ، والكوفة ارتفعت عن حر البحرين ، وسفلت عن برد الشام . وواسط جنة. والشام عروس بين نساء جلوس ، ومصر هواؤها راكد وحرها متزايد ، تطيل الاعمار وتسود الابشار .

هذا وقال ابو بكر الديلمي : سافرت الآفاق ودخلت البلدان من حد سمرقند الى قيروان ، ومن سرنديب الى بلاد الروم ، فما وجدت بلداً افضل ولا اطيب من بغداد . وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه : ان بغداد سميت مدينة السلام ، فليس في الارض مدينة على هذا الاسم غيرها . قال : وكان بعض اخوتنا اذا ذكرها يقرأ قوله تعالى : «بلدة طيبة ورب غفور » . وقد اختصت بغداد ، من بين البلاد شرقاً وغرباً ، باتصاف اهلها بالاخلاق الكريمة الحميدة والسجايا المرضية بالمياه العذبة والفواكه الكثيرة ، والاحوال الجميلة ، وبفطنة اهلها وذكائهم واجازة علمائها للعلوم النقلية والعقلية والفنون الادبية . ولهم المهارة التامة في نقد الشعر الجيد من الرديء . ودقة شعرهم لا تخفى على منْ له معرفة بنقد الشعر ، ولا فرق بين شعرهم وشعر اهل الاندلس ، في الرقة والمعاني البديعة ، ولهم المعرفة الصحيحة بأنساب العرب واخبارهم ، ولهم المؤلفات الكثيرة المفيدة في كل فن .

ومن اخلاق اهل بغداد ، انك اذا جلست مع احدهم ثم غبت عنه فقدك ،

واذا رآك لازمك ، وان لم يكن من قبل عرفك ، يقرون الضيف ويؤثرون على انفسهم بكل سابقة ، وخير كما هو مشهود من احوالهم ، ومسلم لدى من سافر الى بغداد .

واما ما ورد من الاحاديث المبشرة بكون بغداد غير مباركة ، كحديث جرير بن عبد الله البجلي عن النبي (ص) انه قال : «تبنى مدينة بين دجلة ودجيل ، وصراة وقطربل ، تجيء اليها كنوز الارض ، ويجتمع اليها كل انسان ، فهي أسرع ذهاباً من الارض » ، والحديث . وكحديث ابي الاسود الدؤلي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : سمعت حبيبي محمد (ص) يقول : «سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة وقطربل والصراة ، يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب ، يسكنها اشرار خلق الله تعالى وجبابرة. أما أن هلاكها على يد الفيافي ، كأني بها والله قد صارت خاوية على عروشها . فقد قال الشيخ الامام أبو بكر : كل هذه الاحاديث التي ذكرت في بغداد واهية الاسانيد ، عند اهل العلم والمعرفة ، لا يثبت بامثالها حجة غير محفوظة ، الا من هذه الطرق الفاسدة ، وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : سئل أبي ، يعني احمد رضي الله عنه ، عن حديث جرير تبنى مدينة (الخ) فقال : ما حدث به انسان ثقة ، وجميع اهل الحديث ، الثقات العدول ، الذين عليهم المدار في تصحيح الاحاديث قد اطبقوا على ان الاحاديث الواردة في بغداد واهية الاسانيد ، لا تحفظ متونها الا من تلك الاسانيد الواهية الفاسدة .

وقطربل ، بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة والباء الموحدة المشددة ويجوز تخفيفها ، موضع بالعراق ينسب اليه الخمر ، وليس له اليوم اثر وروى النويري في تاريخ بغداد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال النبي (ص) : اللهم بارك لنا في صلعنا وفي مدنا وفي شامنا وفي يمننا وفي حجازنا قال : فقام اليه رجل فقال يا رسول الله وفي عراقنا فأمسك النبي (ص) فلما كان

في اليوم الثاني قال مثل ذلك ، فقام اليه الرجل فقال : وفي عراقنا فأمسك النبي (ص) فلما كان في اليوم الثالث قام اليه الرجل ، فقال يا رسول اللهّ وفي عراقنا ؟ فأمسك النبي (ص) فولى الرجل وهو يبكي فدعاه النبي (ص) فقال : أمن أهل العراق أنت ؟ قال : نعم ، قال : ان ابراهيم عليه السلام هم أن يدعو عليهم فأوحى اللّه تعالى اليه : أن لا تفعل فأني جعلت خزائن علمي فيهم ، وأسكنت الرحمة قلوبهم ، الحديث .

وكفى بفضل العراق وأهله هذا الحديث الناطق بأن فيهم خزائن علم اللّه تعالى، وان في قلوبهم الرحمة ، وهو كما أخبر الصادق الأمين (ص) فأن علماء العراق قد حازوا العلوم ، النقلية والعقلية ، بأنواعها واصنافها ، ولم يتركوا علماً الا وقد تبحروا فيه ، ولهم التآليف المفيدة في كل فن .

وبالجملة ، لا يخلو العراق عن العلماء الاعلام في المنقول والمعقول ، ولاسيما في المعقول فأنه مخصوص بأهل العراق . كما لا يخفى على المنصف ، وغالب المجتهدين العظام من اهل العراق ، كأبي حنيفة وسفيان الثوري وأبن حنبل وأبي يوسف ومحمد وغيرهم ، وعن ابن الكلبي انه قال : سُميت بغداد بلسان الفرس ، لانه أهدي لكسرى عبد خصي من المشرق ، فأقطعه بغداد ، وكان لأهل المشرق صنم يعبدونه يسمى بغ ، فقال العبد المشرقي بغ داد اي عطية الصنم . والفقهاء يكرهون هذا الاسم من اجل هذا ، وسماها ابو جعفر المنصور مدينة السلام ، لأن دجلة كان يُقال لها وادي السلام .

وعن الاصمعي ، يقال بغداد ومغدان وبغدان ، وبعض الاعاجم زعم ان معنى بغداد بستان رجل ، فبغ بستان وداد رجل ، وانشد ابو سعيد الهمداني لنفسه في مدح بغداد .

فدى لك يا بغداد كل قبيلة ... من الأرض حتى خطتي ودياريا

فقد طفت في شرق البلاد وغربها | وسيرت رحلي بينها وركابيـــا
فلم أر فيها مثل بغـــداد منزلا | ولم أر مـــثل دجـــلة واديـــا
ولا مثل أهليها أرق شـــــمائلاً | وأعذب الفاظاً وأحلى معانيـــا
وكم قائل لو كان ودك صادقـــاً | لبغداد لم ترحل فكان جوابيـــا
يقيم الرجال الاغنياء بأرضـــهم | وترمي النوى بالمقترين المراميا

وقال طاهر الخازن في مدحها :

سقى الله صوب الغاديات محلـــة | ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر
هي البلدة الحسناء خصت بأهلها | بأشياء لم يجمعن قد كن في مصر
هواء رقيق في إعتدال وصحـــة | وماء له طعم ألذ من الخمـــــر
ودجلتها شطان قد نظما لنـــا | بتاج الى تاج وقصـــر الى قصر
ثراها كمسك والمياه كفضـــة | وحصباؤها مثل اليواقيت والـــدر

الباب الثاني

في بنائها وبانيها وجسورها

روى النويري في تاريخ بغداد عن جرير : ان ابا جعفر المنصور بويع له سنة ست وثلاثين ومائة ، واستتم البناء سنة ست وأربعين ومائة وسماها مدينة السلام وقال القرماني في تاريخه : «وفي سنة تسع وأربعين ومائة فرغ من بناء بغداد ، قال الشيخ ابو بكر : بلغني ان المنصور لما عزم على بنائها احضر المهندسين ، فمثل لهم صفتها التي في نفسه ، ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم ، واجرى عليهم الارزاق ، وكتب الى كل بلد في حمل منْ فيه ممن يفهم شيئاً من أمر البناء ، ولم يبتدىء في البناء حتى تكامل بحضرته من اهل الصناعات ألوف كثيرة ، ثم اختطها وجعلها مدورة ، ويُقال لا يعرف في اقطار الدنيا مدينة مدورة سواها ، ووضع اساسها في وقت اختاره له نوبخت المنجم » .

قال الخوارزمي : فرغ ابو جعفر من بنائها ونزلها مع جنده ، وسماها مدينة السلام بعد مائة سنة وخمس أربعين سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام من الهجرة النبوية ، على صاحبها افضل الصلوات والسلام ، وحكى ابن عرفة الازدي عن بعض المنجمين : انه قال للمنصور لما فرغ من مدينة السلام : خذ الطالع ، فنظر في مطالعها وكان المشتري في القوس ، فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا اليها ، وفقر الناس الى ما فيها ، ثم قلت له،

وأبشرك يا أمير المؤمنين بأن الله تعالى أكرمك بخلة أخرى من دلائل النجوم ، انه لا يموت فيها خليفة من الخلفاء ابداً ، فرأيته تبسم لذلك فقال : الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم بناؤها ، على ما قاله أبو الفداء اسماعيل الأيوبي في تاريخه : ان المنصور كره مسكن الهاشمية ، التي بناها بنواحي الكوفة ، فأنه كان لا يأمنهم على نفسه فخرج يرتاد له موضعاً يسكنه ، فأختار موضع بغداد سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال احمد البربري : مدينة أبي جعفر المنصور ثلاثون ومائة جريب ، خنادقها وسورها ثلاثون جريباً ، وأنفق عليها ثمانية عشر الف الف ، وبنيت سنة خمس وأربعين ومائة .

وروى ابو الفضل عن بدر غلام المعتضد انه قال : أمر أمير المؤمنين ان ينظروا كم مدينة أبي جعفر فنظرنا فوجدنا وحسبنا ، فاذا هي ميلان مكسران في ميلين . وقال الشيخ ابو بكر : رأيت في بعض الكتب أن أبا جعفر المنصور انفق على مدينته ، وجامعها وقصر الذهب والأبواب والأسواق ، الى ان فرغ من بنائها أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً ، مبلغها من الفلوس مائة الف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس ، وذلك ان الاستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات ، والروزجاري يعمل بحبتين الى ثلاث حبات ، وفي مبلغ النفقة على المدينة قول آخر بينه وبين هذا القول تفاوت كثير :

وروى الفضل بن مخلد عن ابن رستم انه قال : رأيت في زمن أبي جعفر كبشاً بدرهم ، وجملاً بأربعة دوانيق ، والتمر ستين رطلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم والسمن ثمانية ارطال بدرهم .

وروى ابن سلام المسواق عن أبي نعيم الفضل بن دكين انه قال : كان ينادي على لحم البقر في جبانة كندة تسعين رطلاً بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم ، وكانت بغداد اذ ذاك في غاية السعة والرخاء والبركة .

وقال أبو النصر المروزي : سمعت احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول : بغداد من الصراة الى باب التين ، وقال الشيخ ابو بكر عن احمد بن حنبل : مدينة المنصور وما لا صقها واتصل ببنائها خاصة ، لأن أعلى البلد قطيعة أم جعفر دونها الخندق ، يقطع بينها وبين الماء المتصل بالمدينة ، وكذلك اسفل البلد من محال الكرخ وما يتصل به ، يقطع بينه وبين المدينة الصراة ، وهو حد المدينة وما اتصل بها طولاً ، واما حدها عرضاً فمن شاطىء دجلة الى الموضع المعروف بالكبش والاسد الآن صحراء ، مزروعة وهي على مسافة من البلد .

وروى ابو اسحاق البغوي : عن رباح البناء ، وكان ممن يتولى سور مدينة المنصور قال : كان بين كل باب من أبواب المدينة الى الباب الآخر ميلاً – كذا– في كل ساف من أسواف البناء مائة الف لبنة وأثنتان وستون الف لبنة من اللبن الجعفري ، فلما بنينا الثلث من السور صيرنا في الساف مائة وخمسين ألف لبنة ، فلما جاوزنا الثلثين صيرنا في الساف مائة وأربعين ألف لبنة الى اعلاه .

وروى محمد بن خلف عن الثوري انه قال : هدمنا من السور الذي يلي باب المحول قطعة فوجدنا فيها لبنة مكتوباً عليها : وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً ، فوزناها فوجدناها كذلك ، قال محمد بن خلف : وبنى المنصور مدينته وبنى لها أربعة أبواب : باب الكوفة ، وباب البصرة ، وباب الشام ، وباب خراسان ، وجعل كل باب مقابلاً الى مصر ، وبنى على كل باب قبة ، وبين كل باب ثمانية وعشرون برجاً ، إلا بين باب البصرة وباب الكوفة ، فأنه يزيد واحداً ، وجعل الطول من باب خراسان الى باب الكوفة ثمانمائة ذراع ، ومن باب الشام الى باب البصرة ستمائة ذراع ، ومن أول باب المدينة الى الباب الذي يشرع الى الرحبة خمسة ابواب حديد.

وذكر وكيع في وجه بناء المنصور مدينته المدورة لها معان لا توجد في غيرهـــا ، منها ان المدورة كالدائرة ، اذا كان الملك في وسطها كان المركز لا يزيد

هذا الطرف على ذلك الطرف ، بالنسبة اليه . قال وكيع : وعمل فيها فصيلين بين كل بابين فصيلان ، والسور الداخلي أطول من الخارج ، وامر ايضاً ان لا يبنى في الفصيل الثاني مع السور النازل ، لأنه أحصن للسور ، ثم بنى القصر والمسجد الجامع . وكان في صدر قصر المنصور ايوان ، طوله ثلاثون ذراعاً ، وعرضه عشرون ذراعاً ، وفي صدر الايوان مجلس عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وسمكه عشرون ذراعاً ، وسقفه قبة ، وعليه مجلس مثله فوق القبة الخضراء ، وسمكه الى اول حد عقد القبة عشرون ذراعاً ، فصار من الارض الى رأس القبة الخضراء ، وترى من أطراف بغداد .

وروى أبو القاسم التنوخي : أنه سمع جماعة من شيوخه يذكرون ان القبة الخضراء كان على رأسها صنم ، على صورة فارس في يده رمح ، فكان الخليفة اذا رأى ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ، ومد الرمح نحوه علم ان بعض الخوارج قد ظهروا من تلك الجهة ، وقد سقط رأس القبة في ليلة مطر عظيم ، رعدها هائل، وبرقها شديد ، وكانت هذه القبة تاج بغداد وهي من آثار بني العباس العظيمة ، وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة ، وعرض السور من اسفله عشرون ذراعاً ، وعلى كل أزج من أزاج الابواب مجلس له درجة على« السر يرتقي اليه منها ، وعلى هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة الى السماء ، سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة على رأس كل قبة ، منها تمثال تديره الريح ، وكان المنصور اذا أحب النظر الى الماء ، والى منْ يقبل من ناحية خراسان ، جلس على هذه القبة العظيمة ، واذا احب النظر الى الارياض جلس على باب الشام ، واذا احب النظر الى الكرخ ، ومن أقبل من تلك الناحية جلس على باب البصرة ، واذا احب النظر الى البساتين والضياع جلس على باب الكوفة وعلى كل باب من ابواب المدينة الاوائل والثواني باب حديد عظيم المقدار .

روى محمد بن علي الوراق : ان أبا جعفر المنصور نقل تلك الابواب من واسط وهي ابواب الحجاج التي وضعها في واسط ، وان الحجاج وجدها على مدينة كان قد بناها سليمان بن داود عليهما السلام بازاء واسط ، كانت تعرف بزندورد . وابتنى المنصور قصره الذي سماه بالخلد على دجلة ، وتولى ذلك أبان ابن صدقة والربيع ، وأمر المنصور ان يعقد الجسر عند باب الشعير .

قال الشيخ أبو بكر : سمي القصر خلداً تشبيهاً له بجنة الخلد ، لما فيه من كل منظر رائق ، ومطلب فائق ، وغرض غريب ، ومراد عجيب ، وكان موضعه وراء باب خراسان . وروى ابن عياش التميمي عن جده انه قال : كان على ابواب الشام سليمان بن مجالد في ألف رجل ، وعلى باب البصرة أبو الازهر التميمي في ألف ، وعلى باب الكوفة خالد الصكي في الف ، وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب نعساني في الف ، وكان لا يدخل احد من بني عم الخليفة ابي جعفر المنصور ولا من غيرهم من الناس من هذه الابواب سوى داود بن علي العباسي عم المنصور ، فانه كان يدخل متفرساً ، وكان يحمل في عقبه محمداً المهدي ابنه وروى ابو اسحاق التميمي : ان المنصور جلس يوماً في قصر الخلد ، وكان عنده رومي فقال الرومي : يا امير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه احد قبلك ، ولكن فيه ثلاث عيوب ، قال وما هي : قال الاول بُعده عن الماء ، والثاني ان العين تشتاق الى الخضرة ، وليس في بنائك هذا بستان ، والثالث رعيتك معك في بنائك ، واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشا سره ، فأجابه الخليفة ابو جعفر المنصور ، بقوله : أما قولك في الماء فحسبنا من الماء بل شفاهنا ، وأما قولك البستان فإنا لسنا ممن صرف أوقاته في اللهو واللعب ، بل الرماح والسيوف لدينا احب من اغصان الاشجار ، وأما قولك في افشاء سري فمالي سر دون رعيتي ، فبهت الرومي . ثم ان المنصور وجه خالداً وشبيباً على ان يحفرا محفراً ، ويمدا قناتين من دجلة قال الشيخ ابو بكر : مدَّ المنصور قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة وقناة من اسفلها

محكمة بالآجر والصاروج من اعلاها ، وكان كل من القناتين المذكورتين يدخل مدينة بغداد ، وينفذ في الشوارع والارياض ويجري صيفاً وشتاءً لا ينقطع ماؤهما في وقت من الاوقات.

وذكر الحارث بن أبي أسامة ان المنصور فرغ من بناء الرصافة سنة أربع وخمسين ومائة . وذكر محمد بن موسى المنجم ان المعتصم وابن ابي داود اختلفا في مدينة ابي جعفر المنصور والرصافة ، ايهما اعلى قال : فأمرني المنصور فوزنتهما ، فوجدت المدينة أعلى من الرصافة بذراعين ونحو من ثلثي ذراع ، قال الشيخ ابو بكر : وربع الرصافة يسمى عسكر المهدي ، وانما سمي بذلك لأن المهدي عسكر به عند شخوصه الى الري .

أقول : والرصافة ، وربعها الذي عسكر به المهدي ، هي بغداد في عصرنا هذا ، وهي الجانب الشرقي من دجلة ، وأما مدينة بغداد الموصوفة بتلك الاوصاف، التي ذكرناها ، فهي واقعة في الجانب الغربي من دجلة ، ولم يبق منها الا بعض من محلة الكرخ وما اتصل به ، وقد خربت واندرست آثارها ، فلم تبق قصورها ولا سورها ولا قنواتها ولا ابوابها ، وصارت بلاقع والله الباقي .

وكان أبو جعفر المنصور قد جعل المسجد الجامع في المدينة ملاصقاً قصـره ، المعروف بقصر الذهب وهو الصحن العتيق ، وبناه باللبن والطين ومساحة القصر أربعمائة ذراع في أربعمائة ذراع ، ومساحة المسجد الاول مائتا ذراع في مائتي ذراع ، ولم يزل المسجد الجامع في المدينة على حاله الى وقت هارون الرشيد ، فأنه أمر بهدمه ونقضه واعادة بنائه بالآجر والجص ، ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد . قال ابن الاعرابي : وتحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلاً وان قبلة الرصافة أصوب منها ، ولم تكن تقام صلاة الجمعة بمدينة السلام الا في مسجد المدينة والرصافة ، الى خلافة المعتضد ، فلما استخلف

المعتضد أمر بعمارة القصر المعروف بالحسني على دجلة ، وانفق عليه مالاً عظيماً وهو القصر الموسوم بدار الخلافة وأمر ببناء مطامير في القصر فرسما له أسسها للصناع ، فبنيت بناء لم يرَ مثله وجعله محابس للاعداء ، وكان الناس يصلون الجمعة في دار الخلافة ، وليس هناك رسم لمسجد وانما يؤذن للناس في دخول الدار وقت الصلاة ، ويخرجون عند انقضائها ، فلما استخلف المكتفي ترك القصر وأمر بهدم المطامير ، وجعل موضعها مسجداً جامعاً في داره ، يصلي فيه الناس ، وكانت جسور بغداد كثيرة .

روى ابن درستويه : ان أبا جعفر لما بنى قصره ، المعروف بالخلد ، عقد الجسر عند باب الشعير ، كما سبق . وروى احمد بن الخليل بن مالك عن ابيه قال: كان المنصور قد أمر بعقد ثلاثة جسور ، احدها للنساء ، ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان ، وكان بالزندرود جسران عقدهما محمد (الأمين) وكان قد عقد الرشيد عند باب الشماسية جسرين ، وكان لأبي جعفر جسر عند سويقة قطوطا . فلم تزل هذه الجسور الى أن قتل محمد ثم عطلت ، وبقي منها ثلاثة الى أيام المأمون ، ثم عطل واحد قال ابن شاذان : أدركت ببغداد جسور أحدها محاذي السوق ، والثاني بباب الطاق ، والثالث بأعلى البلد محاذي الميدان ، وذكر غيره ، ان الجسر الذي كان محاذي الميدان نقل الى العرصة بباب الطاق ، فصار هناك جسران تمضي الناس على احدهما ، يرجعون على الآخر وقال هلال بن المحسن : عقد جسر بمشرعة القطانين ، فمكث مدة ثم تعطل ، ولم يبق ببغداد بعد ذلك سوى جسر واحد بباب الطاق الى ان حول سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي وبين مشرعة الحطابين .

هذا ، وأما في عصرنا منذ أدركت وزارة المرحوم المشير العلامة الحاج ، داود باشا البغدادي طاب ثراه الى يومنا هذا فليس في بغداد سوى جسر واحد ،

بين مشرعة الزوايا ومشرعة الحطابين كما سبق ، الا ان مشرعة الحطابين اليوم أدخلت في الكمرك ورأس الجسر من الجانب الشرقي ، مقابل الجامع المسمى بالآصفية ، والمسّمى بالمولى خانة ، قبل ان يبنيه ، المشير العلامة الحاج ، داود باشا المشار اليه جامعاً ، ورأسه الآخر في الجانب الغربي ، مقابل المسجد بناه ، المشير العلامة الحاج داود باشا المشار اليه ايضاً في الجانب الغربي ، وقد بلغني ان المشير الكامل اللوذعي مدحت باشا كان بصدد تحويل الجسر الى موضع آخـر ، وانشاء جسر ثاني خارج البلد ، وهو من المحسنات .

ونقل بعض المؤرخين عن محمد بن يحيى النديم انه قال : كان عدد الحمامات ببغداد ، في ذلك الوقت ستين الف حمام ، وقال أقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر ، يخدم في الحمام حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقا ، فيبلغ ذلك الى ثلاثمائة الف رجل ، وذكر انه بازاء كل حمام خمسة مساجد ، فيكون ذلك ثلثمائة الف مسجد ، وأقل ما يكون في كل مسجد خمسة أنفس ، فيبلغ ذلك الى الف وخمسمائة الف رجل .

وروى هلال في تناقض الحمامات انها آلت في أيام عضد الدولة الى خمسة آلاف حمام وكسر .

قال الشيخ ابو بكر في تاريخ بغداد : لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتمييز خواصها وعوامها ، وعظم أقدارها ، وسعة أطرافها ، وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشوارعها ، ومحالها ، واسواقها ، وسككها وأزقتها ، ومساجدها ، وحماماتها ، وطرزها ، وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وضرب ظلها وأفيائها ، واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة عدد سكانها ، واكثر ما كانت معمورة في أيام هارون الرشيد ، اذ الدنيا في أيامه كانت قارة المضاجع ، دارة المواضع ، خصبة المواقع ، موروده المشارع ، وكانت أيامه كلها خيراً ، وكأنها من حسنها

عروس .

ثم حدثت فيها الفتن وتتابعت على اهلها المحن فخربت عمارتها ، وانتقل قطانها ، ومع ما فيها من كثرة تغيير الاحوال فهي أطيب الامصار ، وأعذب من سائر الديار ، كأنها كاعب عذراء في غاية الحسن والبهاء ، ومن اعظم المصائب التي حدثت فيها استيلاء التتر عليها ، وانقراض الدولة العباسية في أول سنة ست وخمسين وستمائة ، فأنه قصد هولاكو ملك التتر بغداد ، وملكها في العشرين من محرم ، وقتل الخليفة المستعصم بالله وسبب ذلك : أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي كان رافضياً ، وكان اهل الكرخ ايضاً روافض ، فجرت فتنة بين السنة والرافضة ، فأمر ابو بكر ابن الخليفة ركن الدين رئيس العسكر فنهبوا الكرخ ، وهتكوا النساء وركبوا منهم الفواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي وكاتب التتر واطمعه في ملك بغداد ، وكان عسكر الخليفة يبلغ مائة الف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل متحصل اقطاعاتهم الى التتر فصار عسكر بغداد اقل من عشرين الف فارس ، وأرسل ابن العلقمي الى التتر يستدعيه ، فجاء بعسكر عظيم ، وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ، ومقدمهم ركن الدين المذكور ، والتقوا على مرحلتين من بغداد ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد ، وسار بعضهم الى جهة الشام ، ونزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقي ، ونزل باجو ، وهو مقدم كبير ، في الجانب الغربي على القرية قبالة دار الخلافة ، وخرج الوزير ابن العلقمي الى هولاكو ليوثق منه نفسه ، وعاد الى الخليفة المستعصم ، وقال : ان هولاكو قد يبقيك في الخلافة ، كما فعل بسلطان الروم ، ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبي بكر ، وحسن له الزواج الى هولاكو ، فخرج المستعصم في جمع من اكابر اصحابه فانزل في خيمة ، ثم استدعى الوزير الخبيث العلماء والفقهاء والمدرسين والاشراف والاماثل ، وكان من اجل العلماء محي الدين ابن الجوزي ، فخرجوا الى التتر ، ولم تزل تخرج طائفة بعد

طائفة ، فلما تكاملوا قتلهم هولاكو عن آخرهم ، ثم مدوا الجسر ، وعبر بعسكره وبذل السيف في بغداد ، وقتلوا جميع منْ كان في بغداد ، الا منْ كان صغيراً ، فأنه اخذ أسيراً وهدموا دار الخلافة ودام القتل والنهب في بغداد أربعين يوماً . وأما الخليفة ، فإنهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله ، فقيل خُنق وقيل وضع في عدل ورفسوه بارجلهم حتى مات ، وقيل غرق في دجلة والله أعلم بحاله .

وكان المستعصم ضعيف الرأي ، قد غلب عليه امراء دولته لسوء تدبيره ، تولى الخلافة بعد موت ابيه المستنصر في سنة أربعين وستمائة ، فكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريباً ، وهو آخر الخلفاء العباسيين ، وكان ابتداء دولتهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وهي السنة التي بويع فيها السفاح للخلافة ، وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية ، وكانت مدة خلافة العباسيين خمسمائة واربعة وعشرين سنة تقريباً ، وعدد الخلفاء العباسيين سبعة وثلاثون خليفة .

وقد اتفق للرشيد ، على ما قاله الجاحظ : ما لم يجتمع لغيره ، ووزراؤه البرامكة ، وقاضيه ابوسيف ، وشاعره ابو نؤاس ومروان بن أبي حفصة ونديمه العباس ابن محمد بن عم ابيه ، وزوجته زبيدة المعروفة بالخيرات العظيمة بنت عمه (وفاتها سنة (216) هـ) ودفنت بجوار قبر موسى الكاظم عند قبر أبنها الامين، ومغنيه ابراهيم الموصلي ، وحاجبه الفضل بن الربيع ، أبهى الناس واعظمهم والرشيد (ولادته (148) هـ ، ووفاته (193) هـ في طوس بجانب الرضا) من اجل ملوك الارض ، وقد بلغ رتبة الاجتهاد ، وله النظر التام في العلوم والآداب ، أخذ الحديث عن سفيان الثوري وغيره من الائمة . وروى الحديث عنه ابنه المأمون ، وكان يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة ، ويحج عاماً ويغزو عاماً ، ويتصدق من

خالص ماله كل يوم بألف درهم ، وكان كثير البكاء عند الوعظ ، وكان كثير المحبة لسفيان الثوري ، وكان سفيان يعظه فيبكي لوعظه ، وكان يحب العلم ويوقر أهله .

وروى الامام الغزالي رحمه اللهّ تعالى ، في احياء العلوم وغيره عن أبي معاوية الضرير انه قال : أكلت مع الرشيد يوماً ، ثم صب على يدي الماء رجل لا اعرفه ثم قال الرشيد : أتدري منْ يصب الماء على يديك قلت : لا ، قال : أنا الرشيد اجلالا للعلم وأهله ، واخبار الرشيد يطول شرحها ، ومحاسنه لا تحصى ، وأما ما ينسب اليه من اللهو فهو من دسائس الرافضة ، وكذا ما ينسب الى اكثر العباسيين حاشاهم عن ذلك .

وكان الرشيد أبيض طويلاً جميلاً مليحاً عبل الجسم ، قد خطه الشيب ، ولد بالري حين كان ابوه أميراً عليها ، وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة ، وأمه الخيزران البربرية ، بويع له بالخلافة بعد موت اخيه موسى الهادي في الليلة ، التي توفي أخوه فيها ، وولد له تلك الليلة ولده المأمون ، وكانت ليلة عجيبة لم يرَ مثلها في بني العباس ، مات فيها خليفة وولي فيها خليفة وولد فيها خليفة ونقش خاتمة العظمة والقدرة لله عز وجل ، مات في الغزو بطوس من خراسان ، ودفن فيها في ثالث جمادي الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله خمسة وأربعون سنة وصلى عليه ابن صالح ، وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين ونصف .

وأبو جعفر المنصورالذي بني بغداد ، اسمه عبد اللّه (ورد السفاح) الذي هو ثاني (وردت أول) الخلفاء العباسيين وكان السفاح قد ولى أخاه أبا جعفر المنصور امارة الحج ، أتاه خبر الخلافة بمكان يعرف بالصافية ، فقال : صفا أمرنا ان شاء اللّه تعالى .. فلما حج بهم ورجع بهم الى الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة،

وكان فحل بني العباس ، وكان طويلاً أسمر خفيف اللحية ، رحب الوجه ، كأن عينيه لسانان ينطقان ، وامه سلامة بشير البربرية ، نقش خاتمه « أتق اللّه تزدد فتعلم » وكان ذا هيبة وشوكة وعظمة وشجاعة وجبروت ، كثير الجمع للمال ، متجنباً عن اللهو واللعب كامل العقل تام الفهم داهية قتل ظلماً كثيراً حتى استقام امره وملكه .

واول منْ قتل أبا مسلم الخراساني وضرب ابا حنيفة على القضاء فأمتنع ابو حنيفة عن تقلد القضاء ثم حبسه فمات بعد ايام ولُقب بالدوانيقي لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات وهو ابو الخلفاء العباسيين كلهم ، اول خليفة قرب المنجمين اليه وعمل باحكام النجوم ، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والعجمية بالعربية ، كـ (كتب) اقليدس .

قال الذهبي في تاريخه : وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الاسلام في هذا العصر في تدوين الحديث ، والفقه والتفسير ، فصنف ابن جرير بمكة ، ومالك الموطأ بالمدينة ، والاوزاعي بالشام ، وابن ابي عمرويه وحماد ابن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن ، وسفيان الثوري بالكوفة ، وصنف ابن اسحاق المغازي ، وصنف ابو حنيفة الفقه ، ثم بعد مدة قليلة كثر تدوين الكتب والعلم ، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وكانت الائمة في هذا العصر تتكلم من حفظها .

وفي سنة ثمان واربعين توطأت الممالك كلها للمنصور وعظمت هيبته في نفوس الناس ، ودانت له الاقطار والبلاد ولم يبق قطر خارج عن ملكه ، سوى جزيرة الاندلس فقط ، فأنها كانت قد غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي وبقيت في يد اولاده الى ما بعد الاربعمائة .

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة شكا الناس ضيق المسجد الحرام ، فاشترى المنازل التي حوله وأضافها اليه ، وعمر مسجد الحنيف بمنى ، ورخم الحجر وهو اول من رخمه ، وسبب وفاته انه لما عزم على الحج وكان يريد قتل سفيان الثوري ، ووصل الى بئر ميمون بعث اليه اناساً وقال : ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه وكان سفيان جالساً بفناء الكعبة ، ورأسه في حجر فضيل بن عباس ، ورأس فضيل في حجر سفيان بن عيينة ، فقيل لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله قم فاختف ، فتقدم سفيان الى استار الكعبة واخذها بيده ، ثم قال : برئت منه ان دخلها ابو جعفر ورجع الى مكانه فركب ابو جعفر من بئر ميمون ، فلما كان بينها وبين الحجون سقط من فرسه ، ودفن هناك وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً واربعة عشر يوماً .

الباب الثالث

في بيان البيوت القديمة من ذوي العلم والسيف والقلم والتجارة في بغداد في عصرنا هذا

فمن بيوتها ، ذات المجد الرفيع أقر بفضله جميع اهل العراق ولا فخر ، بيتنا السادة الحيدرية ، وهو اعظم بيت علم في بغداد ، وكان افتاء الحنفية والشافعية منحصراً في الحيدرية ، قبل طاعون بغداد ، والآن انحصر افتاء الشافعية فقط فيهم ، وجميع اجازات علماء العراق تنتمي الى الحيدرية ، بل بعض اجازات اليوم ايضاً تنتمي الى جدنا العلامة أحمد بن حيدر صاحب المحاكمات ، كما وقفتُ على اجازة المرحوم السيد احمد صدقي أفندي ، قاضي بغداد وغيره ، وشهرتهم تغني عن بيانهم . ويتصل نسبنا ، ولله الحمد ، بموسى الكاظم رضي الله تعالى عنه ، الى سيد الرسل (ص) وكان جدنا الاعلى الشريف ، المشهور بأحمد الاعرابي ، في بادية الحجاز ، وهو من أكابر اهل المدينة ، وكانت أجدادنا تأخذ جزية اليهود والنصارى والصبة (الصابئة المندائية) ، السيد عبد الغفور مفتي الشافعية ببغداد من خزينة البصرة ، وكان لنا قرى كثيرة : كشهربـــان ، وهبهب ، وشروين قرب بغداد ، وكان لنا وابني عمي في نواحي شهرزور وحرير مقدار ثلاثين قرية ، في أيام السلاطين الاولين من الدولة العلية العثمانية من لدن السلطان ، الغازي قهرمان الزمان ، سليمان خان عليه الرحمة

والرضوان ، الى أيام جدي في أيام المرحوم السلطان عبد الحميد خان الاول ، والمرحوم السلطان سليم ، والمرحوم السلطان مصطفى ، والمرحوم السلطان محمـود ، ووالدي في ايام بعض السلاطين الموما اليهم الى ايام المرحوم السلطان عبد المجيد خان .

وكادت الآن باب المجد أن تنسد ، وقواعد الفضل ان تنهد وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً ، والسلطان حسن الطويل المشهور ، الذي ملك بغداد وآمد وخراسان، هو جدنا من جهة الام ، وقد تفرق بعض أولاد جدنا الشريف أحمد الاعرابي الى نواحي ما وراء النهر ، ثم تولدت منه السلطنة الصفوية ، وتتصل مع الصفوية في الشيخ صدر الدين بن القطب ، الشيخ صفي أبي الفتح إسحاق ، وأول منْ ترفض من الصفوية اسماعيل شاه الصفوي ، بالقاء بعض الزندقة اليه ، بواسطة هذا التعصب الشنيع ، تكون لعساكره وبلاده حمية القتال مع المرحوم السلطان سليم خان الاول ، ويحصل له التفوق والغلبة ، على ما قاله بعض المؤرخين ، فصار ممن خسر الدنيا والدين نعوذ باللّه من سوء المنقلب .

وقد روى رواية شهيرة : أن الشيخ صفي الدين رأى في المنام ، أن قد خرج من يده اليمنى نور أمتد الى عنان السماء ، ومن يده اليسرى كلب ، فلما أفاق قص الرؤيا على أحد المعبرين ، فأول النور بأنه سيكون له ولد ، يتناسل منه العلماء الى انقراض الدنيا ، وأما الكلب ، فأنه سيولد له ولد يتناسل منه اناس رفضة خوارج عن جادة الكتاب والسنّة . وقد وقع ذلك لأن الحيدرية من لدن صفي الدين الى يومنا هذا ، وللّه الحمد ، لم تنقطع العلماء منهم ، بل ورثوا العلم من أب وجد ولا فخر . واسأل اللّه تعالى ان يمد ذلك الى قيام الساعة ، كما أول ذلك ، والملوك الصفوية أرتدوا على أعقابهم وترفضوا ، وتركوا مذهب آبائهم أهل السنة والجماعة ، فنعم الجدود ، ولكن بئس ما خلفوا .

ومنهم بيت السادة القادرية الكيلانية ، وشهرتهم تغني عن مدحهم وهم بيت فضل وسيادة ومشيخة وارشاد ، وجدهم الغوث عبد القادر الكيلاني (470-561 هـ) ، أنفسنا الله تعالى بعلومه ، وبركاته ، ومناقبه لا تحصى ، وقد نشأ فيهم علماء أعلام ، منهم : العلامة اللوذعي ، السيد عبد الرحمن النقيب ، فأنه أخذ العلم عن جدنا أفضل المتأخرين العلامة الفهامة المحقق ، السيد صبغة الله الحيدري ، وكذا عمه الفاضل الهمام السيد علي النقيب اخذ العلم عن جدنا المشار اليه ونقباء بغداد من اهل هذا البيت المرفوعة قواعده الى كيت وكيت . ولكن كانت النقابة منحصرة ومشروطة في أولاد السيد عبد الرزاق بن القطب الكيلاني الى ايام علي باشا ، ثم أنقرضوا ، ولم يبق منهم الا بعض الفقراء ، فانتقلت الى بعض الفقراء ، فأنتقلت الى بعض أولاد الشيخ عبد العزيز بن القطب الكيلاني .

ومنهم : بيت المجد آل شاوي العبيدي الحميري ، وهو بيت فضل وعلم وشجاعة وكرم ورئاسة ونجابة وأدب وحسب ونسب ، وكانت لهم الكلمة النافذة في جميع قبائل العراق ، ورياسة العرب لدى وزراء بغداد ، كالنعمان بن المنذر عند كسرى ، وقد حازوا العلم والسيف والقلم والشجاعة والرياسة وسائر المفاخر ، وكان يعيش في كنفهم خلق كثير من كل صنف ، ولهم الصولة القاهرة بين القبائل ، وجدهم الاعلى شاوي بك من آل شاهر شيوخ قبيلة العبيد ، وكان لشاوي بك ولد يسمى عبد الله بك وهو احنف وقته ، وكانت له الرياسة الكبرى ، والصولة العظمى وله من الخيرات ، والكرم ما لا تحصيه الاقلام ، وقد ولد له اثنا عشر ولداً ، كل منهم أمير عالم فاضل كريم شجاع شاعر أديب ، وكانوا ملجأ الخواص والعوام في بغداد ، وصدقاتهم وعطاياهم للعلماء والشعراء والفقراء ، كعطايا البرامكة وهم أهل الحل والعقد ، واليهم تنتهي الأمور وأجلهم قدراً وأعظمهم فخراً ، العلامة النحرير والاسد الغضنفر الكريم الشهير الامير بن الامير ، الحاج سليمان بك الشاوي الحميري، خال والدي طاب ثراهما ، وكان شاعره محمد كاظم الأزري

البغدادي ، وقد مدحه بقصائد كثيرة جمعت ديواناً كبيراً ، وله وقايع عظيمة في الكرم والشجاعة ، وكانت عشيرة العبيد حينئذ تبلغ خمسة عشر ألف فارس ، وهم جميعهم وسائر القبائل الزبيدية ، كالجبور والدليم والعزة وعزيز وغيرهم ، في طاعته وأمره فهو نعمان عصره ، وقد غار مع قومه على تيمر (تيمر أو تيمور والعرب تقول : تمر باشا استئناساً بالمألوف من الاسماء أو تحقيراً له « الأب انستاس الكرملي ») باشا الملي من العراق الى نواحي اورفا ودمره ، وفرق جمعه وأخذ أمواله وقد كاد أن تنطفي نار هذا البيت ، وبقي منهم رجال في بغداد وفي البادية بين عشيرة العبيد ، ومن اولاده عبد العزيز بيك ، الذي ولدَ له ولد سماه باسم سعود .

وأجل منْ بقي منهم ، الفاضل الأديب والكامل الفطن اللوذعي النجيب ، احمد بيك نجل عبد الحميد بيك ، نجل احمد بيك ، نجل الأمير ، العلامة الحاج سليمان بيك آل شاوي العبيدي الحميري ، المشار اليه ، ولهذا الفتى النجيب نظم ونثر رائق، ونقد بالشعر الجيد ، وله آثار حسنة في الآداب . هذا ، وقد نظم المرحوم الحاج سليمان بك ، المشار اليه ، «القطر في النحو لابن هشام ، وشرح لامية العرب شرحاً لطيفاً . ومن اخوته، احنف وقته علماً وعقلاً ورأياً وتدبيراً ، محمد بيك بن عبد اللهّ بيك الشاوي ، وكذا أخوه الفاضل عبد العزيز بيك ، رحمهم اللّه تعالى ، وتفاصيل مآثر رجال هذا البيت لا يسعه المقام .

ومنهم بيت كوسه دفتر دار ، وهو بيت سيادة وفضل ومجد وسيف وقلم ، من البيوت المشيدة الأركان لهم الخيرات الوافية ، والمبرات الكافية ، وهم من أهالي اسلامبول .

ومنهم بيت القلعبند ، وهو بيت علم وفضل ، من البيوت القديمة ، وكان فيهم رجال أكابر ، وقد سدت باب بيتهم ، فلم يبق منهم الا رجل صالح من طلبة العلم ،

وهو في غاية الحاجة ، اسمه عبد الغني ، فسبحان ، الذي لا يفنى عزه ، وقد أخذ الفاضل القلعبند العلم عن جدنا العلامة السيد صبغة الله الحيدري .

ومنهم بيت سميكة ، بالتصغير ، وهو بيت علم وتقوى وصلاح وخيرات وتجارة ، وكان منهم العالم الفاضل الكامل العامل الورع الزاهد الحاج سميكة ، مفتي الحنبلية ببغداد ، وأخذ العلم عن جدنا العلامة السيد حيدر الحيدري ، مفتي الحنفية ببغداد ، وعن جدنا الولي العلامة السيد عبد الله الحيدر ، وكان تاجراً عظيماً ، يزكي كل سنة من ماله مقداراً يفي بأكثر أهل العلم وغيرهم ، وكان ينفق على اهل القلم من الملبوس والمأكول ما يطول شرحه ، وما رد سائلاً مدة عمره ، وكان اذا دخل الجامع في يوم الجمعة حمل بيده اناءاً مملوءاً من دهن الورد، ورشه على الجماعة بمنديل ليفوح الجامع طيباً على ما حدثني والدي وكان يدرس في مدرسة مرجان ، من طلوع الشمس الى صلاة الظهر ، كل فن ، ويدرس كتب المذاهب الاربعة رضي الله تعالى عنهم ، ويقصده طلبة الحنابلة من نواحي نجد لرواية مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ، فإذا صلى الظهر ذهب الى الخان للتجارة الى صلاة العصر ، وله من المناقب الجليلة ما يحتمل مجلداً رحمه الله تعالى ، وقد خمدت نارهم ولم يبق منهم الآن أحد ، وعلى الدنيا السلام .

وآخر من ادركت منهم الكامل الفقيه الاديب النجيب درويش ، نجل العالم التقي ويس عصره الحاج ، ابراهيم سميكة شقيق الحاج موسى المشار اليه (وفاته سنة 1231 هـ) وقد انزوى الحاج ابراهيم المذكور في بيته أربعين سنة ، فلم يخرج منه الى ان خرجت جنازته رحمه الله تعالى .

ومن البيوت القديمة بيت الحاج اسماعيل المفتي ، وهو بيت علم وفضل ومجد وقبول بين الناس ، ويا له من بيت ! كانت قواعده مرفوعة ، وأركانه مشيدة ممنوعة ، وهوبيت الافتاء ولبيتنا معهم قرابة من جهة النساء ، ولم يبق منهم الآن

احد ، وصارت ديارهم بلاقع ، وعلى الدنيا السلام ، وهم من أهالي سر من رأى .

ومنهم بيت العلامة الشريف احمد المفتي الطبقجلي وهو بيت علم وسيادة وفضل ، وقد أخذ الطبقجلي المذكور العلم عن جدنا العلامة الشريف السيد صبغة الله الحيدري ، وكان من أجل تلاميذه ، ولم يبق منهم أحد .

ومنهم بيت الفاضل محمد سعيد المفتي (1) المشهور ببيت مفتي الحلة ، وهو بيت علم وفضل وسيادة ، وقد اخذ محمد سعيد المفتي المذكور العلم عن جدي العلامة السيد الشريف ، اسعد المفتي ببغداد الحيدري ، وبقي منهم بعض الطلبة ، وهم بنو عم الطبقجلي من أهالي حديثة من نواحي عانة .

ومنهم بيت الفاضل العلامة عبد الله بن مرتضى المفتي ، وهو بيت علم وفضل ، وقد اخذ العلم عن جدنا العلامة النحرير السيد صبغة الله الحيدري ، وكان لعبد الله المفتي المذكور ولد فقيه ، يسمى عبد الفتاح الفقيه ، وكان افقه اهل عصره ، ويدعى بأبي يوسف الثاني ، وله أخ يسمى الحاج احمد النائب ببغداد نجل احمد النائب ولم يبق منهم احد سوى بعض العصبة من أهل الكسب ، وهم من أهالي بهرز من قرى بغداد (حالياً من قرى بعقوبة» .

ومنهم بيت الرحبي ، وهو بيت علم ، وقد نشأ فيهم رجال أجلهم الشيخ عبد العزيز الرحبي شارح كتاب الخراج أبي يوسف ، ولم يبق منهم الا بعض العامة وهم من أهالي الرحبة .

---

(1) هو سعيد افندي بن السيد محمد امين كما جاء ثبت اسمه في كتاب المسك الأذفر ، وهو الأخ الصغير لمحمد سعيد افندي مفتي الحنفية في بغداد ، وتوفي بالحلة في ٢٠ رمضان ١٢٧١ هـ ، يوم الاسهال ودفن بمقبرة قرب الوردية ، خارج بلدة الحلة ، وقيل انها ليست قرب الوردية ، بل هي الباب المعروف بباب الخيف (الشيخ ياسين آل باشا عيان) .

ومنهم بيت الخطيب ، وهو بيت فضل وسيادة ، وهم خطباء الجامع الأعظمي ، وآخر منْ أدركت منهم الكامل الداهية السيد أحمد الخطيب ، ولم يبق منهم الا بعض العامة ، وهم من أهالي سر من رأى .

وأما بيت جميل فهم بيت علم وفضل ، وآخر منْ أدركت من هذا البيت عبد الغني وأخوته عبد الجليل ، وعبد الحميد وعبد المحسن ، وأما عبد الغني فقد قرأ على جدي الفاضل محمد اسعد ، مفتي الحنفية الحيدري ، على ما حدثني بذلك والدي طاب ثراه ، ثم تقلد عنه عبد الغني افتاء بغداد في ايام علي رضا باشا ، ومن البيوت القديمة ، بيت الشيخ ياسين المفتي ، وهو بيت علم وفضل ، ولم يبق منهم احد .

ومنهم بيت رفه ، وهو بيت فضل وسيادة وتجارة ، وبقي منهم بعض التجار ، ومنهم بيت السويدي ، وهو بيت على الحديث والفضل ، وقد نشأ فيهم رجال أجلهم الشيخ عبد الرحمن السويدي ، محشي تحفة ابن حجر ، ولم يبق منهم الا بعض المكتسبة ، ونشأ فيهم علماء ، وهم من اهل راوة من نواحي عانة .

ومنهم بيت الشواف ، وهو بيت فضل وأدب ، وقد نشأ فيهم رجال كالفضل اللوذعي الشيخ عبد العزيز الشواف رحمه الله فأنه كان الآية الكبرى في الفهم والذكاء ، وآخر منْ أدركت منهم أخوه الفاضل الأديب عبد الرزاق الشواف رحمه الله تعالى ، وخلف الشيخ عبد الرزاق نجله الكامل الأديب طه أفندي وفقه الله تعالى ، وقد أخذ الشيخ عبد العزيز العلم عن عدة علماء اعلام فأخذ عن جدي العلامة السيد أسعد المفتي ببغداد الحيدري ، وكمل على الفاضل صبغة الله الزيادي ، وهم من أهالي الدير أي دير الزور ، ومنهم ، بيت العلامة بكتاش أفندي ، وقد أخذ العلم عن جدنا السيد صبغة الله الحيدري ، وهو من أجل تلاميذه ، وكانت له الفكرة الثاقبة ، ولم يبق منهم احد ، ومنهم بيت مدلج ، وهو بيت فضل وتقوى ،

ولم يبق منهم الا بعض ذوي الأرحام .

ومنهم بيت شطي ، وهو بيت علم وتقوى وتجارة ، من البيوت القديمة ببغداد، ولم يبق منهم الا بعض السكان في الشام ، ومنهم ، بيت احمد النائب ، وهو بيت فضل ، ولم يبق منهم احد .

ومنهم بيت العلامة الفهامة النحرير ، افضل المتأخرين الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني طاب ثراه ، فأنه كان شيخ العلماء في عصره ، واخذ عنه كثير من العلماء الفحول ، لا يحصى عددهم ، من جماعتهم عمّنا العلامة السيد عبد اللّه المفتي الحيدري ، ومنهم ، علامة الدنيا سند المدققين الخطي وشيخنا العلامة الزاهد العابد ، احمد الكلالي ، وشيخنا العلامة الزاهد ابراهيم الرمكي وغيرهم من الفحول ، وقد أدركته واستفدت منه كثيراً من المنقول والمعقول ، وكان جليل القدر عند الناس مهاباً ذا حيثية ، اي منزلة وقدر عظيمة ، أخذ العلم عن العلامة صبغة اللّه الزيادي عن عمّنا العلامة الولي السيد صالح الحيدري ، وكان في زاوية حضرة مولانا وشيخنا المجدد قطب العارفين باللّه مولانا الشيخ خالد النقشبندي قدس سره ، وكان هو وحضرة مولانا خالد كأنهما اخوان ، ولهما صحبة عجيبة من زمن تحصيل العلم الى اكمالها ، ولنا مع هذا قرابة نساء ، وحق هذا البيت التقدم على البيوت ، الا ان القلم زل بتأخيره في الذكر ، وقد خلف نجله ، الكامل اللوذعي الصالح حبيبي ، احمد أفندي طال عمره ، وهم من أولاد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه .

ومنهم بيت الحاج أسعد أفندي ، وهو بيت علم وفضل ، وكان للحاج أسعد أفندي المشار اليه شأن عظيم ورياسة كبرى ، في زمن الحاج داود باشا والي بغداد ، وقد أخذ العلم من جدي العلامة النحرير السيد أسعد أفندي المفتي الحيدري ، وعن العلامة الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني المشار اليه ، وأخذ جدهم

الفاضل الصالح عيسى العلم عن جدنا ، العلامة الفهامة السيد صبغة الله الحيدري ، وهذا البيت أيضاً من حقه التقديم ، ومنهم الآن الكامل اللوذعي حبيبي احمد أفندي ، وهم من اولاد ابان بن عثمان بن عفان (في هامش بعض النسخ اشارة الى اشتهار هذا البيت باسم نائب زائدة) .

ومنهم بيت فرهاد ، وهو بيت تجارة وخيرات ومبرات كثيرة ، وهم من اولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان من هذا البيت الرفيع العماد المرحوم الحاج سليمان ، صاحب الخيرات والطاعات فانه بنى جامعاً في بلدة كركوك ، ومدرسة جعل فيها كتباً كثيرة نفيسة موقوفة ، ووقف عدة املاك على الجامع والمدرسة لنفقة طلبة العلم ، وخدمة الجامع وأصلهم من كركوك ، الاصل الاول من عبدلان في نواحي الأكراد .

ومن البيوت الرفيعة العماد بيت اللوذعي عبد الباقي العمري ، وهو بيت فضل وأدب ، وقد نشأ منهم شعراء وادباء ، واجل منْ أدركت منهم ، وصحبته ولازمت مجالسته ، اللوذعي المبتكر عبد الباقي المشار اليه ، وابن اخته ، الفاضل اللوذعي الأديب ، محمد أمين العمري كاتب العربية ، وهذا البيت في الاصل من الموصل (وفاته في رجب (1278 هـ) وهو شاعر مجيد له ديوان مطبوع ، واشهر قصائده تخميسه الهمزية ، كيف ترقى الخ . ومن البيوت القديمة ، بيت عبد الرحمن افندي الاعظمي المشهور ببيت الجلبية ، وهو بيت مجد ، ونشأ فيهم عبد الرحمن المشار اليه ، وكان داهية ، ولنا معهم قرابة نساء ، وبقي منهم بعض الناس ، وهم من القصبة الاعظمية ، وممن نشأ في هذا البيت الشيخ الحاج عبد الرزاق أفندي ، وكان عليه الرحمة تقياً عازماً للفقه والحديث .

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد ، بيت الامام عبد الله الاعظمي ، وهو بيت فضل ومجد ، ولنا أيضاً معهم قرابة نساء ، وبقي منهم بعض الناس ، وهم

من القصبة الاعظمية . ومنها بيت جرجيس في الجانب الغربي ، وهو بيت علم وتجارة ، وبقي منهم العالم الكامل الشيخ داود النقشبندي ، وهم من أهل عانة ، ومنها بيت الآلوسي وقد نشأ فيهم الفاضل محمود الآلوسي (وفاته سنة 1270 هـ) وله آثار لطيفة في العلوم ، منها تفسير روح المعاني ، وهو في الاصل من آلوس قرية قرب عانة وقد تقلد الافتاء ومنها بيت شيخي وسيدي ولي الله بلا نزاع ، المرشد الكامل الشريف مولانا عبد الغفور المشاهدي النقشبندي قدس سره ، خليفة حضرة مولانا خالد قدس سره ، ومنها بيت سيد محمود الارفلي ، وهو بيت سيادة وتجارة ، وبقى منهم بعض اناس وبعض ذوي الارحام من اولاد الباججي .

ومن البيوت القديمة الرفيعة ، بيت اسماعيل كهية ، وهو من البيوت المشيدة الاركان ومن اكابر الاعيان من ذوي السيف ، وكان لهم الجاه والثروة التامة ، ومن البيوت القديمة الرفيعة ، بيت محمود كهية ، المشهور بأبي خنجر ، ولم يبق منهم أحد ، ومن البيوت القديمة الرفيعة ، بيت خليل افندي الدفتري ، وهو بيت عز ، وكان الافندي المشار اليه من اكابر الرجال ، الذي لم تزل رجال بغداد تجتمع في مجلسه ، وبقي منهم نجله الاديب حلمي افندي ، وهو على سيرة ابيه ومن يشابه أباه فما ظلم .

ومن البيوت القديمة بيت علوش افندي المعروف ، وهو بيت مجد وعز ، وكان الافندي المشار اليه من الرجال الثقات من ذوي الهمم العالية ، وهم من عشيرة القراغول ، ومن البيوت الرفيعة الاركان بيت درويش اغا القائممقام ببغداد ، وهو بيت مجد وعز ورياسة ، ولهم القول بين الناس ، واجلهم درويش أغا المشار اليه ، فأنه كان ثقة عدلاً ذا مروءة ورأي وعقل سديد ، وكان حافظ القرآن ، وكان مستشاراً للوزراء في الامور وبقي منهم اولاد النجباء .

ومن البيوت القديمة الرفيعة ، المشيدة الاركان ، بيت نعمان افندي

القائممقام ببغداد ، وهو بيت مجد وعز ، وكانت للافندي المشار اليه الصولة القاهرة ببغداد ، حتى انه قد اشتهر في لسان اهل بغداد من لم يؤدبه الزمان يؤدبه نعمان ، ولم يبق منهم احد ، ومن البيوت الرفيعة العماد المشيدة الاركان ، بيت بكر كهية ، وهو بيت مجد وعز وخير ، وقد ولي اخوه عمر باشا وزارة بغداد خمس عشرة سنة ، وآخر من أدركت منهم الاديب خليل بك وكان فارابي عصره في علم الموسيقى ، ولم يبق منهم الا بعض النساء ، ومنها بيت العالم العامل احمد افندي الزندي ، ونشأ فيهم العالم المشار اليه ، وكان من العلماء العاملين المشهورين بالصلاح والانزواء عن الناس ، وقد اخذ العلم عن جدي العلامة السيد أسعد المفتي الحيدري ، وخلف نجله العالم العفيف محمد أمين أفندي ، وقد ولي هذا الأفندي نيابة بغداد ، وافتاءها ، ثم بعد حين جلب الى دار الخلافة اسلامبول (استانبول) وانعمت عليه الدولة العلية رتبة قضاء مكة المشرفة ، واما الفاضل محمد الزهاوي ، مفتي الحنفية ببغداد ، فهو من بلدة السليمانية اتى بغداد وسكن بها ، وكانت وفاته سنة (1308 هـ) .

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد ، بيت الحاج صالح اغا ، رئيس الكتاب ، وهو بيت مجد وعز وخير ، وبقي منهم البعض ، ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد المشيدة الاركان ، بيت عبد الجليل بك ، وهو بيت مجد وعز ودولة وخير ، ومن اعظم بيوت بغداد بل لا يحاذيهم احد في اطعام الطعام ، وكان من اكابر المنتفك وغيرهم ، اذا وردوا بغداد لا ينزلون الا عندهم ويقيمون شهوراً واعواماً ، وكان جدهم يوسف باشا أمير الحاج التوجه من جهة ، وهو بيت عظيم القدر جليل الشأن ، ورثوا الجاه والنجابة ، كابراً عن كابر ، بقي منهم البعض ، ولنا معهم قرابة نساء من ذوى الارحام .

ومن البيوت الرفيعة بيت الحاج عبد الله أغا قائمقام البصرة « وفاته في

سنة (1221 هـ) وهو متسلم البصرة وليس قائمقاماً »وكان الاغا المومى اليه من الرجال الثقات الكاملين الاخبار ، وقد بنى جامعاً عظيماً في البصرة ، وفي بندر أبي شهر ومنها بيت عبد الرحمن افندي الارفلي ، المشهور بينكجري افندي ، وهو بيت عز وكانت للأفندي المشار اليه الرياسة على البنكجرية في السابق ، ثم تقلد منصب الدفترية ، وكان كاملاً ، وله عدة اولاد ، ومن البيوت الرفيعة الاركان ، بيت صارى كهية ، وهو بيت مجد قديم ، ونشأ فيهم رجال كرام ، ولم يبق منهم احد . ومن البيوت الرفيعة القديمة ، بيت حسن بك متولي جامع العدلية ، وهو بيت مجد وخير وهم من اولاد صالح باشا والى كركوك لم يبق منهم احد .

ومنها بيت الجرجفجي ، وهو من بيوت العز ، ولهم قرابة نساء مع بيت متولي العادلية وبتلك القرابة نالوا تولية الجامع المذكور ، بعد انقراض بيت حسن بك ، وبقى من هذا البيت بعضهم ، ومنها بيت طوبق ، وهو بيت عز وتجارة وجاه ، ولم يبق منهم احد ، ومنها بيت نظمي زادة ، وهو من البيوت القديمة الرفيعة ، وكانوا اصحاب قلم ، ومنها بيت الروزنامه جي ، وهو بيت عز قديم ، ومنها بيت احمد افندي الموف ، وهو بيت عز وصلاح وخير ، وكان الافندي المشار اليه صاحب خيرات ، وقد بنى جامعاً ومدرسة ببغداد ، وجعل لها كتباً واوقافاً ، ولم يبق منهم الا بعض النساء .

ومنهم بيت السيد رحمة الله أغا الحبيبه جي ، وهو من البيوت القديمة الرفيعة ، بيت المجد والعز والسيادة والجاه ، ولم يبق منهم احد ، ودارهم صارت لصالح بيك نجل المرحوم سليمان باشا والى بغداد ، ثم صارت للقنصل الانكليزي (شق الشارع هذه البناية فقسم منها الآن دائرة البرق المركزية والآخر دائرة كمارك) . ومنها بيت عمر أغا الحبيبه جي ، وهو من البيوت القديمة ، وبقي منهم البعض ، ومنها بيت الغرابي ، وهو بيت فضل قديم ، ولم يبق منهم الا بعض

الناس ، ومنها بيت القشطيني وهو بيت عز ولم يبق منهم احد (ما زال موجوداً منهم عدد من الاسر) .. ومنها بيت مينه ، وهو بيت عز وتجارة ، ولم يبق منهم احد. ومنها بيت عرموش ، وهو بيت عز وتجارة ، ولم يبق منهم الا بعض الناس (يطلق على هذا البيت في أيامنا بيت الملا حمادي) .

ومنها بيت ورنكر ، وهو بيت عز ودولة وجاه ، وهو من بيوت المجد القديمة ، ولما ورد المرحوم السلطان مراد خان بغداد دعوه الى محلهم وأجابهم ففرشوا تحت حوافر الخيل من محل السلطان الى محلهم ديباجاً ، وبقيت القبة التي جلس السلطان فيها مسدودة الى ايام الحاج امين التوكمه جي ، ولم يبق منهم احد ، ومنها بيت التوكمه چي ، وهو بيت عز وتجارة وخير ، ولم يبق منهم الا بعض النساء.

ومنها بيت الباجه جي ، وهو بيت عز وتجارة وخيرات ومبرات ودولة وتجارة عظيمة ، وقد نشأ فيهم الحاج نعمان جلبي ، ونال من المال ما لم ينله احد من التجار ، وكان ذا جاه عظيم وصاحب خيرات كثيرة ، وكان يطعم جميع فقراء بغداد وغيرهم من الواردين الى بغداد سنة القحط والغلاء ، وبنى جامعاً وكذا بنى اخوه الحاج أمين جامعاً ببغداد ، ثم قام مقام الحاج نعمان المذكور الحاج سليم جلبي ابن اخيه ، وفى حق مقامه ، وبقي منهم رجال من ذوي التجارة ، واجلهم في عصرنا هذا عبد الرحمن جلبي نجل المرحوم الحاج سليم الجلبي ، وهو من أهل الدراية والفهم والصدق والوفاء ، وهم في الاصل من اكابر اهل الموصل من السباهية ، والباجه جيون اخوالهم نسبوا اليهم ، ولهم سابقة التوطن في بغداد .

ومنها بيت الملا عبد الرزاق الحافظ البرزلي ، وهو بيت تجارة وعز وخير وصلاح ، وكان الملا المشار اليه من اكابر الناس ، ومن التجار الصالحين ذا طاعة

وعبادة كثيرة ، ملازم الجامعات كثير الخيرات وجيهاً عزيزاً بين الناس ، وبقي منهم بعض التجار ، ومنها بيت تجارة وعز وخير نشأ فيهم بعض العلماء ، كمحمد سعيد دله ، فأنه اخذ العلم عن جدنا العلامة السيد صبغة الله الحيدري .

ومنها بيت الحاج سعيد البقال ، وهو بيت تجارة ، ولهم قرابة نساء مع بيت دله ، وبقي منهم بعض الاخبار ، ومنها بيت الادهم ، وهو بيت سيادة ، وتقوى وفضل ويتصل نسبنا مع نسبهم في السيد ابراهيم الملقب بالادهم ، وهذا البيت من اعظم بيوت الشرف والسيادة ، ونشأ فيهم السيد عبد الله الادهم ، وكان مظنة الولاية وافضلهم في عصرنا هذا السيد عبد الرحمن الادهم ، وهو من العلماء العاملين ، ومنها بيت سند ، وهو بيت تجارة وخير ، ولم يبق منهم احد .

ومنها بيت الوتري ، وهو بيت صلاح ، وبقي منهم بعض الناس ، ونشأ في هذا البيت القديم الرجل الصالح والعالم الفاضل السيد يحيى افندي ، وتقلد التدريس في جامع الاحمدية في بغداد ، ومنها بيت الامام ، وهو بيت خير وتجارة، وبقي منهم البعض ، ومنها بيت هاشم ، وهو بيت تجارة وخير ، وبقي منهم البعض من سكن الشام ، هذا ما ذكرناه من معاشرنا اهل السنُة والجماعة من بعض المشاهير ، واما الشيعة فكان اعظم بيوتهم من ذوي التجارة العظيمة ، بيت المزرقجي ، ولم يبق منهم الا بعض الفقراء ، ومنها بيت كبة ، وهو بيت عظيم في التجارة ، ونشأ فيهم الحاج صالح كبة وهو رجل ثقة له حصة من الفلم وصاحب خيرات وافية وبقي منهم عدة تجار ، واصلهم من قرية بهرز ، من نواحي بغداد من أهل السنُة والجماعة ، ثم تشيعوا .

ومنها بيت سيد عيسى ، وهو بيت تجارة وافية ، ونشأ فيهم السيد محمد

علي ، وكان صاحب اخلاق حميدة ووفاء ، وبقي عدة تجار ، وهو من البيوت القديمة العزيزة ، ومنها بيت شالجي موسى ، وهو بيت تجارة وأدب ، واصلهم من عشيرة المهندية من اهل السنّة ، ثم تشيعوا وبقي منهم بعض التجار ، ومنها بيت القيمجي ، وهو بيت تجارة وعز ، وبقي منهم البعض ، ومنها بيت المراياتي ، وهو بيت تجارة وأدب ، وبقي منهم البعض ومنها بيت الخاصكي ، وهو بيت تجارة وعز، وهو من اولاد ابي بكر الصديق رضي اللّه عنه ، ثم تشيعوا ، ولم يبق منهم الا بعض الناس ، ومنها بيت الطالقاني ، وهو بيت عز وتجارة ، وبقي منهم البعض ومنها بيت الاعرجي ، وهو بيت عز وتجارة وبقي منهم البعض ، ومنها بيت جلال ، وهو بيت تجارة ، وبقي منهم البعض ، ومنها بيت المعملجي ، وهو بيت تجارة وأصلهم من الروم ، وردوا الى بغداد مع المرحوم السلطان مراد ، ثم تشيعوا وبقي منهم البعض ، ومنها بيت سيد يحيى ، وهو بيت متجر ، وبقي منهم البعض ، ومنها بيت القصابجي ، وبيت هلال ، وبيت الدامرجي ، وهي بيوت تجارة بقي منهم البعض .

واما النصارى ، فمن بيوتها القديمة ، من ذوي التجارة والترجمانية ، بيت ميناس من الارمن ، ومنهم بيت كزبر خان ، وهــو بيت تجارة وافية وبقي منهم البعض ، ومنها بيت يوسف جبره من الكاثوليك ، وهو بيت تجارة قديمة ، وقد سبق لاجدادهم خدمة صادقة لأجدادنا من قديم الزمان ، وقد عاشوا في دولة وصيانة ولم يبق منهم الا بعض النساء والاولاد من ذوي الحاجة ، ومن الكاثوليك بيت الذرية وكان ابوهم مقتر الحال ، ومنهم بيت جبره اصفر ، وهو بيت تجارة ، وبقي منهم بعض التجار ، وهو بيت جبوري اصفر ، ومحلهم بالبصرة محل كبير مشتهر بالتجارة ورئيسه الآن البير أصفر ومنها بيت الياس عيسى وكان بيت تجارة وبقي

منهم البعض ومنها بيت اسكندر من الارمن ، وهو بيت تجارة وافية ، وبقي منه البعض ، ومن الارمن كاثوليك بيت حنا باش ، وهو بيت تجارة ، وبقي منهم البعض وغير ذلك من البيوت .

واما اليهود فمن بيوتها القديمة ، من ذوي التجارة والرياسة على يهود بغداد ، عزره وصراف باشي ، وبقي منهم البعض ، ومنها بيت بوضه ، وهو بيت تجارة وبقي منهم البعض ، ومنها بيت السوميخ ، وهو بيت تجارة وافية ، وبقي منهم البعض من التجار ، ومنهم بيت ساسون ، وهو بيت تجارة وافية ومسامحة مع العالمين ، وبقي منهم بعض التجار ، ومنهم بيت أبي قبلاغ ، وكانوا بيت تجارة ، وبقي منهم البعض من اهل الحاجة ، ومنها بيت بحر ، وهم اهل تجارة وافية ، وبقي منهم البعض ، ومنهم بيت الكرجي ، وهو بيت تجارة ، وبقي منهم البعض وغير ذلك ، وقد اقتصرنا على البعض من كل ملة خوف الاطناب والملل .

الباب الرابع

في بيان عشائرها الجسيمة

فمن أجل عشائرها عشيرة المنتفك ، وهي ذات كثرة وتتفرع الى عدة قبائل، فمن قبائلها : بنو مالك ، والاجود ، وبنو سعيد ، وبنو ركاب ، والخفاجة ، والطونيات ، والشويلات ، والطوبكة ، والبدور ، والشريفات ، والجمعيات ، والماجد وآل صالح ، والزهيرية ، وشمر الزوابع ، وشمر العبيدات ، وبنو سكين ، وبنوتميم ، والسليمات ، والعياشية ، والبراجقة ، والغزيوي ، والعيونات ، والفضيلة وبنو نهد ، وعبودة ، والمجارعة ، وخرسان ، وامارة ، وربيعة ، وكويش ، وسراج ، وآل دراج ، وغير ذلك من القبيلة الكثيرة التي يطول بيانها ، وانما اقتصرنا على بعضها ليعرف عظم عشائر المنتفك ، واكابرهم آل شبيب ، ، آل السعدون ، وهم شيوخ المنتفك في عصرنا .

وذكر صاحب نهاية الارب ان امراء المنتفك من بني معروف ، ولم يذكر نسب بني معروف ، وانا لم اقف عليه ، وهم ليسوا من الاشراف ، وجدهم الذي ورد الى نواحي البصرة مهنا ، ولما نزل في جوار عشيرة بني مالك ، من عشائر المنتفك ، ووقع النزاع بين بني مالك والاجود في اداء رسوم الحكومة ارسل بنومالك مهنا المذكور الى الاجود ، لرفع النزاع بينهما ، واداء الرسومات الراجعة الى الحكومة ،

فلما وصل مهنا الى الاجود قتلوه وثارت الفتنة بينهما ، وغلب بنو مالك على الاجـود ، وقتلوا كثيراً منهم ، ثم صار الصلح بينهم ، وشرط بنو مالك في قبول الصلح ان يقبلوا رياسة شبيب بن مهنا المذكور على الاجود ، وعلى جميع عشائر المنتفق ، فقبلوا ذلك وجعلوا شبيباً شيخاً عليهم .

وكان شبيب في بيت ابن خصيفة ، شيخ بني مالك ، فأنه ما أن قتل ابوه مهنا ذهبت به امه الى ابن خصيفة ، وادى حق الشيمة العربية بأخذ ثأر أبيه ، وجعله شيخاً على جميع قبائل المنتفك ، وجميع قبائلهم بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية وهم بنو المنيفق بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عابر بن صعصعة ، ويقال المنيفق منتفق .

وبيت السعدون من اجل العرب في نواحي بغداد ، وقد نشأ فيهم شيوخ اكابر كثامر وحمود وغيرهم ، وشيوخهم من اهل السنة والجماعة ، على مذهب الامام مالك رضي الله عنه ، وقبائلهم رفضة ، ومن اجل عشائر العراق عشيرة اخوالنا العبيد ، وهم من حمير سلك بن تبع ، وهم بنو عبيد بن عدي بن رخباب بن قضاعة ، قبيلة من حمير من القحطانة ، قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، ويحتج له بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني قال : قلت يا رسول الله قال ممن يمت ، قال : من قضاعة بن مالك وفي ذلك قال عمرو ابن مرة القضاعي الصحابي :

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر		قضاعة بن مالك بن حمير

ولهم شجاعة المسلمة لدى القبائل ولاقدام المعروف عند العشائر وقبائل

كثيرة منها آل علي ، والحربي ، وآل حمد ، والسعيد ، وآل عكلة ، وآل هيازع ، وآل رياش ، وآل طلحة ، والكبيسات وغير ذلك من القبائل الكثيرة ، ومشائخهم الحمائل آل شاهر مقدار خمسمائة فارس ، ولا ترى لعشيرة من العشائر حمائل بهذا العدد ، وآل شاهر ليوث الحروب اذا مشى احدهم مشى مشية الليث وهو غضبان، واذا طعن احدهم طعن طعنة كفم الزق وهو ملئان ، وعلى الجياد المضمرات فوارس مثل الصقور ، وهم من اشراف العرب ، اليهم يشير الاعشى « ولست من الكرام بني العبيد » . وقد نشأ فيهم اكابرهم كأمثال حاتم في الكرم والجود ، وفاقه في الشجاعة ، ومنهم العلامة الامير الحاج سليمان بك ، خال والدي رحمة الله . وقد سبق بعض مآثره ما هي تحتمل مجلداً ، وكذا اخوه الفاضل العاقل المدبر محمد بيك ، وله تعاليق على حاشية عبد الحكيم الهندي ، وعلى حاشية عبد الغفور اللاري على شرح الكانية للجامي ، والصالح التقي الحاج ابراهيم بيك ، واخوه الفاضل عبد العزيز بيك ، والصالح التقي عبد الغني بيك ، والصالح حبيب بك .

واما الامير الكامل الاديب النجيب ، الحاج احمد بيك نجل المرحوم سليمان المشار اليه فكان نزهة عصره ، أدباً وكرماً وبأساً ومكارم اخلاق ، وخلف احمد بيك المذكور اولادا كراماً نجباء ، وهم الحاج محمود بيك ، والكامل داود بيك ، واخوه الكامل يحيى بيك ، من اكابر امراء العرب بأساً وكرماً ، واخوه الاديب النجيب نعمان بيك كان كريم الاخلاق أديباً ، وخلف عبد الغني بيك نجليه الاميرين الاديبين عيسى بيك وعبد السلام ، وخلف الامير محمد بيك نجله الامير الكريم الاديب الشجاع جاسم بيك نجله الامير الاديب الكريم لطيف بيك ، وخلف ابراهيم بيك

نجله الكامل النجيب يوسف بيك ، وخلف عبد العزيز بيك نجله الكريم سعود بيك ، وخلف حبيب بيك نجله الاديب عبد القادر بيك وللحاج سليمان عدة اولاد نجباء كرام غير منْ ذكرناهم .

وبالجملة ان رجال هذا البيت الرفيع العماد الكثير الرماد ، كثيرون وكلهم مع امارتهم علماء وأدباء وشعراء ، مآثرهم لا تعد ولا تحصى ومناقبهم لا تستقصى وكان لهم التقدم على سائر اكابر العرب والرياسة على جميع القبائل ، والجاه العظيم لدى وزراء بغداد ظهراً بعد ظهر ، وكان منهم كالنعمان بن المنذر ، وكان جميع عشائر حمير ، كالجبور والدليم والعزة وغرير ومفرج ، وسائر قبائل زبيد في طاعتهم ، وتحت امرتهم ورايتهم ، كيف وهم من حمير بن سبأ ، الذي كانت ملوك اليمن التبابعة منهن الا من تخلل بخلال ملوكهم في قليل الزمن ، وكان لحمير من الولد مالك ، والهيمسع ، وزيد ، وعريب ، ومسدوح ذوائل وحمير كرب وارسا ودرما وكلهم ملوك .

ومن آل شاهر بيت سعدون المصطفى شيخ العبيد ، وهو بيت رفيع العماد قوي الوتاد ، ورثوا الرياسة كابراً عن كابر ، وسعدون المشار اليه من اكابر الرجال الثقات ، وكانت اكابر عنيز وغيرهم بقبائلهم يأوون اليه ، وينزلون بجواره وحماة كابن كيشيش وامثاله ، وله صولة على عشائر العبيد ، وهو ابن بنت الامير العلامة الحاج سليمان بيك الشاوي ، المشار اليه وله عدة اولاد نجباء ، وابن عمه اسعد الظاهر من اشجع العرب . كذا كنج ابن اخيه عليوي ورشيد بن اخيه محمد ، وبالجملة ، ان كلا من آل شاهر ليث الوغى ، وبينهم بين القبائل كالشمس الطالعة في رابعة النهار ، وهم اكابر حمير من قحطان العرب العاربة ، وهم الذين عناهم

الاعشى بقوله : « وأستكثرن من الكرام بني عبيد » . ومنها عقيل وهو بطن من اسد بن خزيمة من العدنانية .

ومن اكابر عشائر العراق اخوالي عشيرة طي ، وهم أنجب القبائل واكرمهم كيف وحاتم منهم ! وهم عدة قبائل كثيرة منها آل كوكب ، وآل سنبس ، وآل عساف ، وبنو ثعلبة ، وبنو عمر بن غوث ، وبنو عمر سلسلة ، وغير ذلك من القبائل وشيوخهم وحمائلهم آل سيالة ، وهم اولاد حاتم العرب العاربة ، ووالدتي من آل سيالة أصلاً نسباً ، وهي بنت محمد باشا بن نمر بن عثمان باشا الطائي حاكم كردستان .

ومن أجل عشائر العراق عنيزة ، وهم عدة قبائل منها بنو وهب وولد على اصحاب الصر ، والطيار ، والفدعان ، والرولة ، والسلكه ، والعمارات ، والدهامشة ، وآل مقرن ومنهم اكابر نجد ، وسيأتي أن شاء الله تعالى بيان نسبهم في بحث نجد ، وغير ذلك من القبائل ، وهم اكثر الناس عدداً وتبلغ قبائلهم مقدار ثلثمائة الف نفس فأكثر رجالاً ونساء ، وهم من ربيعة ووائل من عدنان جد النبي (ص) .

ومن اجل عشائر العراق الجبور الدليم ، وهم قبائل كثيرة مشهورة من حمير القحطاني (من العرب العاربة) وهم بنو عَم العبيد أولاد جبر شقيق عبيد ، ومنها عبادة بطن من عقيل من بني عامر بن صعصعة من العدنانية ، وكانت منازلهم بالجزائر الفراتية مما يلي العراق ، ولهم عدد وكثرة وبقي منهم قليل في هذا العصر ، وغلب منهم قريش بن بدران بن مقلد في اواسط المائة الخامسة على الموصل وحلب .

ومن اجل عشائر العراق الدليم ، وهم قبائل كثيرة مشهورة من حمير من العرب العاربة ، وهم ايضاً بنوعم العبيد لأن جدهم ثامر شقيق عبيد .

ومن أجل عشائر العراق شمر ، وهم عدة قبائل منها الخرصة ، والعمود ، والصايح ، ولهم قرابة مع العبيد والنجم واسلم وهو من الصايح ، والعليان ، والبريج ، والفداعة ، وعبده ، والفيفيلة ، والعفاريت ، والزكاريط ، والزميل ، وآل جعفر قوم ابن رشيد شيخ جبل شمر ، وتبلغ قبائل شمر مائة الف نفس فأكثر وحمائلهم آل محمد من طي وجميع قبائلهم تعود الى قحطان .

ومن اجلها عشيرة الغرير ، وهم من حمير ، ومن قبائلهم آل شهوان ، وآل بكرن ومن اجلها عشيرة العزة ، وهو من اولاد عمرو بن معد يكرب الزبيدي الصحابي رضي الله تعالى عنه ، وهم عدة قبائل مشهورة كلهم من حمير ، ومنها آل مفرج ، وهم من الازد من القحطانية بطن من شنوة ، وهم بنو مفرج بن مالك ابن نصر ونصر هو شنوه ، ومنها بنو عزّ وهم من حمير ، ومنها العمار وهم من حمير . ومنها الجنابيون ولهم عدة قبائل : آل مهلهل ، وبنو حسون ، والسويضات ، ومنهم الحلاونة وآل مربود . وآل بيج ، وآل عساكر ، وآل حسان ، والثويرات ، عدة أفخاذ ، وآل صقر عدة افخاذ والخكارة عدة أفخاذ وحمائلهم آل مرشد ، وهو بيت رفيع بين العرب وكلهم من قحطان ، ومنها المهدية ، وهم القصابون في بغداد وهم من زبيد الحميري . ومنها الندى ، وهم اولاد قطر الندى من زبيد . ومنها .

الجيايلة ، وهم من زبيد ، ومنها الكميدات وهي عشيرة ولها عدة قبائل كثيرة كلها تنتهي الى قحطان .

ومن أشراف عشائر العراق النعيم ، فأنهم سادات ، ومن اشرافها المشاهدة ، وكذا منهم الحياليون فهؤلاء الثلاثة سادات ، ومن اعظم عشائر العراق الضفير ، وهم قبائل كثيرة يبلغون ثلاثين الف نفس فأكثر ، ومنهم بنو حسين من الاشراف ، ومنزلهم في منازل المنتفك بين نجد والبصرة ، ومن قبائل العراق الكروية وهم اولاد قيس ، وينقسمون الى كروي جديد وكروي عتيق ، ومنها المجمع وهم سبعة قبائل ، تجمعوا وتحالفوا ، ويقال انهم اولاد منصور ، على ماهو المشهور ، لكن ذكر في نهاية الارب : بطن من جعفر من قحطان ، وهم بنو مجمع ابن مالك بن سعد بن عوف بن جعفر ، ومنها بنو ويس ، وهم الاوس ، ولا يعلم انهم الأوس من طابخة العدنانية . وجميع ما ذكرناه من العشائر المذكورة فهم من أهل السنُة والجماعة واكثرهم على مذهب الامام الشافعي ، الا عنيز وشمر والضفير فأنهم على مذهب الامام مالك ، واما الكروية الجديد والمجمع فأنهم على مذهب الامام أبي حنيفة وأما الكروية العتيق ففيهم شائبة الرفض ، وقد تركنا كثيراً من عشائر اهل السنُة والجماعة خوف الملل .

واما العشائر العظام في العراق ، الذين ترفضوا من قريب فكثيرون ، ومنهم ربيعة ، وهم اولاد ربيعة بطن من بكر بن وائل من العدنانية ، وهم بنو ربيعه بن عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من العدنانية ، على ما هو المشهور ، وفق دعواهم والناس مأمونون على أنسابهم ، والله تعالى أعلم ، وربيعة من العدنانية أيضاً ، وهم ربيعة بطن من بني الحارث بن كعب من القحطانية . ومنها ربيعة بطون كثيرة غير ربيعة المذكور ومنها ربيعة بطن من شوات بن عامر ابن صعصعة بطن من الأزد ، ومنها ربيعة بطن من تميم من العدنانية ، وهم بنو

ربيعة بن كعب بن سعد بن عبد مناف بن تميم ، ومنها ربيعة بطن من حنظلة من تميم من العدنانية ، ومنها ربيعة بطن من خثعم ، ومنها بطن من عبد شمس بن عبد مناف ، من قريش ، ومنها ربيعة بطن من عذرة بن زيد اللات من القحطانية ، ومنها ربيعة بطن من عقيل ، ومنها ربيعة بطن من مضر العدنانية ، وهم بنو ربيعة ابن نزار بن مضر ، وتعرف بربيعة الحمر ، ثم اعلم ، ان ربيعة النازلة في الجهة الشرقية من بغداد ترفضوا ، مع امارتهم منذ سبعين سنة ، وأما ربيعة الذين في الجهة الغربية من بغداد فهم من أهل السنُة والجماعة على مذهب آبائهم ، وعنيزة كلهم من ربيعة وهم من أهل السنُة والجماعة ، ولله الحمد على ذلك .

ومن العشائر العظام بالعراق بنو تميم ، وهي عشيرة عظيمة نجية من مضر جد النبي (ص) وبنو تميم ابن مرة بن أد بن طابخة ، واسمه عمرو بن الياس بن مضر ، وسمي طابخة لأنه كان مع اخيه عامر في أبل لهما يرعيانها ، فاصطادا صيداً وقعدا يطبخانه ، فعدت عادية على ابلهما ، فقال عامر لأخيه عمر : أدرك الأبل وانت تطبخ ، فأدركها عامر وجابها ، وطبخ عمرو ، فلما ذهبا اخبرا أباهما بشأنهما ، فقال لعامر انت مدركة ، قال لعمرو : أنت طابخة ، وما اعلم ان بني تميم المذكورين من طابخة بن الياس ، او من مدركة ابن الياس ، والله اعلم ، وقد ترفضوا في نواحي العراق منذ ستين سنة ، بسبب تردد شياطين الرفضة اليهم ، وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمامة وامتدت الى الغري من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا بعد ذلك ، وورث منازلهم غزية من طي .

ومن العشائر العظيمة في العراق المترفضة الخزاعل ، وقد ترفضوا منذ اكثر من مائة وخمسين سنة ، وهي عشيرة عظيمة من بني خزاعة ، فحرفت وسميت خزاعل ، وهم من بني عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا من الازد من القحطانية، وعمرو هذا أبو خزاعة كلها ، وتفرقت بطونها فولد له كسب بطن ، وعدي بطن ،

وعوف بطن ، وسعد بطن ، هذا ما ذكره ابو عبيد وذكر في موضع آخر : ان خزاعة بنو اسلم ومالك ، وملكان من بني أقصى بن حارثة ابن عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر ، وسموا خزاعة على ما قاله الكلبي : لأن بني مازن من الازد لما تفرقت الازد من اليمن في البلاد ، نزلوا على ماء بني زبيد ، ورفع يقال له غسان وأقبل بنو عمرو بن لحي فأنخزعوا من قومهم ، فنزلوا مكة ثم اقبل بنو أسلم ومالك وملكان بن اقصى بن حارثة ، فأنخزعوا عن قومهم ايضاً ، فسمي الجميع خزاعة . وكانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما ، وكانوا خلفاء لقريش ، وكان لخزاعة ولاية البيت بعد جدهم ، ولم تزل بيدهم الى ان باعها ابو غسان بن قصي بن كلاب جد النبي (ص) .

ومن العشائر المترفضة عشيرة زبيد ، وهي كثيرة القبائل ، وقد ترفضت منذ ستين سنة بتردد الرفضة اليهم ، وعدم العلماء عندهم الا حمائلهم ، وهم آل عبد اللّه ابن وادي بيك ، فأنهم من اهل السنُة والجماعة على مذهب الامام الشافعي رضي اللّه عنه ، لكن ترفض بعض الحمائل من بني عمه ووادي بيك ، قد توفي على مذهب أهل السنُة والجماعة ، وكان أميراً كريماً جواداً ، له من مكارم الاخلاق والافعال والاقوال ما لا يسعه المقام ، وكانت عطاياه كعطايا البرامكة ، وهو من حسنات الزمان ، وهو بنو منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك ، وهو مدحج ابن أدد بن زيد بن شخب بن عريب بن زيد من كهلان من القحطانية ، وسمي سعد العشيرة لانه بلغ ولده وولد ولده مائة رجل ، يركبون معه فكان اذا سئل عنهم ، قال: هؤلاء عشيرتي ، وقاية لهم من العين ، ويعرف زبيد هؤلاء بزبيد الاكبر ، وهو زبيد الحار ، وبنو زبيد ايضاً بطن من زبيد الاكبر من سعد العشيرة المذكور ، وهم بنو منبه الاصغر بن ربيعة بن سلحة بن مازن بن ربيعة بن منبه الاكبر الذي تقدم ذكره وتعرف زبيد هذه بزبيد الاصغر ، منهم عمرو بن معد يكرب الصحابي رضي اللّه تعالى عنه ، وعاصم بن الاسقع الشاعر ، وعشيرة زبيد التي في نواحي بغداد

من زبيد الأصغر ، واما العبيد والجبور والدليم فهم من زبيد الاكبر ، وكلهم من حمير من القحطانية .

ومن العشائر المترفضة بنو عمير ، وهم بطن من تميم من العدنانية وهم بنو عمير بن مقاعس بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، منهم السليك بن يثرب ، ومن العشائر المترفضة ، الخزرج وبنو الخزرج بطن من بني مزيقيا من الازد ، ويقُال لهم الخزرج الاكبر بن حارثة بن ثعلبة بن مزيقيا ، واذا اطلق الخزرج فالمراد هؤلاء وهم احد قبيلتي الانصار اخوة الأوس ، ويقُال لكليهما بنو قلية وبنو الخزرج بن عمرو ، ونسبهم مندرج في الأوس ، وبنو الخزرج أيضاً من كلب من قضاعة من القحطانية ، وهم بنو الخزرج بن زيد اللاة بن رفيدة بن ثور بن كلب ، والخزرج هذا اخو عذرة بن زبدة اللات ، ولا شهرة له ، وما اعلم ان خزرج العراق من أي الخزرج ، والله تعالى اعلم .

ومن العشائر المترفضة ، شمر طوكَة ، وهي كثيرة ، ويدعون انهم من قبيلة شمر المشهورة ، وشمر ينكرون نسبهم .

ومن المترفضة الدوار ، ومن المترفضة الدفافعة ، وهم وأبخسهم ، وقد قتلوا نزيلهم الوزير الكامل الصالح سليمان باشا الصغير والي بغداد ، حين كسره حالت أفندي ، المأمون من جهة الدولة العلية العثمانية ، وهرب ونزل عندهم ، وولي الافندي المؤما اليه عبد الله باشا على بغداد ، فلما أتوا برأسه الى عبد الله باشا أمر بنهبهم وسبي اولادهم ، واستحياء نسائهم ، وكان حالت أفندي المشار اليه من دهاة الرجال من ذوي العقل والرأي والفضل والتدبير والكرم .

ومن المترفضة عشائر العمارة آل محمد ، وهي لكثرتها لا تحصى وشيوخهم آل فيصل من عشيرة العزة ، وترفضوا عن قريب وتمعدنوا ، وهم جميعاً من قحطان ، ومن المترفضة عشائر الهندية وما اتصل الى قرب البصرة ، ولا يحصي

عددهم الا الله تعالى ، واكثرهم من قحطان أصلاً ونسباً الا أنهم تمعدنوا . ومن العشائر العظيمة المترفضة عشيرة بني لام ، وهي كثيرة العدد والبطون ، حمايلهم من أكابر الناس كرماً ونجابة وبأساً ، بطن من طي من القحطانية ، وهم بنو لام بن عمرو بن علية بن مالك بن جدعان بن ذهل بن سرحان بن جندب بن خارجه بن سعد بن قطره بن طي بن ادد بن زيد بن لشجب بن عريب بن زيد بن كهلان القحطاني ، والى طي ينسب حاتم الطائي المشهور بالكرم ، وأخباره اشهر من أن تذكر ، ومن طي زيد الخير ابن مهلهل الصحابي رضي الله عنه ، وفد على رسول الله (ص) مع وفد طي فسماه زيد الخير ، وقال (ص) : ما وصف لي احد في الجاهلية ورأيته في الاسلام الا رأيته دون وصفه غيرك . وكانت منازل بني لام في الاصل في المدينة الى الجبلي ، ينزلون اكثر أوقاتهم مدينة يثرب ، ثم أتوا الى العراق .

ومن العشائر المترفضة عشائر الديوانية ، وهم خمسة عشائر : آل اقرع ، وآل بدير ، وعفج ، والجبور ، وجليحة ، وكلهم يشربون من ماء الدغارة ، الآخذة من ماء الفرات ، والأقرع ست عشرة قبيلة ، وكل قبيلة كثيرة العدد ، وآل بدير ثلاث عشرة قبيلة ، وهي ايضاً كثيرة العدد، وعفج ثماني قبائل كثيرة العدد ، وجليحة أربع قبائل كثيرة الاعداد . وأما الجبور فهم أربع قبائل كثيرة الاعداد ، وهم فرقة من الجبور الذين كانوا في الخابور من اهل السنّة والجماعة ، الا انهم انتقلوا من مدة طويلة الى جهة الديوانية وترفضوا ، وهذه القبائل المذكورة أهل تعصب في الرفض ، لا يخرجون عن طاعة امرهم ، واكثر تحريكاتهم من تحريكات المتسيد بن المذكور ، والقبائل المذكورة من أهل الشجاعة والاقدام والقوة البالغة والجسارة ، ولم تزل الحروب والمقاتلة بينهم ، وفي كثير من الازمان الماضية كانوا يخرجون عن طاعة والي بغداد . ويقاتلون العساكر أشد القتال ، فتارة تحصل لهم الغلبة وتارة يغلبون ، ومسافة منازلهم طولاً يومان وعرضاً يوم واحد ، واكثر قوتهم

من ماء الدغارة ، فاذا سُدت الدغارة ذلوا ودخلوا تحت الطاعة ، وذهبت قوتهم ، ولم تسعهم مخالفة الحكام لأن أهوار الدغارة كالحصن لهم ، خذلهم الله تعالى .

ومن عشائر العراق العظيمة المترفضة من مدة مائة سنة فأقل عشيرة كعب ، وهي عشيرة عظيمة ذات بطون كثيرة ، ومنزلها في المحمرة ونواحيها ، وكانوا من تبعة الدولة العلية العثمانية ، ومنازلهم المحمرة من جملة أملاك الدولة العلية الى أيام الوزير ، العلامة الحاج ، داود باشا ، لأنها داخلة في سواد العراق ، من عبادان الى حديثة الموصل طولاً ، والمحمرة ما دون عبادان بساعتين ، وعبادان التي هي الحد أيضاً كانت للدولة العلية ، لكن الدولة الايرانية وضعت يدها على هذه الاماكن ، وعلى ذهاب من غير حق ، ودولتنا العلية ، ادامها رب البرية صرفت النظر عنها في هذه الايام لغرض لم نعلمه ، والا فقدرتها على الدولة الايرانية كقدرة البطل الفارس الذي ركب جوادا سابقاً ، وعليه عدة اسلحة على الرجل الذي يمشي على رجليه ، وليس عنده شيء من الاسلحة ، وذلك مُسلم لدى كل واحد ، ومنْ وقف على قضية المرحوم سلطان سليم خان ، عليه الرحمة والرضوان ، مع اسماعيل شاه الصفوي ، الذي هو أعظم شاهات العجم واشجعهم واكثرهم صولة ، فقد علم فرار اسماعيل شاه وانهزامه وتشتت عساكره وقتل غالب جنوده وأمراءَه ، ثم ساقت العساكر العثمانية المنصورة من ورائه ، وكادوا ان يمسكوا اسماعيل شاه ، ففر من بين ايديهم وهم ينظرون اليه ، فغنم السلطان سليم جميع ما في خيمة اسماعيل شاه وخيام عساكره ، واعطى الرعية الامان ، وذلك في سنة عشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية ، على صاحبها افضل الصلاة والسلام والتحية ، ثم في سنة الثلاثة والعشرين والتسعمائة من الهجرة توجه السلطان سليم الى مصر وفتحها ، واخذها من الغوري الجركسي لما كان من المكاتبة والمحبة بين الغوري واسماعيل شاه ، وولي السلطان سليم خان ، عليه الرحمة والرضوان ، قضاء الحنابلة بمصر العلامة احمد البخاري الحنبلي الانصاري ، والد الشيخ تقي الدين

الحنبلي ، صاحب الكتاب المنتهى في فقه الحنابلة ، وقاضي مصر وهو آخر قضاة الاسلام بمصر من العرب ، واسماعيل شاه المذكور ، وهو ابن حيدر بن الشيخ جنيد صدر الدين سلطان المشائخ الشيخ صفي الدين ، وهو حسيني النسب من الاشراف ، بيتهم بيت الارشاد والتصوف والتقوى والعلم ، ولم تزل آباؤه على ذلك ، وعلى اظهار شعائر الاسلام واتباع السنة السنية الى ان نشأ اسماعيل ، وكان شاه في صغره يتردد الى صائغ اسمه نجم في بلاد لاهيجان . وهذه البلاد كثيرة الفرق الضالة كالرافضة والزيدية وغيرهم ، فتعلم اسماعيل شاه الرفض في صغره من نجم الصائغ المذكور وكان مستخفياً في بيت الصائغ وكان يأتي اليه مريدو ابيه ويأتوه بالنذور ويعتقدون فيه الخير ، الى ان اغواهم وكثرت داعية الفساد ، فخرج ومن معه من لاهيجان واظهر الخروج للأخذ ثأر والده وجده ، اللذين قتلهما شروان شاه ، وعمره يوم الخروج ثلاث عشرة سنة ، وكلما سار الى منزل كثرت عليه داعية الفساد ، واجتمع معه عساكر كثيرة ، وقصد مملكة شروان شاه لمقاتلتــه ، فأنهزمت عساكر شروان شاه ، وأسروا شروان شاه ، وأتوا به الى اسماعيل شاه ، فأمر ان يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ، ففعلوا ، ثم حصلت له وقايع كثيرة انتصر فيها ، واستولى على خزائن عظيمة ، وعلى جميع ممالك ايران وشروان وتفليس وغير ذلك وكان لا يمسك شيئاً من الخزائن ، بل يفرقها على العساكر وعلى سائر الناس ، ثم صار لا يتوجه الى بلد الا اخذها وقتل الجميع منْ فيها ، ونهب اموالهم الى ان ملك بغداد ، وعراق العرب ، وعراق العجم ، وخراسان ، وأذربيجان ، وتبريز ، ثم خرج عن جادة الرفض وادعى الربوبية ، وكان يسجد له عسكره ، وقتل خلقاً لا يحصون ، بحيث لا يعهد في الاسلام ، ولا في الجاهلية ، ولا في الامم السالفة مقدار ما قتله اسماعيل شاه من النفوس ، وقتل عدة من اعاظم العلماء ، وحرق كتبهم ، بحيث لم يبق احد من أهل العلم في بلاد العجم ، وحينئذ انهزم جدنا العلامة محشي اثبات الواجب المولى

الشريف محمد بن الشيخ حيدر بير الدين الى جهة العراق ، واختفى في جبال الاكراد في نواحي حرير ، وكان فيما وراء النهر فسلم على دينه ومذهبه وروحه ، ولله الحمد فحل جدنا المذكور لدى امراء الاكراد وعلمائهم واكابرهم ، واخذوا عنه العلم ووقروه ، وكفت وزراء الدولة العثمانية بعد فتحهم العراق على ايدي العجم اولاده مؤنة معاشهم ، وتناسل آباؤنا في العراق احد عشر ظهراً ونشروا العلم ، وألفوا الكتب المفيدة في كل فن ، وشهروا العلوم العقلية بالعراق مخصوصاً بالمنقول مدة طويلة ، ونالوا من الدولة العلية العثمانية ادامها رب البرية الثروة العظيمة ، والجاه ومناصب الافتاء ، ونبش اسماعيل شاه قبور المشايخ والعلماء ، واحرق عظامها وكان اذا قتل اميراً من الامراء اباح زوجته وامواله لشخص ما ، وكانت عساكره تعتقد فيه الالوهية ، وانه لا ينكسر ولا يقدر عليه احد وغير ذلك من الاعتقادات الفاسدة ، فلما وصلت اخباره الى السلطان سليم خان ، عليه الرحمة والرضوان ، انتدب لقتاله وجهاده ، فجمع الجموع وكسره ، وفعل به ما ذكرناه أولاً نقلاً عن صاحب الاعلام الى بيت الله الحرام ، شكر الله تعالى سعيه على ازالة هذا الكافر الطاغي الخبيث الملعون وهتكه وتمزيق جيوشه الكفرة .

ثم اعلم ، ان عشيرة كعب بطن من خزاعة من بني مزيقيا من الازد من القحطانية ، وهم بنو كعب بن عمرو بن ربيعة ، وهو يحي بن حارثة بن مزيقيا ، كان له من الولد : سعد بطن ، ومازن بطن ، وسلول بطن ، وحبشية بطن ، ومن العشائر المترفضة بنو سعد والسواجن وجعيفر وغيرهم ، وبالجملة ان عشائر بغداد العربية من الموصل الى البصرة لا يحصي عددهم ، وبطونهم الا الله تعالى .

واما عشائر الاكراد من أهل العراق فهم كثيرون فمنها عشيرة السورجية ، وهي كثيرة جداً ونشأ منهم علماء العام ، ومنها عشيرة الخوشتار ، وهي ايضاً كثيرة ، وأهل شجاعة واقدام قتل النفس عندهم بمنزلة شرب الماء ، ولم يزل القتال

بينهم ونشأ منهم علماء فحول ، منهم العلامة النحرير محمد الخطي ، ومنها عشيرة البالكية ، وهي كثيرة ونشأ منهم علماء أعلام وصلحاء ، ومنهم شيخي العلامة الفهامة الولي احمد الكلالي ، ومنها عشيرة كوزة وهم كثيرون وأهل اقدام ، ومنها عشيرة الكروية بفتح الكاف ، وهم كثيرون وأهل اقدام وشجاعة ، ونشأ علماء اعلام ، ومنها عشيرة الزيبارية ، وهي كثيرة جداً ونشأ منهم علماء اعلام فحول منهم العلامة النحرير ، جامع المنقول والمعقول حاوي الفرع والاصول ، الولي الحافظ المعمر شيخي وسندي ، وشيخ مشايخ العراق بالاتفاق الشيخ يحيى المزوري العمادي العمري النسب ، وله حاشية على تحفة العلامة ابن حجر الهيتمي المكي طاب ثراهما .

ومنها عشيرة الصهران ، وهي في الاصل امراء الاكراد والصهران ، من طي نسباً ، منهم حكام كوي سنجق اولاد عثمان باشا ، وقد انقرض هؤلاء الحكام وبقي منهم بعض الضعفاء ، بعد ان كانوا ملوك الاكراد ، والاكراد يعترفون بذلك وحق هذه الطائفة التقدم ، الا ان القلم زل بتأخيرها كما اجرت المقادير بزوال ملكها ، ومنها عشيرة درزي ، وهي كثيرة جداً ذات اقدام ، ولهم المخالطة التابعة مع طي يتكلمون بالعربية لا يفرقهم السامع عن طي لساناً وهيئة . ومنها عشيرة البلباص ، وهي في غاية الكثرة والشجاعة ، ونشأ فيهم علماء اعلام ، منهم شيخي العلامة المدقق ابراهيم الرمكي ، ومنها عشيرة الجاف ، وهي في غاية الكثرة والشجاعة والاقدام ، ونشأ منهم شيخنا ، وشيخ اعلام الدنيا على الاطلاق النحرير العلامة والحبر الفهامة قطب دائرة الارشاد والمرشد الكامل للعباد الولي المجدد الراكع الساجد ، حضرة مولانا ضياء الدين خالد العثماني النقشبندي قدس سره، ويكفيهم فخراً نشوء هذا الامام منهم . ومنها عشيرة الهركي ، وهي كثيرة ذات اقدام ، ومنها عشيرة الشوان وهي كثيرة ، ومنها عشيرة زند ، وهي كثيرة ، ومنها عشيرة زكمه ، وهي كثيرة وغير ذلك من العشائر التي لاتحصى ، وجميع الاكراد

في غاية العداوة مع العجم ، وكلهم من اهل السنُة والجماعة على مذهب الامام الشافعي رضي اللّه عنه ، فلا تجد في الاكراد احداً من الرفضة ، وسائر البدع والضلالات ، ولا احداً من سائر مذاهب أهل السُنة والجماعة ، من الحنفية والمالكية والحنبلية رضي اللّه عنهم ، سوى عشيرة باجلان فأن بعضهم حنفية وبعضهم شافعية ، والاكراد كلهم ، على ما في القاموس ، من أولاد كرد بن عمرو بن مزيقيا ابن عامر بن ماء السماء ، وذكر صاحب القاموس ، في مادة مزق ، ان مزيقيا لقب عمرو بن عامر ملك اليمن ، كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالمشي ، يكره العود فيهما ، ويأنف ان يلبسهما غيره فلذا لقب بمزيقيا .

أقول : فعلى هذا يكون الاكراد من اشراف العرب ، واما ما ذكره بعضهم من انهم ليسوا من العرب ، فهو من قبيل التعصب ، وكفى بصاحب القاموس تصحيحاً وشهادة فهم على ما ذكره المجد من قحطان من العرب العاربة نسباً ، لأن مزيقيا على ما ذكره علماء النسب من بني قحطان ، واللّه تعالى اعلم وتبدل لسانهم لقرب منازلهم من العجم ، فلسان الكرد محرف لسان الفرس .

واما عشيرة البيات فهم من الاتراك ، وهم كثيرون وفيهم الاقدام ، يتكلمون بالعربية لمخالطتهم مع العبيد لقرب المنزل ، قيل انهم أتوا الى العراق مع السلطان مراد خان عليه الرحمة والرضوان ، بعضهم من اهل السنُة والجماعة ، وبعضهم رفضة ، وحمايلهم البيكات من أهل السنُة .

الباب الخامس

في بيان العلماء الذين ادركت عصرهم من العراقيين

فمن اجل منْ أدركت عصره جدي ، العلامة النحرير والفهامة الذي لا يكفي بتفصيل مناقبه التقرير والتحرير المولى الشريف ، أسعد صدر الدين مفتي الحنفية ببغداد ، ابن الولي العلامة الشريف عبد الله الحيدري البغدادي ، وكان من الرجال الدهاة ذا هيبة ووقار ، نال من القبول والكلمة النافذة بين الناس والجاه لدى ولاة بغداد ما لم ينله احد من العلماء ، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ، ودرس العلوم النقلية والعقلية أربعين سنة متوالية ، على ما حدثني والدي ، عاش وقد قارب عمره ثمانين سنة ، واخذ عنه العلم عدة علماء أعلام ، منهم العلامة الوزير والي بغداد الحاج داود باشا البغدادي ، فأنه لازمه قبل الوزارة سبع عشرة سنة ، وقرأ عليه المنقول والمعقول حتى فاق أقرانه ، ومنهم والدي طاب ثراه ، فانه اخذ العلم عن ابيه وعن غيره ، وكان والدي من العلماء الصالحين العاملين المفضلين لا يعرف شيئاً من امور الدنيا مقبولاً محبوباً عند الخواص والعوام ، تقلد افتاء الشافعية سنين كثيرة ، ومات رحمه الله تعالى وقد قارب عمره تسعين سنة ، ومنهم العالم الفاضل الشريف ، عبد الله بن العلامة الشريف ، غياث الدين الحيدري البغدادي ، ابن عمّ جدي المذكور ، قد أخذ العلم عنه ولازمه ، وقد رباه جدي وعلمه العلم واحسن تربيته ، لوفاة ابيه غياث الدين بغداد البغدادي ، ومنهم العالم الكامل مصطفى القلعبند ، نائب بغداد البغدادي .

ومنهم العالم الكامل سلمان السويدي البغدادي ، ومنهم العالم الفاضل صبغة الله بن العلامة ابراهيم بن العلامة الشريف محشي الخيالي عاصم الحيدري عمّ والد جدي ، ومنهم العالم الكامل محمد السمين الموصلي ، ومنهم العلامة الولي الجامع للمنقول والمعقول الولي الشريف عمّي عبيد الله مفتي الحنفية ببغداد الحيدري النقشبندي البغدادي ، وكذلك العلامة الاديب الاريب اللبيب الشريف عبد القادر الصدفي البغدادي ، اخذ عنه العلم ، ومنهم العالم الفاضل الكامل الاديب الصالح محمد سعيد البغدادي ، مفتي الحنفية في بغداد ، ومنهم العالم الصالح الحاج ادريس أغا ، ومنهم العالم الاديب سليم بيك ، ومنهم العالم الكامل العامل الصالح احمد الزندي الكردي ، ومنهم العالم الفاضل الشاعر اللوذعي ، الاديب محمد اسعد العثماني الكركوكي ، المشهور بنائب زاده ، ومنهم العالم الفاضل الألمعي عبد العزيز الشواف البغدادي ، ومنهم الاديب عبد الغني جميل مفتي الحنفية ببغداد ، ومنهم العلامة ، الجامع للمنقول والمعقول ، محمد أمين الحلي ، مفتي الحلة وغير ذلك من الفضلاء ، مما يضيق المقام بذكرهم لكثرتهم فهؤلاء كلهم اخذوا العلم عن جدي المشار اليه رحمه الله تعالى وله عدة تآليف منها حاشية على تحفة المحتاج للشيخ العلامة ابن حجر الهيتمي المكي طاب ثراه ، حاكم فيها بين المحشين على التحفة ، جمع فيها وحقق وأدعى ، ومنها حاشيته على حاشية المحقق عبد الحكيم الهندي ، على الخيالي وحواشيه على حاشية العلامة اللقاني المصري ، على شيخ الغزي للتفتازاني في علم الاشتقاق وحواشيه، على حاشية القرباغي في المنطق وحواشيه ، على حاشية العلامة الطحطاوي ، على الدر المختار وشرحه على اللغز البياني المشتمل على علوم شتى وغير ذلك من التعاليق المفيدة ، وكان رحمه اللهّ تعالى واحد عصره ، الذي يشار اليه بالبنان وعلماً وعملاً وفضلاً وفهماً ودراية وعقلاً وهمة وجاهاً ونزوة وثروة وخيراً . وكان كثير المحبة معي ، وهو الذي رباني تسع سنين وعلمني القرآن الكريم ، لما كان والدي

غائباً هذه المدة عن بغداد في الجبال العراقية لتحصيل العلم ، وقد ناسب المقام ان أذكر تآليف اجدادنا واعمالنا السادة الحيدرية ، الذين تنتهى اليهم اجازات علماء العراق بالاتفاق ، فأما تآليف جدي المشار اليه فقد سبق بعضها ، ولوالدي المتوجه بكله الى مولاه السيد صبغة الله الحيدري ، تعليقات وحواشي على شرح الشمسية في المنطق ، وعلى حاشيته لداود الخوافي ، وعلى القرباغي ، وعلى شرح العصام على رسالة البيان ، وعلى حاشية المحقق عبد الحكيم الهندي على المطول وغير ذلك ، رحمه الله رحمة الابرار وجعل له الجنة خير مأوى وقرار .

وللعلامة الفهامة الولي الكامل الشريف عبد الله بن صبغة الله الحيدري ، والد جدي المشار اليه حواشي على شرح الجغميتي في الهيئة ، وعلى حواشي اثبات الواجب ، وعلى حاشية السيد السند على شرح الشمسية وعلى حاشية داود الخوافي وعلى حاشية عصام الدين على شرح الكافية للجامي ، وله شرح جليل على المسائل الهندية ، جمع فيها فأوعى وغير ذلك ، ولوالد هذا العلامة المشار اليه، علامة الدنيا على الاطلاق، الذي وقع على جلالة قدره الاتفاق ، شيخ مشائخ العراق خاتمة المحققين المولى الشريف صبغة الله بن ابراهيم الحيدري ، تآليف دقيقة عجيبة كأنه قصد الاغلاق في التعبير ، وكان قوي العربية كأمثال سيبويه ، وكان في المعقول كامثال الفخر الرازي ، وفي التفسير كامثال الزمخشري فمن تآليفه حاشيته الجليلة على تفسير البيضاوي ، وحواشيه الدقيقة على حاشية المحقق عصام الدين على شرح الكافية للجامي ، وحواشيه على الحاشية المسماة بالمحاكمات على العقائد الدوانية ، لجده العلامة احمد بن حيدر ، وحواشيه الدقيقة العجيبة على الكتب الحكيمة الصعبة المأخذ ، وله آثار عظيمة في المعقول ، بلغ فيها الدقة الغامضة كابن سينا ، وكان إماماً جليلاً في كل فن أخذ عنه جميع من عاصره من علماء العراق ، فلا نجد اجازة علمية عراقية ، الا ويتصل به وتنتهي الى آبائه ولوالد هذا العلامة المشار اليه ، العلامة الفهامة المحقق المدقق الولي

الكامل العارف الشريف مولانا وجدنا ، ابراهيم بن حيدر تاليف كثيرة مفيدة ،منها حاشية على تحفة المحتاج للعلامة ابن حجر المكي طاب ثراه ، ومنها شرح الزوراء للدواني ، ومنها الالهامات الربانية في كل فن ، وهو كتاب عجيب ، ومنها تفسير القرآن ، وجمع فيه الظاهر والباطن وهي مجلدان ، وشرح تشريح الافلاك في الهيئة والحاشية الدقيقة على حاشية قول احمد علي الفناري في المنطق ، والحاشية اللطيفة على الوغ بيك على شرح المسعودي في آداب البحث ، وحاشيته ايضاً الدقيقة على حاشية المحقق ميرزا جان على حاشية السيد السند على حاشية المطالع في المنطق ، وحاشيته على جمع الجوامع في اصول الفقه ، وحاشيته على شرح عصام الدين على رسالة البيان ، وحاشيته على الكواكب الدرية في القواعد الجفرية ، وغير ذلك من التآليف الدقيقة المفيدة .

وقد حدثني الذكي الملا اسماعيل بن الفاضل محمد الكلالي البالكي بأنه قد رأى حاشية على حاشية المحقق عبد الحكيم الهندي ، على شرح الشمسية في المنطق ، ولم اجدها في كتبنا لأن تاليف اجدادنا السادة الحيدرية ، وأعمامنا وبنيهم موجودة عندنا ، او لدى بني عمّنا وعشيرتنا الحيدرية ، ويمكن ان تكون قد فقدت من كتبنا ، لأن الذي حدثني بذلك من الثقات من ذوي العلم ، ولوالد هذا العلامة العارف المشار اليه علامة العلماء واللج الذي لا ينتهي ، ولكل لج ساحل ، بحر العلوم المحيط بكل منطوق ومفهوم ، صاحب الكرامات العديدة ، والتاليف المفيدة شيخ الكل في الكل ، مولانا وجدنا المولى الشريف حيدر بن احمد قدس سره عدة تاليف عظيمة دقيقة ، منها حاشيته العظيمة على شرح مختصر المنتهى في اصول الفقه ، وحاشيته على شرح التجريد في علم الكلام وحاشيته على شرح حكمة العين في الحكمة ، وحاشيته على حاشي اللاري على شرح القاضي الرومي على الهداية في الحكمة ، وحاشيته على شرح العقائد العضدية للمحقق الدواني ، وحاشيته على حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية للتفتازاني ، وحاشيته

على اشكال التأسيس في الهندسة ، وحاشيته على شرح عصام الدين على رسالة العضدية وحاشيته على اثبات الواجب وعلى حواشيه وغير ذلك من التآليف العظيمة الدقيقة ، وجميع الكتب لا تعرف حق المعرفة الا بهذه الحواشي المذكورة المتداولة في ايدي علماء العراق ، لصعوبتها ودقتها ، وعلو مطالبها ، شكر الله تعالى سعيه.

ولوالد هذا البحر الهمام المشار اليه العلامة الفهامة الدراكة افضل المحققين ولي الله تعالى بلا نزاع المولى الشريف ، احمد بن حيدر قدس سره عدة تآليف ، منها حاشيته الدقيقة الواقعة على الشرح المذكور وصارت جادة عند التكميل في الديار العراقية وغير شرح عقائد الدوانية ، المسماة بالمحاكمات فإنه قد حاكم فيها بين جميع الحواشي الواقعة على ذلك من البلاد ، وحدثني اللوذعي الاديب السيد محمد درويش ابن اختي نجل الفاضل الكامل محمد أمين الحيدري ، عن العالم الفاضل حيدر علي الهندي ، حين قراءته المحاكمات على الفاضل الهندي المذكور ، او ان وروده الى بغداد انه قد ذكر له ان المحاكمات المذكورة لجدنا المشار اليه من الكتب المعتبرة المقررة لدى علماء الهند .

ومن تآليفه كتاب رد الرفضة ، وكتاب اثبات غسل الرجلين في الوضوء ، وابطال المسح ، وله رسالة كبيرة في تفسير قوله تعالى : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة » الآية ، ويالها من رسالة مفيدة جامعة لدقائق لطيفة ، ومنها حاشيته العظيمة على كتاب الشفاء في علم الحكمة ، لابن سينا الذي حارت افكار فحول العلماء في حل عبارته المشكلة ، ومطالبه العالية ، وقد اجتمع جدنا هذا بالفضل العلامة المحقق المدقق ، مولانا عبد الحكيم السيالكوتي الهندي رحمه الله تعالى . في بعض المراكب البحرية ، وسأل كل منهما عن الآخر ثم تعارفا بعد المباحثة التامة ، وحصلت بينهما المودة واهدى جدنا اليه نسخة المحاكمات ، وهو اهدى اليه كتاب المطول بخط مؤلفه العلامة التفتازاني مع حاشيته عليه ، والمطول

المذكور موجود الآن عند بعض بني عمّنا ، وحاشية عبد الحكيم على المطول الذي اهداها الى جدنا هي اول ما وصلت الى الديار العراقية ، وهذه النسخة ليست في كتبنا الآن .

ولوالد هذا العلامة المشار اليه العلامة الفهامة ولي الله بلا نزاع ، ومحرر مذهب الشافعي بلا دفاع المولى الشريف حيدر بن محمد خوارق عظيمة ، وله حاشية عظيمة على تحفة العلامة ابن حجر ، وكان مفتي الشافعية في خطة العراق . ترجع اليه فحول العلماء في الفتوى ، وكان يدعى في العراق بابن حجر الثاني ، وهو معاصر له . ولوالد هذا الشيخ العلامة المشار اليه ، العلامة الفهامة المحقق ناشر العلوم في العراق ، المولى الشريف محمد بن حيدر بير الدين طاب ثراه حاشية على اثبات الواجب ، وهو اول الواردين من ما وراء النهر الى النهر ، وقد نشر العلوم العقلية ، وتلقته العلماء بالتعظيم ، واخذوا عنه العلوم ، وكان يتكلم باللغة التركية الجغطائية ، وولد ابنه جدنا حيدر المذكور في العراق من أمرأة تزوجها من الباشورية ، من اولاد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ، وياله من بيت مجد وعلم وفضل .

ولوالد هذا الشيخ العلامة المشار اليه ، الشيخ العلامة المرشد الكامل ، حيدر بير الدين بن أمين الدين خوارق عظيمة ، وقد جمع بين علم الظاهر والباطن ، ولوالد هذا العلامة المرشد المشار اليه العلامة المرشد الكامل الشيخ أمين الدين كرامات وخوارق عجيبة ، جمع علم الظاهر والباطن ، والكل من هؤلاء الرجال العظام اخذ العلم عن أبيه وكمل عليه العلوم ، إلاّ أحمد بن حيدر صاحب المحاكمات فإنه اخذ عن ابيه العلوم النقلية وبعض العقلية ، واخذ من غيره بعض العقلية ، وسمع الحديث عن عبد الملك العصامي عن الشيخ ابن حجر المكي ، كما هو مذكور في ثبته .

وأخذ جدنا محمد العلم والطريقة عن ابيه بير الدين ، عن ابيه العلامة ابراهيم برهان الدين ، عن ابيه المرشد الكامل الشيخ علي علاء الدين ، عن ابيه سلطان المشايخ صفي الدين ابي الفتح اسحاق عن القطب الشيخ احمد أخي حجة الاسلام ابي حامد الغزالي .

واخذ جدنا صفي الدين ايضاً عن ابيه امين عن والده العلامة الشيخ صالــح ، عن والده العلامة المرشد الشيخ قطب الدين ، عن والده العلامة الحافظ المرشد الشيخ صلاح الدين رشيد ، عن والده محمد الحافظ ، عن والده المرشد الكامل عوض ، عن والده العلامة الولي الكبير فيروز شاه ، عن ابيه الشيخ الولي الكبير محمد شاه ، عن ابيه الولي المرشد الكامل شرف شاه ، عن ابيه الشيخ محمد عن ابيه الشيخ حسن ، عن ابيه الشيخ محمد ، عن ابيه الولي الجليل الشيخ ابراهيم الملقب بالادهم ، عن ابيه الشيخ جعفر ، عن ابيه الشيخ محمد ، عن ابيه الشيخ اسماعيل ، عن ابيه المحدث الحافظ احمد الاعرابي ، عن ابيه المحدث الشيخ الحافظ ، عن ابيه الامام ابي محمد القاسم ، عن ابيه الامام ابي القاسم حمزة ، عن ابيه الامام الهمام موسى الكاظم ، عن ابيه الامام جعفر الصادق ، عن ابيه الامام الباقر ، عن ابيه الامام زين العابدين ، عن ابيه الامام الشهيد ، سيد شباب أهل الجنة وقرة أعين أهل السنّة ، أبي عبد الله الحسين ، عن ابيه ، الهمام والبطل الضرغام أسد الله الغالب ، علي بن ابي طالب أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين ، عن سيد المرسلين وافضل العالمين ابن عم المصطفى (ص) . فلله الحمد على هذا النسب العالي ، ولا ترى نسباً كنسب الحيدرية في اخذ كل منهم عن ابيه ، وهو من عجيب الاتفاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولنرجع الى ما نحن بصدده من عدّ تآليف السادة الحيدرية وللعلامة الشريف اسماعيل الحيدري ،

وللعلامة الشريف فضل الله الحيدري وللعلامة فتح الله الحيدري ، وللعلامة الشريف عاصم الحيدري اخوة جدنا ، العلامة الفهامة الشريف ، صبغة الله بن ابراهيم بن حيدر حواشي على تفسير البيضاوي ، ولاسماعيل المذكور ايضاً حواشي على شرح العضدية القوشجي ، وعلي القرباغي ، وله ايضاً شرح لطيف على رسالة الاصطرلاب ، وحواشي على الجفر الجامع لمحب الدين العربي قدس سره ولعاصم المذكور حاشية على الخيالي وللعلامة الولي الشريف صالح الحيدري بن اسماعيل المذكور حواشي على خلاصة الحساب وللعلامة الشريف ابراهيم الحيدري بن عاصم المذكور حواشي على حاشية عبد الحكيم الهندي على الخيالي ، وله شرح نفيس على رسالة مسألة خلق الاعمال لجلال الدين الدواني ، وللفاضل الجامع الشريف محمد الحيدري بن فضل الله المذكور آثار عجيبة في كل فن . وللعلامة الفّهامة الولي الشريف خالد الحيدري والعلامة الشريف عمر الحيدري ، وللعلامة الشريف محمد الحيدري بن فضل الله المذكور آثار عجيبة في كل فن وللعلامة الفهامة الولي الشريف محمد الحيدري ، وللعلامة عباس الحيدري ، والعلامة الشريف حسين الحيدري اخوة جدنا حيدر بن احمد ، صاحب المحاكمات حواشي دقيقة على كتب علم المنقول. ولحسين المذكور ايضاً حواشي دقيقة على حاشية امير ابي الفتح في آداب البحث ، وللشاب العلامة اللوذعي الشريف غياث الدين الحيدري ، والعلامة الشريف حيدر مفتي الحنفية ببغداد الحيدري ، والعلامة الولي المجذوب الشريف محمد أمين اخوة جدنا عبد الله بن صبغة الله حواشي على سائر كتب المعقول ، وخاصة لغياث فأن له حاشية عظيمة على تحفة ابن حجر المكي ، وعلى جمع الجوامع في الاصول ، وعلى مختصر المنتهى في الاصول ، وعلى اللاري في الحكمة ، وعلى حاشية عبد الحكيم الهندي على حاشية عبد الغفور على شرح الكافية للجامي ، وعلى حاشية عصام الدين على الجامي ، وحاشية على قول احمد علي الفناري ، وحاشية على رسالة محمد امين في جهة

الوحدة وغير ذلك ولحيدر المفتي حواشي تفسير البيضاوي ومحمد أمين المذكور مع كونه مجذوباً مستغرقاً في فكر اللّه تعالى ، وذكر له آثار عجيبة في العلوم وكرامات عديدة طاب ثراهم . وللعلامة المحقق الشريف احمد بن حيدر ، شقيق جدنا ابراهيم بن حيدر ، واخيه الآخر العلامة الفهامة المدقق الشريف عبد اللّه بن حيدر عدة حواشي على كتب المعقول ، فمن حواشي احمد المذكور حاشيته الدقيقة على شرح عصام الدين ، على رسالة البيان ، ومن حواشي عبد اللّه المذكور حاشيته الدقيقة النفيسة على حاشية اللاري في الحكمة ، وقد صارت جادة تقرأ في العراق ، وحاشيته على حاشية قول احمد التفتازاني ، وهي ايضاً تقرأ مع كتب الجادة ، وحاشيته على حاشية أمير أبي الفتح في آداب البحث ، وحاشيته على شرح عصام الدين على رسالة البيان ، وعلى شرح رسالة الوضع ، وعلى شرح رسالة الأدب لعصام الدين ايضاً ، وحاشيته على كتاب الفرائض من تحفة العلامة ابن حجر المكي ، وحواشيه على حاشية عبد الغفور ، على شرح الجامي على الكافية ، وشرحه على الزوراء للدواني وغير ذلك ولأولاد احمد المذكور : العلامة الشريف عبد اللّه ، والعلامة الشريف عبد العزيز ، والعلامة خضر حواشي على كاتب المعقول ، ولخضر حواشي على تحفة ابن حجر ، وكان عبد الغفور المذكور المعي الفكرة ، وله حواشي دقيقة على حاشية قول احمد ، وللعلامة المحقق الشريف محمد الاخرس بن خضر الحيدري المذكور حواشي على خلاصة الحساب ، ولولده العلامة الشريف خضر بن محمد تفسير لقوله تعالى : «اللّه نور السموات والارض » الآية ، وهو مجلد ويا له من كتاب جامع لأنوا ع الدقائق ، وللعلامة المدقق النحرير محمد بن حسين ابن بنت جدنا احمد بن حيدر حاشية دقيقة ، على مير أبي الفتح وعلى عصام الوضع ، وهما من الكتب المفردة ، وكان محمد بن حسين من اجل العلماء غمر النسب ، وبيتنا السادة الحيدرية لم يعطوا بنتاً لأحد الى اليوم ، الا لوالد هذا الحبر ، وللفاضل نعمة اللّه الحيدري واخيه

الصالح عثمان ، ولدي عاصم بن ابراهيم الحيدري آثار كريمة ، وللفاضل الصالح ابن عبد اللّه بن حيدر آثار كريمة حسنة وللفاضل المحقق الشريف مفتي الشافعية عبد اللّه بن غياث الدين الحيدري تعليقات دقيقة على كتب المعقول .

ولولده الفاضل ، المحقق الشريف ، محمد أمين حواشي لطيفة على حاشية العلامة محمد بن حسين ، (وله) ايضاً على حاشية مير أبي الفتح ، وللفاضل الذكي الشريف ابراهيم بن صبغة اللّه بن عاصم الحيدري حواشي على حاشية عبد الحكيم علي الخيال وللذكي اللوذعي الاديب محمد أمين بن عمي الشريف عبد الغفور الحيدري ، مفتي الشافعية ، تعليقات لطيفة على حاشية العلامة المصر اللقاني على شرح التصريف للتفتازاني ، وعلى القرباغي وغيرهما ، وله نظم ونثر رائق مات شاباً .

وللعلامة الفهامة ، جامع المنقول والمعقول المرشد الشريف مولانا عبيد اللّه الحيدري مفتي الحنفية ببغداد ، آثار عجيبة في كل فن ، وله نظم ونثر عجيب رائق فائق ، وكان يدرس العلوم النقلية والعقلية في اثناء الفتوى ، ولا يتكلف لذلك ، وكان مرشداً في الطريقة النقشبندية العلية ، وهو اول خليفة لمولانا خالد من خلفاء بغداد ، (وقد) حمل الماء على جرة على ظهره ، بأمر حضرة مولانا خالد قدس سره ، وسبله في الازقة والاسواق ، مع علمه وجلالة منصبه ، وقدره هضما لنفسه ، وعجب الناس من ذلك ، توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة .

وكان جدي كثير المودة له ، مشغوفاً بحبه ، توفي في طاعون بغداد ، وكان له ولدان فاضلان أديبان شاعران ، قد بلغا من الذكاء غاية المراتب ، وهما عبد الحكيم وعبد الحليم ، وكانا من عجائب المخلوقات في الفطنة والحفظ ، ولهما النظم والنثر ، الرائق وقد شرح عبد الحليم ، وهو الاصغر رسالة الخطيب في البيان ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقرأت الاجرومية في صغري على عبد الحليم ، ابن

عمي المكور رحمه الله تعالى ، مات هو وأخوه شابين في الطاعون بعد ابيهما بمدة قليلة ، وكاد والدي يرحمه الله أن يموت من حزنه عليهما وعلى ابيهما ، وللعلامة الفاضل ، الذي لا يبارى والكامل الاديب ، الذي لا يجارى ذي الاخلاق الكريمة والشمائل اللطيفة ، صاحب القلم والتحرير والنظم والتقرير المولى الشريف عمي عبد القادر صدقي الحيدري ، وكان نسخة الكمال في كل علم ومعرفة وهو من حسنات الزمان ، له آثار عجيبة بديعة في المراسلات والانشاءات والصكوك العربية والتركية والفارسية ، مما يتعجب منه الناظر املاء وانشاء وخطاً ، وله كتاب نفيس في بحث المكفرات ، كقواطع العلامة ابن حجر المكي ، وكان كثير المحبة لي ولوالدي ، توفي بالبصرة ودفن قرب الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه ، وهو اكبر سناً من اخيه عبد الله وكان رحمه الله تعالى كثير المزاح منطقياً فصيحاً بليغاً كريماً بهياً حسناً ، قوي الجدال يألف الكبير والصغير والغني والفقير في غاية التواضع طاب ثراه ، وجعل الله الجنة مثواه ، ولجدي اسعد المشار اليه اخ اصغر منه ، وهو العالم الاديب الشريف عبد السلام الحيدري ، وكان عالماً بالتواريخ والانساب ، وله الوقوف التام على اخبار الامم السالفة ، وكان ملازماً لوالدي ، كثير المحبة له . وللفاضل سعد الله الحيدري والفاضل شهاب الدين الحيدري ، والفاضل عبد الوهاب الحيدري ، والفاضل احمد الحيدري ، المشهور بالملا ، الكبير اليد الطولى في العلوم العقلية . هذا وترجمة جميع علماء السادة مع تآلفهم لا يسعه هذا المقام ، بل نحتاج الى مجلد كامل مستقل ، وهم يبلغون مقدار ثلثمائة عالم مؤلف ، ولكن ذكرنا بعضهم وبعض تآليفهم ليعلم الناس جلالة هذا البيت المرفوعة قواعده الى كيت وكيت .

واما تآليفي ، وانا الفقير ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن السيد اسعد الحيدري فكثيرة ، ولله الحمد ، فمنها فصيح البيان في تفسير القرآن ، التزمت فيه المحاكمة بين المفسرين ، وأعلى الرتبة شرح نظم النخبة في اصول

الحديث ، وامداد القاصد للنووي ، وحاشية على الجزء الاول من تحفة المحتاج للعلامة ابن حجر المكي طيب الله ثراه في فقه الشافعية وحاشية على الاشباه والنظائر الفقهية للسيوطي ، وحاشية على الدر المنتقى في شرح الملتقى في فقه الحنفية ، التزمت فيها سياق الفاضل ابن عابدين الدمشقي في حاشيته على الدار المختار ، وشرح مقامات الحريري ، وحاشية على كتاب سيبويه ، وشرح المقامة الطيفية للسيوطي وشرح ديوان ابي العلاء المعري ، وشرح ديوان ابي تمام ، وحاشيته على حاشية عبد الحكيم الهندي ، على حاشية عبد الغفور اللاري ، على شرح الجامي ، على الكافية وحاشيته على حاشية عبد الحكيم ، على شرح الشمسية في المنطق ، وحاشية على حاشيته ايضاً على المطول ، وحاشية على حاشية جدنا ايضاً على المطول ، وحاشية على حاشية جدنا ، خاتمة المحققين المولى الشريف ، احمد بن حيدر المسماة بالمحاكمات الواقعة على شرح العقائد العضدية للعلامة المحقق جلال الدين الدواني ، وفك الاشتباك شرح تشريح الافلاك في علم الهيئة وراحة الارواح شرح الاقتراح في اصول النحو للحافظ السيوطي ، وشرح منظومة آداب البحث والسنوحات في التصوف ، وشرح رسالة خلق الاعمال لحضرة مولانا وشيخنا المجدد خالد النقشبندي قدس سره ، وحاشية على حاشية العلامة المحقق محمد بن حسين بن بنت جدنا احمد بن حيدر على حاشية امير ابي الفتح على شرح رسالة الحنفية في آداب البحث ، وحاشية على حاشية القرباغي على شرح الابساغوجي في المنطق وكتاب الحسب في النسب ، جمعت فيه انساب العرب ومآثرهم واصول الخيل والابل والعلامات الجيدة والردية فيهما ، والصراط المستقيم في الرد على النصارى ، وكامل التوقيع في فن البديع ، وامعان الالباب في الاصطرلاب ، وحاشية على شرح الشافية للجاربردي في علم الصرف ، وحاشية على الفية ابن مالك للحافظ السيوطي ، وتعليقات على مغني اللبيب ، وعلى حكمة العين ، وعلى حاشية اللاري على شرح الهداية في الحكمة وتعليقات على

شرح مختصر المنتهى في الاصول ، وعلى حاشية الوغ بيك على شرح المسعودي في آداب البحث ، وعلى حاشية المصري على شرح التصريف ، وعلى حاشية امير ابي الفتح على شرح التهذيب للدواني في المنطق ، وعلى الفاكهي ، وعلى قول احمد ، وعلى شرح السراجية للسيد السند في الفرائض ، وعلى غالب كتب المقدمات وغير ذلك من الرسائل المفيدة والالغاز والانشاءات ، والحمد لله تعالى حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده .

وقد أخذْت العلوم عن عدة اعلام ، سيأتي ان شاء الله تعالى بيانهم ولنرجع الى ما نحن بصدده من بيان علماء العراق ، الذين ادركت عصرهم واخذت عنهم فأجل منْ أدركت عصره وأنا صغير شيخنا ومقتدانا ، قطب دائرة الارشاد المرشد العارف بالله الكامل الاسناد مجدد العصر والاوان ، شمس الحقيقة والعرفان ، علامة الدنيا على الاطلاق المشهور في جميع الافاق ، صاحب الولاية الكبرى والانفاس القدسية ، والالهامات الذوقية الربانية ، قدوة العارفين وسند الواصلين ، جامع المنقول والمعقول ، حاوي الفرع والاصول ، حجة الاسلام وشيخ الخاص والعام ، الراكع الساجد ضياء الدين حضرة مولانا خالد النقشبندي المجددي العثماني الشافعي قدس سره ، واعاد علينا بره ، فاني قد ادركت عصره وجلست في ختمه الخواجكاني بجنبه ، ودعا لي ولله الحمد ، فأن خليفته عمي العلامة الشريف عبيد الله الحيدري المفتي ، هو الذي اجلسني بجنبه حين قراءة الختم الشريف ، وانا مريض ، وكان شفائي ببركة جلوسي بجنبه وبدعائه ، ثم اخذت الطريقة العلية النقشبندية الخالدية من خليفة ولي الله بلا نزاع ، والمستغرق في فكر مولاه قدوة العارفين ومرشد الكاملين الولي النبوي ، والسيد الشريف العلوي ، فقيه عصره مولانا ومقتدانا السيد عبد الغفور المشاهدي الشافعي قدس سره وكان محبوباً لحضرة مولانا خالد ، ومن اعظم خلفائه العارفين الكاملين المرشدين ، ولهذا السيد شيخنا المشار اليه كرامات ظاهرة ، شاهدت منها كثيراً ، وكان

محبوباً مقبولاً معظماً لدى الخواص والعوام ، وله من مكارم الاخلاق ما يتحير منه الناظر ، وهو قد سلك اولاً على يدي عمّنا العلامة الشريف عبيد الله الحيدري المشار اليه ، ثم خلفه حضرة مولانا خالد قدس سره .

ومن جملة خلفاء حضرة مولانا خالد ، العالم الولي الكامل العارف المرشد ، الذي اجمع على حبه والاعتقاد به ، مولانا الشيخ موسى الجبوري الشافعي ، والولي العارف العالم الكامل المرشد مولانا الشيخ محمد الجديد الحنفي البغدادي، وقد ادركتهما وفزت بدعائهما ونظرهما الاكسيري ، وهما ايضاً قد سلكا أولاً على يدي عمّنا الشريف عبيد الله الحيدري المشار اليه ، ثم خلفهما حضرة مولانا خالد وصارا كشيخنا السيد المشاهدي، ومن اعظم خلفاء حضرة مولانا خالد وكان هؤلاء المشايخ الثلاثة العظام مع عمنا المشار اليه كأنهم روح واحدة وعليهم مدار الارشاد ببغداد بعد توجه حضرة مولانا خالد الى الشام ثم امر بالعود الى بغداد وخلفاء حضرة مولانا خالد، كلهم علماء اعلام ، ولا يحصى عددهم لكثرتهم في البلاد .

ثم ان علوم حضرة مولانا خالد ، وخوارقه وكراماته وكرمه ومكارم اخلاقه ، واتباعه للسنّة وجلالة قدره ، وعلو شأنه ، وانقياد العلماء الفحول له ، ومناقبه لا يسعه هذا المقام ، بل يحتاج الى مجلد ضخم ، ثم لما اكمل العلوم ودرسها مدة ترك اهله ومدرسته ، وذهب الى دلهي من بلاد الهند ، وسلك على يدي قطب العارفين الولي الاكبر ، مولانا شاه عبد الله الدهلوي فخلفه مع العارف الولي الشيخ ابي سيد الهندي في يوم واحد ، وامر حضرة مولانا خالد بالتوجه الى بغداد للارشاد ، فعاد وصار له من الشأن ما صار كالشمس في رابعة النهار ، وانتفع به من الأمم ما لا يحصي عددهم الا الله تعالى ، وكان قدس سره كثير المحبة لجدي اسعد الحيدري ، وجدي من أعظم المخلصين له ، ونحن معاشر

الحيدرية الذين روجنا امر حضرة مولانا خالد ببغداد ، وخدمناه ابتغاء لمرضاة الله تعالى ، وقد أخذ حضرة مولانا العلم عن عدة علماء ، منهم العلامة صالح الترماري عن العلامة الولي الشريف عمنا صالح الحيدري .

ومن أعظم منْ أدركت عصره ، وأخذت عنه شيخي علامة العلماء ، واللج الذي لا ينتهي ، ولكل لج ساحل ، جامع المنقول والمعقول ، حاوى الفروع والاصـول ، شيخ الكل في الكل حجة الاسلام سند العلماء الاعلام الولي الكامل العارف ، الذي قد بلغ من مكارم الاخلاق وتواضع النفس ، حداً لم نره في احد من المعاصرين ، مولانا ومقتدانا الشيخ المزوري العمادي قدس سره ، وقد قرأت عليه صحيح البخاري وأجازني به وبجميع الكتب الصحاح ، وسائر العلوم وقرأت عليه شرح النخبة في اصول الحديث ، والاشباه والنظائر الفقهية للحافظ السيوطي ، ولازمتُ خدمته وفزتُ بنظره ودعائه ، وكان كثير المودة لي يعدني كأحد اولاده ، وكانت له حقوق عظيمة مع جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري وبينهما محبة عظيمة ، كأنهما اخوان ، أخذ العلم عن عدة مشائخ اعلام ، منهم العلامة الشريف عاصم بن ابراهيم الحيدري ، عمّ جدي المشار اليه ، وله تآليف عديدة منها : حاشيته على تحفة العلامة احمد بن حجر المكي ، تصدى فيها للجواب عن اعتراضات العلامة ابن قاسم العبادي ، على الشيخ ابن حجر ، ومنها حاشيته على شرح عصام الدين ، على الرسالة الوضيعة ، ومنها شرحه على المسائل الحسابية في آخر خلاصة الحساب ، التي تحير في حلها الحكماء وغير ذلك من التعاليق المفيدة ، واخذ عنه جميع علماء العراق ممن في عصره ، وهو شيخ مشايخ العراق ، وكان عندهم بمنزلة الشيخ ابن حجر ، وقد قرأ تحفة المحتاج للشيخ ابن حجر اكثر من ثلاثين مرة ، وبلغ من العمر قريباً من مائة سنة ، وقرأ تفسير البيضاوي مع حواشيه ، كذلك درس العلوم النقلية والعقلية ، وكتب الحديث سبعين مرة ، وقد اخذ الطريقة النقشبندية عن شيخنا ، قطب العارفين ، حضرة مولانا

خالد قدس سره ، وكان حضرة مولانا خالد كثير المحبة والاحترام له ، وقد حدثني، العالم العامل الشريف الشيخ اسماعيل البرزنجي وكان البرزنجي من خدام حضرة مولانا خالد ، بأن العلامة المزوري كان قد نام يوماً قبل الظهر في حجرتي ، فأتى حضرة مولانا خالد الى زيارة المزوري في حجرتي فرآه نائماً فقبله من فمه ثم خاطبه بقوله : متعنا الله بحياته .

ومن اجل منْ استفدت منه ، وكنت ملازماً لمجلسه ، العلامة الفهامة النحرير صاحب اليد الطولى في العلوم العقلية مع التقرير ، شيخ علماء العراق المشهور في الآفاق فهامة الزمان محقق العصر والاوان العالم العامل ، الورع التقي النقي ، مولانا الشيخ عبد الرحمن بن حسين بيك الروزبهاني طاب ثراه وكان من اكابر العلماء العاملين المحترمين ، ذا جاه ووقار وتؤدة وبهاء وكرم اخذ العلم عن العلامة صبغة الله الزيادي الكروي عن العلامة الولي صالح الحيدري ، وأخذ عنه علماء فحول كثيرون وانتفع به الناس انتفاعاً عاماً ، ودرس العلوم أربعين سنة متوالية ، وله من التحقيقات ما يكتب على العيون وهو خاتمة المحققين ، وقد قام في مقام حضرة مولانا خالد قدس سره ومدرسته في بغداد ، وكان حضرة مولانا خالد يعده في منزلة اخيه ، لما بينهما من الحقوق القديمة من أوان التحصيل وبالجملة ، أن حضرة مولانا خالد وجدي العلامة أسعد الحيدري ، والعلامة شيخنا المزوري ، والعلامة شيخنا الروزبهاني المشار اليه كانوا بمنزلة الأخوة في المحبة والعلم والفضل والحقوق ، الا ان حضرة مولانا خالد صار رئيسهم ، لما نال من الولاية الكبرى ، وهم في غاية الطاعة والانقياد والخدمة لحضرته ، وهو في غاية الاحترام والتوقير لهم ، ولا سيما لجدي طاب ثراهم ، وجعل الله الجنة مأواهم .

هذا ، وكنت اسأل عن شيخنا العلامة الروزبهاني عن المواضع المشكلة ، من تحفة العلامة ابن حجر المكي وغيرها ، من كتب المعقول الدقيقة المأخذ ، فكان

يشفي غليلي شكر الله سعيه ، وكان حلال المشكلات لأهل العلم ، وانطفت بموته انوار العلم ببغداد ، وتهدمت قواعد الفضل والرشاد ، وكان كثير المودة لي ولبيتنا السادة الحيدرية ، وهو كأنه من بيتنا ولنا معه قرابة نساء كما سبق . وقد نشأت مع نجله ، العالم الفاضل النجيب الكريم أخي وحبيبي ، احمد منذ ايام التحصيل، وقرأنا معاً ولم نفترق طال عمره ، وكانت لشيخنا العلامة الروزبهاني المشار اليه اليد الطولى في علم الاصول ، والكلام ، والحكمة ، والمنطق الرياضي ، وكان فائقاً في الرياضي على كل احد ، ولنجله المشار اليه الفكرة الدقيقة في الرياضي ، وقد بقي شيخنا المذكور المزوري كثيراً ، وبقيا مدة طويلة بعد موت حضرة مولانا خالد قدس سره ، وجدي ثم بقي الروزبهاني مدة طويلة بعد المزوري .

ومن اجل منْ أدركته وانتفعت به ، شيخي وقدوتي العلامة الفهامة النحرير والحبر الذي لا يفي بتفصيل فضائله ومناقبه التقرير والتحرير الولي الزاهد العابد الراكع الساجد الصائم ، مولانا احمد بن علي الكلالي البالكي ، وكان طاب ثراه صائم الدهر ، لم يزل ساجداً في المحراب ، أخذ العلم عن عدة علماء ، منهم : العلامة الفهامة المدقق محمد الخطي ، والعلامة الفهامة أبو بكر الأمير رستمي ، والعلامة الذكي علي الوشي وغيرهم ، وكمل العلوم على شيخنا ، العلامة النحرير ومولانا ، الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني المشار اليه ، وقد لازمت شيخي الكلالي المذكور عدة سنين ، وقرأتُ عليه مغني اللبيب ، وكتاب سيبويه ، وخلاصة الحساب، وتحفة المحتاج لابن حجر المكي ، وأواخر الاشباه والنظائر الفقهية للسيوطي ، وحكمة العين مع حاشية السيد السند ، الا مباحث رياضي منها وبعضاً من فن المعاني ، وجميع فني البيان من المطول مع حاشيته للفاضل المحقق عبد الحكيم الهندي ، واشكال التأسيس ، وجمع الجوامع مع حواشيه لابن أبي شريف ، وشيخ الاسلام زكريا الانصاري ، الا اوائله وشرح مختصر المنتهى مع حاشيته للسيد السند ، والخيالي مع حاشيته لعبد الحكيم ، الا اوائله واثبات الواجب ، وتفسير

القاضي البيضاوي ، وشرح العقائد العضدية للمحقق الدواني مع حاشيته لجدنا العلامة الشريف احمد بن حيدر المسماة بالمحاكمات ، وشرح المطالع مع حاشيته للسيد السند ، الا بعضاً من اوائله ، وشرح المحقق الدواني على تهذيب المنطق مع حاشيته لأمير أبي الفتح ، الا بعضاً من اوائله وشرح الاندلسية في العروض ، وشرح الايساغوجي مع حاشيته لمحيي الدين ، وشرح الالفية للسيوطي ، وبعضاً من شرح الكافية للجامي ، وشرح التصريف للتفتازاني وغير ذلك من المقدمات، التي قرأتها عليه في عنفوان الشباب ، شكر الله تعالى سعيه وجزاه عني خير الجزاء ، وكنت استغرق الوقت حين الدرس من بعد صلاة الصبح الى المغرب سنين كثيرة ، وكان رحمه الله كثير السعي معي ، بحيث لا يقرأ عنده احد الا برخصة مني ، وكان أهل العلم يحسدونني على ذلك ، وهو يعتذر عني بأن لي حق عليه مشيخة ابائي واجدادي .

وبالجملة ، انه لا يستفيد منه احد غيري من اهل العلم ، الا اذا سافر الى محل آخر ، او اختلس وقتاً ، وكان في بعض الاحيان يختفي عني في بعض زوايا المسجد للعبادة ، فكنت أفتش عليه والقاه ساجداً في زاوية خفية ، فاذا فرغ من العبادة قام الى افادتي ، وكان من حاله انه في اثناء الدرس يقوم ويصلي نفلاً ثم يعود الى الدرس دفعة بعد دفعة ، وكان يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ولم أر مثله علماً وعملاً وكان لا يتكلم الا بذكر الله تعالى والعلم . وقرأ شيخنا هذا تحفة ابن حجر وغيرها على شيخنا ، حجة الاسلام الشيخ يحيى المزوري ، والروزبهاني من المفرطين في حبه واحترامه ، وكذا سائر العلماء ، ولما سمعت بموته كدت ان اموت حزناً عليه ، طاب ثراه وجعل الجنة مثواه ، وعلى العلم والعبادة السلام ، وكان بحراً زاخراً في كل العلوم النقلية والعقلية ، لا يعرض عليه شيء من المشكلات الا حله بادنى التفات ، ونظر وهو آية من آيات الله تعالى بين أهل العلم ، نفعني الله تعالى بعلومه الشريفة وحشرني معه يوم القيامة .

ومن أجل من أدركته ، وأخذتُ عنه العلم ، شيخي وسندي الولي العلامة المحقق والفهامة اللوذعي المدقق العالم والورع الصالح الصامت الكامل ، مولانا ابراهيم بن حسين الرمكي ، وكان منزوياً عن الناس لا يتكلم بكلام الدنيا ، مشغولاً بالعلم والعبادة ، أخذ العلم عن عدة اعلام منهم العلامة النحرير محمد الخطي ، والعلامة علي الرستي وغيرهما ، وكمل العلوم على العلامة الفهامة شيخنا عبد الرحمن الروزبهاني ، وقد لازمته ايضاً عدة سنين ، واستفدت منه ، وقرأتُ عليه الفناري مع حواشيه ، لقول احمد وعبد الله بن حيدر وأخيه ابراهيم بن حيدر الحيدري وبرهان الدين ، ورسالة جهة الوحدة للفاضل محمد أمين مع حواشيها للعلامة الشريف غياث الدين الحيدري ، وقرأت عليه شرح التهذيب لعبد الله اليزدي مع حاشيته لعبد اللطيف ، وشرح رسالة البيان لعصام الدين مع حواشيه للعلامة الشريف احمد بن حيدر ، ولأخيه العلامة عبد الله بن حيدر الحيدري ، وللفاضل المحقق حسن الزهباني ، وللفاضل الشرانشي ، وشرح الرسالة الوضيعة لعصام الدين مع حواشيه لجدنا العلامة النحرير حيدر ، ولابن اخته العلامة محمد بن حسين ، وللفاضل الشرانشي . وقرأت عليه حاشية أمير أبي الفتح في آداب البحث مع حواشيه للعلامة الشريف عبد الله بن حيدر الحيدري ، وللعلامة المدقق محمد بن حسين بن عمته ، وشرح المسعودي مع حاشية ابن الوغ بيك ، وحاشيتها لعبد اللطيف في آداب البحث ، وشرح الشمسية مع حواشيها للسيد السند وداود الخوافي ، وبعضاً من المطول مع حاشيته لعبد الحكيم الهندي ، وبعضاً من جمع الجوامع وحواشيه ، ونبذة من الاشباه الفقهية للسيوطي ، وجزء من شرح المنهج لشيخ الاسلام زكريا الانصاري ، وشرح مقدمة الحضرمية لابن حجر ، ونبذة من تحفة ابن حجر ، والفوائد المدنية للفاضل المحقق محمد ابن سليمان المدني ، وحاشية العلامة المصري اللقاني على شرح التصريف للتفتازاني مع حواشيها للعلامة ابن قاسم العبادي ، وللفاضل المحقق احمد الكردي وحسين الالمعي

البرزنجي . وقرأت عليه ايضاً حواشي شرح الجامي على الكافية للفاضل عبد الغفور اللاري وعبد الحكيم الهندي وعصام الدين ، وشرح الشافية للجاربردي مع حاشيته لابن جماعة وغير ذلك شكر الله تعالى سعيه .

وكان شيخنا هذا أيضاً كشيخنا العلامة احمد الكلالي ، في غاية الشفقة علي والسعي معي وكانا هما كأنهما اخوان ، وفي الدرس والتحصيل رفيقان فاذا غاب احدهما عني لازمت الآخر قدس الله تعالى روحهما ، وقد سافر الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، ثم الى مصر ، ثم الى حلب، وتوفي فيها وحزن اهل العلم على موته ، فأنا لله وانا اليه راجعون ، ومن أجل منْ أدركته وأخذتُ عنه شيخي الولي العلامة الجامع للمنقول والمعقول الزاهد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، مولانا احمد بن رسول الكراوي ، المشهور بالواعظ في أربل ، وكان ينام في المدرسة على الارض ولا يذهب الى بيته الا ليالي الجمعة ، وكان عالماً عاملاً واعظاً متعظاً مهاباً عند الخواص والعوام ، كأنه أسد ضرغام لشدة تقواه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وزجره عما لا يرضي الله تعالى ، ولو كان المرتكب أميراً ، وكان يأكل الخبز وحده مع الماء غالب الأوقات ، ولا يقبل من الامراء شيئاً ، ومناقبه لا تحصى . لازمته وقرأت عليه نصفاً من شرح المطالع مع حواشيه للسيد السند والمحقق ميرزا جان ، ونصفاً من شرح التهذيب للدواني مع حاشيته لأمير أبي الفتح ، وكان كثير المودة لي ولله الحمد ، أخذ العلم عن عدة علماء ، منهم والده الفاضل ، ومنهم الفاضل عبد الله الكردي ، والفاضل الشريف صبغة الله بن ابراهيم بن عاصم الحيدري وغير ذلك .

ومن أجلّ منْ أدركته وأخذت عنه العلم ، الولي العالم العامل والفاضل الكامل الورع والصالح الزاهد ، أبو بكر الملقب بكجك الاربلي ، وكان من اكابر العلماء العاملين ، ذا جاه واحترام ، وأخذ العلم عن عدة اعلام ، منهم أبوه الفاضل

الصالح عثمان ، عن العلامة الشريف صالح الحيدري ، ومنهم الفاضل الذكي عبد الرحيم الزباري ، ومنهم العلامة المشير داود باشا البغدادي ، والي بغداد سابقاً . وكمل العلوم على شيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني ، وقرأت عليه حاشية القرباغي على شرح الايساغوجي في المنطق ، وبعضاً من حاشية داود على شرح الشمسية .

ومن أجلّ منْ أدركته الفاضل الذكي محمد فيضي السليماني الكردي ، مفتي الحنفية ببغداد ، ولهذا الفاضل اليد الطولى في العلوم العقلية ، وله قوة الجدل والمناظرة ، وقد جادل كثيراً من علماء الشيعة وابهتهم . وقد اخذ العلم عن عدة اعلام ، منهم العلامة الشريف عاصم الحيدري ، والعلامة الشريف صالح الحيدري .

ومن اجلّ منْ أخذت عنه العالم الفاضل الكامل محمود العمر كنيدي ، وكانت له اليد الطولى في العلوم الرياضية ، وقرأت عليه تشريح الافلاك في علم الهيئة ، وأوائل الخيالي مع عبد الحكيم ، أخذ عن والده الفاضل محمد عرب ، عن العلامة احمد الطبقجلي ، عن جدنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني ، فهؤلاء منْ أخذت عنهم العلم وأجازوني به اما منْ أجازني ، فمن أجلّهم الفاضل الجامع للمنقول ، حاوي الفروع والأصول ، فقيه الزمان ونخبة الأعيان شيخ الاسلام ، ومفتي الأنام، العالم العامل الفاضل والورع النقي العنيف الكامل ، صاحب الاخلاق المحمدية والشمائل الحسنة المرضية مولانا ومقتدانا ، حضرة محمد رفيق أفندي ، فإني قد تشرفت بلقائه في دار الخلافة قسطنطينية والتفت اليّ التفات مودة وشفقة ، وفزتُ بنظره الاكسيري ، وأجازني بجميع مروياته ، وكان اذ ذاك أمين الفتوى ، ثم ولي مشيخة الاسلام ولم أر احداً بمكارم اخلاقه وتواضعه ومحبته لأهل العلم والطريقة والفقراء ، وهو من المخلصين لحضرة مولانا خالد قدس سره ، ومن مريدي بعض

خلفائه ، وله اليد الطولى في العلوم الدينية والاطلاع التام على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ، كثير الورع والتقوى والعفة متعنا الله بحياته .

ومن أعظم مشايخي ، ومن أجازني بجميع العلوم شيخي ، العلامة النحرير المشير والحبر ، الذي لا يفي بتفصيل فضائله لسان التقرير ، جامع المنقول والمعقول ، حاوي الفروع والاصول ، صاحب الخيرات والجوامع والمدارس ، ومنْ شيد كل فضل دارس حضرة الحاج داود باشا شيخ الحرم الشريف النبوي ، والوالي في بغداد سابقاً البغدادي ، فإنه أجازني بجميع العلوم ، كما أجازه شيخه جدي العلامة النحرير اسعد الحيدري ، مفتي الحنفية ببغداد وأجازني بالحديث باجازته من العلامة (باحسن زين جمل الليل المدني) ، وقد درس هذا المشير قبل وزارته ، وفي اثنائها العلوم النقلية والعقلية ثلاثين سنة ، وأخذ عنه عدة اعلام ، منهم والدي رحمه الله تعالى ، فأنه من اخلص ملازميه وطالبيه سنين كثيرة ، وهو كان كثير المودة لوالدي ، لأنه اخذ العلم عن ابيه ، . كما قررناه ، وكان وفياً لم يزل يبر والدي ، ويكاتبه منذ عزل عن بغداد الى ان توفي رحمه الله تعالى رحمة الابرار ، واسكنه الجنة دار القرار ، وكذلك كان يكاتبني ويرسل لي الهدايا خاصة من المدينة المنورة على مشرفها افضل الصلاة والسلام . وممن أجازني من علماء الروم العالم الفاضل الكامل عبد الرحمن كاملي البرسوي .

وأما منْ قرأت عليه فقه الشافعية والحنفية ، وعلم الفرائض وكتب النحو والصرف والادب في صغري فمنهم، العالم الفاضل الاديب الفقيه محمد سعيد المفتي الحلي وغير ذلك ، والعالم الفاضل الصالح محمد الروزبهاني، والعالم الكامل الصالح عبد الله الداغستاني وغيرهم رحمهم الله تعالى ، والعالم الفاضل الذكي الاديب محمد الأربلي .

ومن اجلّ منْ أدركت عصره العلامة المحقق ، والفهامة المدقق ، صاحب

الذهن الوقاد ، والفكر النقاد ، وشيخ العلماء ، الورع الصالح اللوذعي محمد الخطي الكردي ، وكان من أعظم علماء العراق ، وقد انتفع به خلق كثير ، وصار شيخ عصره في كل فن ، وكانت له اليد الطولى في التحقيق والتدقيق . أخذ عنه علماء أعلام منهم ، شيخنا العلامة الولي احمد الكلالي ، وشيخنا العلامة الزاهد ابراهيم الرمكي وغيرهم ، مما لا يحصى عددهم ، وهو قد اخذ العلم عن عدة اعلام منهم ، علامة الدنيا على الاطلاق مولانا محمد بن آدم ومنهم ، العلامة أبو بكر الامير الرستمي وغيرهم ، وكمل العلوم على شيخنا العلامة الفهامة عبد الرحمن الروزبهاني ، وقد شرحت تشريح الافلاك وأرسلته اليه ، فاستحسنه غاية الاحسان وقرضه ، وكان كثير المحبة لي لما بيننا من الحقوق القديمة ، له آثار دقيقة على بعض كتب المعقول ، وله رسالة عجيبة في مسألة العلم من علم الكلام ، رحمه اللّه تعالى ، متبحراً في كل علم منقول ومعقول ، تشد اليه الرحال من كل جانب .

ومن أعظم منْ ادركت عصره ، وانا صغير وهو نزيل عند جدي ، العلامة أسعد الحيدري طاب ثراه ، علامة الدنيا على الاطلاق الفائق على جميع مشائخ العراق ، صاحب التآليف العديدة والتقريرات المفيدة ، شيخ الكل في الكل ، مولانا محمد بن آدم الكردي طاب ثراه ، وقد قرأ عليه حضرة مولانا خالد قدس سره ، واخذ عنه فحول العراق كافة ، وكان جدي العلامة ، وشيخنا العلامة يحيى المزوري ، وشيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني ، الذين هم مشايخ علماء العراق كافة ، يعترفون بفضله وتقدمه وعلمه المحيط ، وكان بمنزلة الفخر الرازي ، له اكثر من مائة تأليف في العلوم النقلية والعقلية ، وشرح اثبات الواجب ، الذي هو أرق كتب الكلام من حفظه بدون استمداد من كتب الكلام ، وكان الآية الكبرى في عصره ، ولو عدمت كتب العلوم لاستطاع ان يؤلف مثلها من حفظه ، وهذا ليس على سبيل المبالغة ، بل البيان للواقع الذي اعترف به جميع علماء العراق ، وكان

كثير الاسفار قوي الدين ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، اخذ العلم عن العلامة الولي عبد الله البايزيدي ، عن جدنا افضل المتأخرين العلامة الفهامة ، شيخ مشايخ العراق بالاتفاق ، الولي الشريف صبغة الله الحيدري قدس سره .

ومن اجلّ منْ أدركت عصره العالم الفاضل العلامة أبو بكر الأمير رستمي الكردي ، وكان من مشايخ العلماء المتبحرين ، اخذ عنه العلامة الخطي ، وشيخنا العلامة احمد الكلالي وشيخنا العلامة الزاهد ابراهيم الرمكي وغيرهم من الفحول ، وهو قد أخذ العلم عن العلامة الفهامة الولي جنيد عصره عبد الرحمن الجلبي ، عن العلامة النحرير الشريف محمد بن خضر الحيدري ، وله حواشي دقيقة مفيدة على اكثر كتب المعقول ، على حاشية العلامة عبد الحكيم الهندي ، على شرح الشمسية من المنطق ، وله اليد الطولى في علم البلاغة ، وله رسالة في البيان ورسالة في علم الوضع ، وهما من احسن الكتب في الفنين المذكورين ، وقد صارا من الكتب الجادة لدى طلبة العلم بالعراق ، وقد حدثني شيخي العلامة احمد الكلالي ، وشيخي العلامة ابراهيم الرمكي عن أبي بكر المشار اليه بأنه حدثهما : انه لما ألف الرسالتين المذكورتين نسبهما للطلبة ، الى السادة الحيدرية ليحصل تروجهما ، لما لأهل العلم بالعراق من الرغبة التامة في تآليف الحيدرية ، ولما شاعا وانكب الطلبة على العلم أعلن نفسه .

ومن اجلّ منْ أدركت عصره العلامة الذكي احمد الميركي الكردي ، وكانت له اليد الطولى في علم آداب البحث ، أخذ عنه كثير من العلماء وهو أخذ العلم عن العلامة الشريف صالح الحيدري ، والعلامة الشريف ابراهيم بن عاصم الحيدري .

ومن أجلّ منْ أدركت عصره العلامة الفهامة المعمر عبد الله الكلالي الكردي ، أخذ عنه كثير من الفحول ، كشيخنا العلامة أحمد الكلالي ، وشيخنا العلامة ابراهيم الرمكي وغيرهما ، وهو أخذ العلم عن العلامة الفهامة النحرير محمد بن

آدم ، عن العلامة الفهامة النحرير محمد بن عبد الله البايزيدي ، عن أفضل المحققين العلامة الهمام الشريف جدنا صبغة الله الحيدري ، ومن أجلّ منْ أدركت عصره العلامة المرشد علي الوساني الكردي ، أخذ العلم عن العلامة النحرير محمد ابن آدم ، وهو من خلفاء حضرة مولانا خالد قدس سره ، وله حاشية جيدة على حاشية القرباغي . ومن اجلّ منْ أدركت عصره ، العلامة الفهامة الذكي الاديب اللوذعي الشريف ، عمي عبد القادر صدقي الحيدري البغدادي ، وقد سبقت ترجمته . أخذ العلم عن جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري ، عن العلامة النحرير رسول الشوكي ، عن جدنا العلامة الولي الشريف عبيد الله الحيدري ، والد جدي أسعد الحيدري ، ومن أجل منْ أدركت عصره عمّنا ، العلامة الجامع للمنقول والمعقول المرشد الشريف عمّي الشيخ عبيد الله الحيدري المفتي النقشبندي البغدادي قدس سره ، وقد سبقت ترجمته . أخذ العلم عن جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري ، وعن العلامة شيخنا عبد الرحمن الروزبهاني ، وعن شيخه القطب العلامة حضرة مولانا خالد قدس سره ، وعن العلامة السيد ابراهيم البرزنجي ، عن جدنا العلامة الولي الشريف عبيد الله الحيدري ، والد جدي العلامة أسعد الحيدري ، واخذ عنه عدة رجال ، منهم الفاضل اللوذعي حسين بن سلوم جلب ، وعيسى البندنيجي وغيرهما ، ومن أجلّ منْ أدركت عصره ، وانا صغير ، العلامة الفهامة المحقق الشريف ، احمد ، المشهور بالكبير نجل عبد الله الحيدري الماوراني . اخذ عن ابن عمه جدنا ، العلامة الولي الشريف ، عبيد الله الحيدري ، واخذ عنه والدي ، وكثير من فحول العلماء ، ومن اجلّ منْ ادركت عصره ، العالم الفاضل المحقق الشريف ، صبغة الله ابن ابراهيم بن عاصم الحيدري الماوراني ، اخذ العلم عن العلامة صالح الحيدري ، وكمل العلم على جدي العلامة أسعد الحيدري ، ومن أجل منْ أدركت عصره ، العالم الفاضل المحقق الشريف السيد محمد أمين نجل عبد الله الحيدري ، مفتي الشافعية البغدادي ، ومن اجل من

أدركت عصره ، العالم الفاضل الذكي الشريف السيد ابراهيم بن صبغة الله بن ابراهيم بن عاصم الحيدري الماوراني ، ومن أجلّهم العالم الجامع لانواع الفنون الفاضل الشريف محمد بن خضر الحيدري الماوراني ، ومن اجلّهم الفاضل الشريف عبد العزيز الحيدري الماوراني ، واخوه الفاضل عبد الغفور الحيدري ، ومن اجلّهم عمّنا الفاضل الذكي الشريف عبد السلام الحيدري البغدادي .

ومن العلماء الذين ادركتهم : عمّي الفاضل الذكي الشريف عبد الغفور الحيدري البغدادي ، مفتي الشافعية طال عمره ، ووالده الفاضل الاديب الاريب اللبيب السيد محمد أمين وقد توفي رحمه الله تعالى ، فهؤلاء الذين أدركت عصرهم من العلماء السادة الحيدرية ، واما الطلبة الذين أدركت عصرهم أولاد عمّنا السادة الحيدرية ، فيبلغون اكثر من خمسين طالباً ذكياً لوذعياً ، وقد أقتصرت على تراجمهم لأن شهرتهم تغني عن مدحهم ، وسبق بيان بعض العلماء من غير الحيدرية ، ولنتم (لعلها ونلتم) البيان ببعض غير الحيدرية.

فمن أجلّ منْ أدركت عصره ، العالم الفاضل الذكي الجدلي ، محمد الشوكي الكردي ، ومن اجلّهم العالم الفاضل المحقق الصالح حسين الاكوى الكردي . ومن اجلّهم العالم الفاضل الذكي ، محمد القاضي الماوراني الكردي ، ومن اجلّهم العالم الفاضل الذكي الاديب محمد الاربلي . ومن اجلّهم العالم العامل محمد الكركوكلي . ومن اجلّهم العالم الفاضل عمر العسكري الكردي ، ومن اجلّهم العالم الفاضل المحقق عمر الخيالي الكروي ، ومن اجلّهم العالم الفاضل داود الديري الكردي ، ومن اجلّهم العالم الفاضل المرشد الكامل الشيخ هداية الاربلي النقشبندي ، خليفة حضرة مولانا خالد قدس سره ، وكان من اكابر العلماء المحترمين ، وكانت له قوة الفطنة والذكاء ، أخذ عنه كثير من العلماء ، وهو أخذ عن حضرة مولانا خالد قدس سره .

ومن اجلّهم العالم الفاضل المحقق اللوذعي الشريف الشيخ عبد اللطيف البرزنجي ، وابن عمه الفاضل الاديب الشريف الشيخ اسماعيل البرزنجي ، وجميع هؤلاء أخذوا العلم عن الحيدرية ، اما بالذات او بالواسطة . ومن أجلّ من أدركته ، الفاضل الفهامة اللوذعي ، علي الموصلي ، اخذ عن ابيه الفاضل يوسف، عن العلامة جرجيس الاربلي ، عن جدنا العلامة النحرير الشريف صبغة الله الحيدري ، وكان حديد المزاج سيء الخلق كثير الدعوى ، وهو مع فضله وذكائه فيده في العلوم العقلية ليست طويلة ، وأخذ عنه بعض العلماء ، منهم العالم الاديب محمود الآلوسي . ومن اجلّهم العالم العامل محمد الموصلي ، وكان مرضي الاخلاق ، وكانت بينه وبين علي الموصلي عداوة عظيمة ، ما تلاقيا في مجلس الا تضاربا ، ومنشأ ذلك ، ان الناس يميلون الى محمد المذكور ، لصلاحه اكثر ، وان كان علي اعلم منه . ومن اجلّهم العالم الفاضل الذكي اللوذعي الاديب الاريب ، عبد العزيز الشواف البغدادي ، وكان حسن الأخلاق . أخذ العلم عن العالم الفاضل احمد الزيادي ، وعن جدنا العلامة الشريف أسعد الحيدري المفتي البغدادي ، وكانت له اليد الطولى في العلوم العربية وأخذ عنه الفاضل الالوسي وغيره وكان شقيقه واخوه العالم الكامل الاديب عبد الرزاق الشواف ، من اهل الفطنة والذكاء وقد ادركته . ومن اجلّهم العالم الفاضل اللوذعي الاديب ، محمد أمين الحلي ، وكان صاحب فكرة نقادة . أخذ العلم عن جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري البغدادي ، وعن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني ، وعن الفاضل علي الموصلي ، واخذ عنه الفاضل الآلوسي . ومن اجلّهم العلامة المحقق الصالح احمد العمر كنيدي الكردي ، وكان من اجلّ العلماء المحققين ، من ذوى الورع والصلاح ، اخذ العلم عن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني ، واخذ عنه كثير من الافاضل ، وله حواشي لطيفة على كثير من كتب المعقول ، وشرح جيد جامع على الصغرى في المنطق للسيد السند ، ومن اجلّهم العالم الفاضل

الذكي الاديب ، محمد الآلوسي ، وكان كثير الفاقة ، ثم ولاه علي باشا والي بغداد افتاء الحنفية . اخذ العلم عن الفاضل عبد العزيز الشواف ، والفاضل محمد أمين الحلي ، ثم لازم الفاضل علي الموصلي ، وكمل عليه العلوم ، وكانت له اليد الطولى في العلوم النقلية ، وله النثر العجيب ، وفكرته في العلوم العقلية ليست كطول باعه في العلوم النقلية .

وقد فسر القرآن ، وعلق على شرح القطر حاشية ، وله آثار لطيفة في العربية ، وكان كثير الحفظ مستحضراً ذكياً ، لا يمل من مجالسته ، وكان واعظاً عجيباً ، كأمثال ابن الجوزي ، يجتمع في وعظه خلق عظيم .

ومن أجلّهم العالم الأديب ، محمد الطبقجلي البغدادي ، أخذ العلم عن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني . ومن أجلّهم العالم الذكي الأديب عيسى البندنيجي ، أخذ العلم عن عمّنا ، العلامة الشريف ، الشيخ عبيد الله الحيدري البغدادي ، والفاضل حسين الكركوكلي ، ثم لازمنا شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني ، وكمل العلوم عليه . ومن أجلّهم العالم الفاضل الفقيه الأديب محمد سعيد أفندي المفتي البغدادي ، أخذ العلم عن جدنا ، العلامة الشريف ، أسعد المفتي الحيدري البغدادي ، وعن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني ، عن أبيه الفاضل محمد أمين ، وكانت له اليد الطولى في العلوم العربية ، والوقوف التام على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان جليل القدر وأخوه العالم الكامل محمد أسعد من الصالحين وقد أدركته . ومن أجلّهم العالم الفاضل الذكي عبد الله أغا ، المشهور بطوبال محمد أمين أغا زاده البغدادي ، وكان صاحب فكرة دقيقة ، وله حواشي لطيفة على بعض كتب المعقول ، أخذ العلم عن جدي العلامة أسعد الحيدري ، المفتي البغدادي ، ومن أجلّهم العالم الكامل الاديب حسين بن سلوم جلبي البغدادي ، وكان ذكياً ، أخذ العلم عن جدنا العلامة الشريف الشيخ عبد الله

المفتي الحيدري البغدادي ، وكذلك العالم الاديب محمود بن عمر كاتب الديوان البغدادي ، أخذ العلم عن عمّنا المشار اليه ، وكانا بمنزلة الأخوين لا يفترقان درساً وصحبة ، ومن أجلّهم العالم الكامل درويش بيك البغدادي ، أخذ العلم عن الفاضل عبد الله ، مفتي الشافعية ابن غياث الدين الحيدري البغدادي ، ومن أجلّهم العالم الذكي حسين البشدري الكردي ، أخذ العلم عن الخطي والمفتي الزهابي . ومن اجلّهم العالم الذكي محمود الديملاني الكردي ، أخذ العلم عن الفاضل أبي بكر الاربلي ، ومن اجلّهم العالم الكامل الاديب الشيخ داود النقشبندي ، وهو من خلفاء شيخنا الولي الكامل السيد عبد الغفور المشاهدي قدس سره ، أخذ العلم عن عدة أعلام ، منهم شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني ، ومنهم الفاضل الشريف عبد الله الحيدري ، مفتي الشافعية ببغداد ، ومنهم الفاضل احمد العمر كنيدي وغيرهم ، ومن أجلّهم العالم الفاضل البيتواني الكردي ، أخذ العلم عن العلامة الخطي وغيره ، ومنهم الذكي محمد أمين الشيخاني ، ومنهم العالم الصالح الشيخ طه السورسوري ، والعالم الفاضل محمد الهرشمي ، ومن أجلّهم العالم الفاضل الذكي الصالح النجيب أسعد الحلي الكردي ، ومن أجلّهم العالم الفاضل الذكي احمد الشيخ محمود الكردي ، ومن أجلّهم العالم الفاضل عبد الله الشيخ محمود الكردي ، ومن اجلّهم العالم الفاضل محمد البالكي وغير ذلك من الافاضل ، الذين ادركتهم ممن يطول الكلام بذكرهم ، ولنقتصر على هذا المقدار ، وجميع اجازات هؤلاء العلماء وغيرهم من علماء العراق ، يتصل بأجدادنا السادة الحيدرية ، أما بالذات أو بالواسطة .

الباب السادس

في بيان أنهار بغداد التي في الجانب الشرقي منها والغربي

فأما التي في الجانب الغربي فمنها الكرخ وهو نهر يجري بين المحال والدور ، وكان يأخذ من نهر عيسى بن علي . ونهر عيسى ، وهو يحمل من الفرات، كان عند فوهته قنطرة . وعلى جانبيه قرى وضياع كثير ، حتى إذا انتهى النهر إلى المحول تفرعت منه الأنهار التي تخرق مدينة السلام ، ثم يمر إلى قرية الباسرية ، وعليه هناك قنطرة ، ثم يمر إلى الرومية ، وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية ، ثم يفضي إلى الزياتين ، وعليه هناك قنطرة ، ثم يمر إلى موضع باعث الأشنان ، وعليه هناك قنطرة ، ثم ينتهي إلى موضع باعة الشوك ، وعليه هناك قنطرة ، ثم يصير الى موضع باعة الرّمان ، وعليه هناك قنطرة ، ثم يصير إلى قنطرة البغيض ، ثم يمر إلى قنطرة البستان ، ثم إلى قنطرة المعيدي ، ثم إلى قنطرة بني زريق ، ثم يصب في دجلة.

ومن أنهار بغداد : الصرات ، وهو نهر يأخذ من نهر عيسى فوق المحول ويسقي ضياعاً كثيرة منه أنهار كثيرة ، إلى أن يصل بغداد ، فيمر يقنطرة العباس ، ثم يمر بقنطرة الصينيات ، ثم يمر بقنطرة رحا البطريق ، وهي قنطرة الزبد ، ثم يمر بالقنطرة العتيقة ، ثم بالقنطرة الجديدة ، ثم يصب في دجلة .

ويحمل من الصرات نهر يقال له الخندق ، يدور حول سور مدينة السلام ، مما يلي الحربية إلى أن يصل إلى باب الأنبار ، وهناك عليه قنطرة ، ثم يمر بباب الحديد ، وعليه هناك قنطرة ، ثم يمر وسط قطيعة أم جعفر ، ويصب في دجلة ، ويحمل من نهر عيسى نهر يُقال له كرخايا ، أوله تحت المحول ، ويمر في وسط طسوج بادوريا ، وتتفرع منه أنهار كثيرة ، تنبت في ضياع على جانبيه إلى أن يدخل بغداد من موضع يقال له أبو قبيصة ، ويمر إلى قنطرة قطيعة اليهود ، ثم إلى درب الحجارة ، وقنطرة البيمارستان ، وباب المحول ويتفرع منها أنهار الكرخ كلها .

فمن أنهار الكرخ ، نهر يُقال له نهر رزين ، يؤخذ في ريض حميد ، فيدور فيه ثم ينتهي إلى سويقة أبي الورد ، ثم يمر إلى بركة زلزل ، فيدور فيها ، ثم يمضي الى باب طاق الحرابي . ثم يصب في الصراة أسفل من القنطرة الجديدة ويحمل من نهر باب سويقة أبي الورد نهر يعبر منه على عبارة على القنطرة العتيقة ، ويمر إلى شارع باب الكوفة ، فيدخل من هناك إلى مدينة المنصور ، ويمر النهر من باب الكوفة إلى شارع القحاطنة ، ثم إلى باب الشام ، ويمر في شارع الجسر إلى الزبيدية ، ثم يمر نهر كرخايا من قنطرة البيمارستان ، فإذا صار إلى الدرابات سمي هناك إلى موضع يعرف بالواسطين ، ثم إلى موضع يسمى الخفقة ، فيحمل منه هناك نهر البزارين ، فيخرج في شارع المنصور ، ثم يمر إلى دار كعب ، ثم يخرج إلى باب الكرخ ، ثم يدخل البزارين ، ثم يمر إلى الخزازين ، ويدخل في أصحاب الصابون ثم يصب في دجلة . ثم يمر النهر الكبير من المخفقة إلى طرف مربعة الزيات ، فيقطف منه هناك نهر يُقال له نهر الدجاج . فيأخذ إلى أصحاب القصب . وشارع القيارين ،

ثم يصب في دجلة عند سوق الطعام ، ويمر النهر الكبير من مربعة الزيات إلى دوارة الحمار ، فيقطف منه هناك نهر يُقال له نهر قطيعة الكلاب . حتى يصب تحت قنطرة الشوك في نهر عيسى . ويمر النهر الكبير من دوارة الحمار إلى موضع يُقال له مربعة صالح ، فيقطف منه هناك نهر يُقال له نهر القلابين ، ثم يمر إلى السواقين . ثم إلى اصحاب القصب ويصب في نهر الدجاج فيصيران نهراً واحداً ، ويمر النهر الكبير من مربعة صالح إلى موضع يعرف بنهر طابق ، ثم يصب في نهر عيسى عند دار البطيخ ، فهذه أنهار الكرخ ،

وأما أنهار الحربية . فمنها نهر يحمل من دجيل . يُقال له نهر بطاطيا . أوله عند اسفل فوهة دجيل بست فراسخ ، يسقى ضياعاً وقرى كثيرة في وسط مسكن ويحمل منه نهر أسفل جسر بطاطبا بشيء يسير ، ويجيء نحو مدينة السلام فيمر على عبارة قنطرة باب السلام ، ثم يدخل بغداد ، فيمر في شارع الأنبار وإلى شارع الكبش ، ويحمل من نهر بطاطبا نهر أسفل من الأول ، يجيء نحو بغداد ، فيمر في شارع الأنبار والى شارع الكبش ، ويحمل من نهر بطاطبا نهر أسفل من الأول يجيء نحو بغداد ، فيمر على عبارة يُقال لها الكرخ ، بين باب حرب وباب الحديد ، فيدخل بغداد من هناك ، ويمر في شارع دجيل إلى مربعة الفرس . فيحمل هناك منه نهر ، ويمر النهر الكبير من مربعة الفرس إلى قنطرة أبي الجوز ، فيحمل منه من هناك نهر إلى كتاب اليتامى ، والى مربعة شبيب ، ويصب في نهر الشارع ويمر النهر الكبير في قنطرة أبي الجوز إلى الشارع ، وقصر هاني ، ثم إلى البستان ، ويصب في النهر الذي يمر في شارع القحطانية ، ويمر من نهر بطاطبا نهر أوله أسفل من قناة الكرخ ، يجيء بغداد ، ويمر على عبارة قنطرة باب حرب ، فيدخل من هناك في وسط الشارع ، باب

حرب ، ثم يجيء إلى مربعة أبي الفضل العباس ، ثم إلى مربعة شبيب ، ثم إلى باب الشام ، فيصب في نهر باب الشام ، وهذه الأنهار كلها مكشوفة إلا التي في الحربية ، فأنها قنوات تحت الأرض واوائلها مكشوف.

أقول : وبغداد المذكورة كانت في الجانب الغربي من الرصافة ، ومنا بقي منها الآن إلا القليل بالنسبة إلى القديم ، وقد أنمحت آثارها القديمة ، وما سبق من محلة الأنبار محاليل بغداد القديمة فهو في عصرنا محلة من محاليل قصبة موسى الكاظم رضي الله تعالى عنه ، بينها وبين الجانب الغربي الموجود الآن صحراء مسافة نحو ساعة ، ولكن في تلك الصحراء بساتين والجانب الغربي الموجود الآن ممتد على شاطىء دجلة ، بعضه الكرخ وبعضه الكريعات ، وما بعدها الكرادة مشتملة على بساتين كثيرة ، وكانت في الأصل من بغداد . واكثر الأنهار السابقة التي كانت تجري في بغداد ، وقد صارت اليوم مقاطيع ومزارع ، وبعض الأنهار جارية وبعضها مندرسة ، وقد تبدلت اسماؤها في عصرنا .

ومن الأنهار الموجودة الآن في الجانب الغربي المحمودية ، والاسكندرية والرضوانية ، وأبو غريب ، والدجيل ، والمسيب ، وأنهار الجانب الغربي الموجودة الآن كثيرة ، يشق عدها وغير ذلك من المقاطيع العظيمة ، ولا حاجة لنا بذكرها لأنها معلومة وانما الغرض بيان الأنهار القديمة .

وأما الأنهار التي في الجانب الشرقي فمنها نهر موسى ، يأخذ من نهر بين إلى أن يصل إلى قصر المعتضد بالله المعروف بالثريا (لعلها الثريا) فيدخل القصر ويدور فيه ، ويخرج منه ويصير إلى موضع يُقال له مقسم الماء فينقسم هناك ثلاثة أنهار ، يمر الأول إلى باب سوق الدواب ، ثم إلى دار البانوجة

(البانوقة) ، ويفنى هناك ، ويدخل بعضه إلى العلافي ، فينصب في نهر حضرة المعتضد ، ويمر شيء منه إلى باب سوق الغنم ، ثم إلى هندق العباس بباب المخرم، ويمر في دجلة . ويمر نهر موسى أيضا إلى قنطرة الأنصار ، فيحمل منه هناك ثلاثة أنهار يصب أحدهما في حوض الأنصار ، والثاني في حوض هيلانة ، والثالث في حوض . ويمر نهر موسى أيضاً إلى قصر المعتصم بالله ، فيحمل منه هناك نهر يمر إلى سوق العطش في وسط شارع كرم العرس ، ويصب في دار علي بن محمد الغراب الوزير ، ويفنى هناك ويمر نهر موسى أيضاً ملاصقاً لقصر المعتصم . إلى أن يخرج إلى شارع عمر الرومي ، ثم يدخل بستان الزاهر ويسقيه ، ويصب في دجلة أسفل البستان ، ثم يمر النهر الثاني من المقسم إلى باب بيرز فيدخل البلد من هناك ، ويسمى نهر معلى ، ويمر بين الدور ، ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس ، فيدور فيه ويصب في دجلة . ويمر النهر الثالث من المقسم إلى باب قطيعة موشجير ، ثم يدخل إلى القصر الحسني ، فيدور فيه ثم يصب في دجلة .

قال النويري في التاريخ : ويحمل من نهر الخالص نهر يُقال له نهر الفضل إلى أن ينتهي إلى باب الشماسية ، فيأخذ منه نهر يُقال له نهر المهدي ، ويدخل في المدينة في الشارع المعروف بشارع المهدي ، ثم يجيء إلى قنطرة البردان ، ويدخل دار الرميين ، ويخرج إلى سويقة نصر بن مالك ، ثم يدخل الرصافة ويمر في المسجد الجامع إلى بستان حفص ، ويصب في بركة في جوف قصر الرصافة ويحمل من هذا النهر نهرٌ أوله في سويقة نصر ، ثم وسط شارع باب خراسان إلى أن يصب في نهر الفضل بباب خراسان ، فهذه من جملة أنهار الجانب الشرقي القديمة .

فاقول : وأما في عصرنا هذا فليس في الجانب الشرقي من تلك الأنهار ، الداخلة في البلد القديمة شيء سوى نهر الخالص ، وهو نهر عظيم تخرج منه أنهار كثيرة بعيدة عن بغداد ، مقدار سبع ساعات ، حوله قرى كثيرة ذات نخيل وأشجار وبساتين كثيرة ، وهو مقاطعة جسيمة ، ومن الأنهار الموجودة الآن في الجانب الشرقي نهر ديالى ، وهو نهر عظيم يخرج منه نهر الخالص ، ونهر خريسان وحول نهر خريسان قرى وأنهار كثيرة ، ونهر خريسان مقاطعة جسيمة . ومن الأنهار الموجودة الآن في الجانب الشرقي نهر مهروت ، وهو مقاطعة جسيمة وشهربان والهارونية ونهر بندنيج ونارين وغيرهما .

وأما نهر شروين فقد أحياه جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري مفتي بغداد ، بماله ورجاله في أيام الوزير العلامة داود باشا(١) بعد ان كان مندرساً مدة طويلة وصار مقاطعة جسيمة ، وكان في تصرفنا إلى الطاعرن (٢) ثم غصبه منا علي رضا باشا والي بغداد ، وهو موجود إلى الآن . إلا انه بعد غصبه منا آل إلى الخراب ، لأن منفعته ليست كالأول .

هذا ما وقفت عليه من أحوال بغداد مدينة السلام .

---

(١) تولى بغداد من سنة (1232 - 1244) هـ / (1817 - 1828) م .

(٢) الذي وقع سنة (1241) هـ (1831) م .

أحوال البصرة

الباب الأول

في بيان مدينة البصرة القديمة والجديدة ومسافتها وبنائها وبانيها وبعض أحوالها

الباب الاول

في بيان مدينة البصرة القديمة والجديدة ومسافتها وبنائها وبانيها وبعض أحوالها

قال بعض المؤرخين : بناها المسلمون على عهد الصحابة رضي الله عنهم ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم خطها وبناها ، وساق إليها سبعين الف بيت من أشراف العرب ، من سكان البادية ، وأسكنهم فيها ، وهي بلدة عظيمة عامرة قرب البحر ، كثيرة النخيل والاشجار والأنهار . ملحة الماء ، سبخة التراب كان فيها خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى ، وأحصى من كان فيها من المساكن ، فكان مائة الف وستون الف ، واحصيت مساجدها ، فكانت مائة وسبعة عشر الف ، وفيها نخيل وبساتين متصلة نيف وخمسون فرسخاً ، كأنهاغرست في يوم واحد . وأحصيت أنهارها فكانت مائة وعشرين الفاً ، منها ما يجري فيه الزورق ومن عجائبها ، أنك لو التمست ذبابة واحدة على رطبها في البساتين ، أو على معاصرها ما وجدتها ، وكذلك الغربان ، لا توجد فيها ، فلا تجد غراباً ساقطاً على نخلة من نخيلها ، في جميع الدهر ، وإني قد أمعنت النطر حين خروجي إلى الجنوب ، وقت التمر ، فلك أجد ذاباً ولا غراباً ، وهذا من عجائب الأمور ، وهو من لطف اللّه تعالى ، ولولا لطفه لتساقطت ثمرات النخيل بنقر الغربانت ، لأن تمر البصرة مع كثرته التي لا تحصى سريع السقوط .

وذكر بعضهم أن ذلك لطلسم عليها ، ولا يبعد ، وكان فيها جامع عظيم علق على جداره سبعون الف حلقة من حديد . لربط خيل منْ يدخل الجامع من

أشراف العرب وأكابر الناس والواردين من النواحي للأستفادة . وآثاره موجودة .

وفيه كان يجلس الخليل وسيبويه وحسن البصري وابن سيرين وحماد ، وأمثالهم من الأئمة العظام لإفادة العلم ، وكان فيها من العلماء ، وأهل الفضل والمجتهدين والتجار ، والصنائع ، والعمارة ، ما لا تمكن الاحاطة به ، وهي من أعظم بلاد الإسلام ، بل لم يخلق مثلها في البلاد ، وسكانها لا يحتاجون إلى ركوب الخيل ،إذا ساروا إلى الجنوب وما حاذاه من الناحي ، لانهم يركبون الزورق ويسيرون في الأنهار ،. ومن فوقهم الاشجار مظلة ، وهو من عجائب الدنيا . واني قد رأيت أكثر البلاد كمصر والشام وسائر البلاد العربية والرومية فلم أرَ بلدة مثل البصرة ، ويالها من بلدة يتحير الناظر من عجائب ما فيها من البساتين والأنهار (وما راء كمن سمعا).

وهي بندر بلاد الهنمد ، ومعدن التجار والعلوم ، ومنشأ المجتهدين الأعلام كامثال ابن سيرين وحسن البصري وحماد والخيل ويونس وسيبويه والاخفش وغيرهم ، من الفقهاء والمفسرين وأهل العربية والزهاد والصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم ، ممن لا يحصى عددهم ، وكانت تسمى خزانة العرب وقبة الاسلام ، كما كانت الكوفة تسمى قبة الإسلام ،

وكان فيها نهر عظيم يجري في وسطها ، حفره عمر بن الخطاب رضي الله عنه . يسمى نهر عمر ، ورسومه موجودة ، وكانت في أيام العباسيين في غاية العمارة ، وحاصرها أصحاب نافع بن الأزرق ونهبوها ، وأخرجوا كثيراً من أهلها ثم حاصرها المهلب ، وأخرج بقية أهلها منها ، وهزمهم إلى الفرات ، ثم إلى الأهواز ، ثم إلى فارس ثم إلى كرمان ، ويحكى انهم عادوا إليها ، ولكن خرب بعضها ، ثم خربت بالطواعين ، وكان خرابها سنة سبعمائة وواحدة من الهجرة النبوية ، وطولها مقدار ست ساعات ، وعرضها مقدار ثلاث ساعات ، ورسومها

باقية ، ودفن فيها من الصحابة رضي الله عنهم خلق كثير ، منهم : الزبير بن العوام ، وطلحة ، وأنس بن مالك وعتبة ، ومن التابعين رضي الله عنهم كثير منهم : حسن البصري ، وابن سيرين ، وحماد ممن لا يحصى عددهم . وقد زرت هذه المشاهد وآثار البلدة موجودة . وهذه هي البصرة القديمة .

وأما البصرة الجديدة ، فهي بعيدة عن القديمة مقدار ساعتين ومقدار طول ما حول سورها ساعتان ونصف . وقد خرب اكثرها ، ولم يبق إلا نبذة قليلة خربتها الطواعين ، وكانت غاية عمارة الجديدة في أيام الوزير ، الكامل العاقل الحادي عشر ، سليمان باشا والي بغداد المشهور بالكبير رحمه الله تعالى ، فإنه قبل وزارته كان متصرفاً في البصرة ، فبسط فيها بساط العدل ، وكذا في بغـــداد ، فحكم في العراق أربعاً وعشرين سنة ، وعمر البلاد ، وكثرت العلماء ، والتجار ، والأموال ، والحرث والعمارة . والأمن في أيام دولته بحيث صارت بغداد ، وما حولها كحالها في أيام هارون الرشيد (شكر الله سعيه).

وبعد وفاته هاجت الفتن في العراق ، فلم يستقر وزير في بغداد مدة ، بل كان بعضهم يقتل بعضاً إلى أن ولى الوزير ، العلامة الكامل المهاب ، داود باشا رحمه الله تعالى ، فحكم فيها خمس عشر سنة ، وقتل كثيراً من اهل الفساد ، فأستقر امره ، وزادت بغداد في وقته علماً وفضلاً وعمارة وكان كثير الاحترام لأهل العلم على سيرة المرحوم سليمان باشا المشار اليه . إلا أنه في آخر أيامه إزداد طمعه في أموال الرعايا ، وساءت سيرته معهم . وأما عصيانه على الدولة العلية ، فلم يكن حقيقة ، بل من الحاج الدفتردار الذي ورد إليه من الدولة العلية ، فأنه طلب الخروج من بغداد إلى الدولة العلية فأبى الدفتر دار ، وطلب قتله وعالجه أياماً على الخروج ، فلم يستقر رأي الدفتردار إلا على قتله ، فأضطر إلى قتل الدفتردار فقتله . ومع ذلك فله آثار جميدة . وعمارات عجيبة ، بنى

جوامع ومساجد ومدارس كثيرة وجعل عليها اوقافاً كثيرة . وكان له على أبي وجدي من الايادي والنعم ما لا يحصى ، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار ، وأسكنه الجنة دار القرار .

ثم صار ، الكامل الفاضل . عبد الله أغا متصرف البصرة بعد الوزير المشير سليمان باشا رحمه الله وتعالى ، فأنه لما ولي وزارة بغداد جعل الأغا المشار إليه متصرفاً في البصرة ، فأحسن السيرة فيها ، وسعى في بقاء عمارتها . وعامل أهلها بأحسن المعاملة على سيرة الباشا المشار إليه وبقيت عمارة البصرة الجديدة إلى أيام المرحوم داود باشا ، ثم خربت بالطاعون ، وصار أكثرها بلاقع ، ولم يأت إلى البصرة متصرف يقوم بأعباء عمارتها . بعد المرحوم سليمان باشا ، سوى عبد الله أغا المشار إليه رحمه اللّه تعالى .

وفي سنة الف وثمانية وسبعين دخلت البصرة في تصرف دولة آل عثمان . آرسل السلطان محمد وزيره قره مصطفى باشا فأخذها في تلك السنة من بعض أمراء البصرة . ثم تغلب عليها فرح بن مطلب صاحب الجزيرة . فتوجهت إليه عساكر دولة آل عثمان . فأخرجوه منها . وملكوا البصرة في سنة أحدى عشرة ومائة وألف .

ولخرابها أسباب . منها الطاعون وخامة الهواء الحاصلة من إنكسار سد الجزائر . وإحاطة الماء بها ، ولكن هواءها قد أعتدل الآن ، وقلت أمراضها ، وصح مزاجها ، ولم اقف على سببه ، ومنها كثرة المظالم فيها . وأهلها في غاية السكانة والبلاهة بمنزلة الأنعام . توارد كثير من المتصرفين إلى البصرة وظلموا أهلها وأخذوا منهم أموالاً كثيرة لا تحصى ، ولا سيما الملعون سليمان بك ، ولم

يشتك أحد منهم حاله إلى والي بغداد ، مع كثرة المظالم عليهم ، بحيث بلغ الجور عليهم عنان السماء ، على ما تواترت بذلك الأخبار .

وأهل البصرة والجنوب من أهل السنة والجماعة ، على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . واما سكنة شط العرب فهم رفضة . والرفضة الذين في البصرة ليسوا من أهل البصرة ، بل من العجم والبحرين وبعض أهل البادية من شط العرب . وغيرهم ممن ترفض ، فأن كان بصري الأصل سنّي ، وكذا كل جنوبي سنُي . وترفض أهل شط العرب ، وغيرهم من نواحي البصرة ، إنما هو لعدم العلماء في البصرة ونواحيها .

والبصرة بعد أن كانت دار العلم ومعدن المجتهدين والفضلاء ، وكانت أقوال البصريين مرجحة على اقوال الكوفيين ، صارت اليوم دار الجهل ، فأنه لا يوجد فيها في عصرنا هذا عالم . ولا طالب يقرأ الأجرومية أصلا ، وليس فيها من له قابلية التعلم ، لغلبة البلادة على اهلها ، سوى بعض التجار من آل زهير ونجد فأن فيهم فطنة وذكاءاً وحاذقاً ، فسبحان الذي بغير العالم ولا يتغير وقد بعدوا عن التمدن ، غاية البعد ، إلا البعض من ذكرنا ، ممن سافر إلى البلاد ورأى الناس وهم محتاجون إلى التعليم والتربية . والى سوق العلماء ، وبناء المدارس والمكاتب وبث الصنايع والمعارف فيهم .

وأما الجنوب . ففيه بعض منْ يقرأ مقداراً من فقه الشافعية ، ولذا لم تعترهم شائبة الرفض ، بل هم أهل ديانة وكرم ومكانة . وأما قصبة سيدنا الزبير رضي اللّه عنه ، قرب البصرة وهي في الاصل من محاليل البصرة القديمة ، فأهلها كلهم من أهل السّنة والجماعة . على مذهب الأمام أحمد بن حنبل رضي الله

تعالى عنه وفيهم بعض علماء الحنابلة وكثير من طلبة الفقه على مذهب ابن حنبل ، من ذوي الفهم والذكاء ولهم الصلابة التامة في مثل أهل السنّة والجماعة والديانة وملازمة الجماعات والعبادات والصناعة ، ومع ذلك فهم من أهل الشجاعة والإقدام، وكلهم من نجد ذوي البأس الشديد ، الذي ذكره الله في كلامه القديم .

وبالجملة ، أن أهل الجنوب من أهل البصرة من أكرم الناس ، ومن ذوي الطبائع السليمة والأخلاق السهلة الأنيسة ، الغريب لديهم مكرم والنزيل عندهم محترم . امارة النجابة العربية عليهم ظاهرة ، ودلائل الشيم العربية عليهم باهرة .ان أوذوا تحملوا . وأن كلفوا بما لا طاقة لهم به قبلوا ، وأن غُدروا سامحوا ، وأن ظلموا سكتوا ، الإحتيال لديهم مفقود ، وصفاء الخاطر فيهم موجود . وإني قد درتُ أكثر البلاد المحروسة ، ووقفتُ على محالها المندرسة والمأنوسة ، فلم أجد أناسا كالجنوب من أهل البصرة في تلك الطريقة ، فهذا حال من هو من أهلها لا مجازاً بل على الحقيقة ، إلا أنها قد استولى عليها الخراب كما ذكرنا ، فعادت بلاقع وسكنها كثير من لئام المواقع ، ولم أر بلدة ولا قرية بمثابة البصرة في خراب دورها وتسلط الأجانب عليها وعلى أهلها . وفي عدم اهل العلم فيها ، وانهدام جوامعها ومدارسها . بعد ان كانت معدن علم الدنيا، فيالها من مصيبة يحزن عليها المسلمون . فإنا لله وإنا اليه راجعون .

وقد زاد في خرابها متصرفها سليمان بك ، فأنه ظلم أهلها ، وأخذ منهم ما لا تحصيه الأقلام ، وسرق أموال العلية . وباع كثيراً من املاك الدولة العلية إلى الأهالي والأعاجم ، ودمر الخزينة ، ولعب بالبصرة لعب الأولاد بالطين . وقد عرضت أحواله إلى تقي الدين باشا والي بغداد سابقاً . فورد الأمر بالامتزاج معه .

وعرض بعض الناس أحواله إلى نامق باشا فلم يفد ايضاً.

هذا والبساتين الموجودة في البصرة ونواحيها ذات النخيل والاشجار والأنهار ، حدها من القرنة إلى رأس البحر ، المسمى بالفاو ، ويبلغ مقدار ثلاثين ساعة بسير الفارس . أما الماشي فالمسافة بالنسبة إليه أكثر ، والفرج بين ذلك الخالية عن النخيل ثلاثة يسيرة من البصرة إلى الدواسر . ومن القرنة إلى الكوت الفرنكي أكثر ، ولكنها بالنسبة إلى المتصلة ، بعضها ببعض ، مقدار عشرين ساعة طولا على طرفي شط العرب ، وأما عرضها ففي الجنوب يبلغ أكثر من ثلاث ساعات ، وهي ذات نخيل وأشجار وفاكهة لا تحصى كثرة وحد البساتين شرقاً فهو من اكتيبان سبع قصبات ، وجنوبا إلى الفاو ، وشمالاً إلى العنبري . هذا وأن الكويت من ملحقات البصرة ، فهي منها مسيرة ستة وعشرين ساعة ، وقد امتلأت اليوم من التجار النجادة المسافرين إلى الهند ، وصارت محل التجارة الوفية ، وفيها خلق كثير وسفن بحرية كثيرة . ولا يزالون يترددون على البصرة . ولبعضهم املاك في البصرة ، وكلهم من أهل السنّة والجماعة ، بعضهم شافعية وبعضهم مالكية وبعضهم حنبلية . وهم من نجد أجتمعوا هناك ، وأرضها سبخة لا أنهار فيها ولا أشجار ، وانما يشربون ماء المطر ، وهي على ساحل البحر ، وأهلها أل ثروة تامة وفيها بعض أهل العلم من الشافعية والحنبلية . وليس فيها شيء من الرسومات سوى الكمرك لشيخهم ومع ذلك فلشيخهم وظيفة سنوية ، مقدار مائة كارة تمر من الدولة العلية ، وهم مع كونهم تبعة الدولة العلية ، ومن ملحقات البصرة بعيدون عن أحكام السياسة ، ولكن لا فائدة في بلدهم سوى التجارة واجتماعهم هناك على صلاح.

الباب الثاني

في بيان بيوت البصرة الرفيعة

فمن بيوتها الرفيعة العماد بيت المفتي الحلي . وهو بيت فضل ومجد قديم وقد خمدت نارهم ، ولم يبق أحد وهذه دورهم بلاقع ، وكان إفتاء الحنفية منحصراً في بيتهم أباً عن جد ، مقدار ثلاثمائة سنة ، فأنقرضوا وعادت أموالهم وأملاكهم العظيمة لبيت المال . إلا أن نقيب البصرة عبد الرحمن وأخاه محمد سعيد استوليا عليها ، لأنهما من أفاضلها وأشرافها وساداتها . ومنها بيت الرفاعي ، وهو بيت مشيخة وشرف وفضل ، وقد نشأ فيهم رجال أدركتُ منهم الكامل الكريم الصالح ، الشيخ رجب نقيب البصرة . وذلك حين قدومه إلى بغداد ، ونزوله في بيتنا ، أيام وزارة العلامة داود باشا ، وانا صغير السن ، وبيتهم بيت خير وطريقة . وكان الشيخ المذكور من ذوي الخير والجاه الكبير وصاحب الحلقة ، وكان يطعم الطعام للفقراء . ويقرى الضيف ، وهو من خيار الناس رحمه الله تعالى ، وقد بقي من هذا البيت عدة اناس ، منهم في البصرة ، ومنهم في الجنوب ، ومنهم في الكويت .

ومن البيوت الرفيعة العماد بيت الزهير ، وهو بيت مجد وتجارة ورياسة وخير وصدقات ، ولهم الثروة التامة والتقدم والجاه ، كابراً عن كابر ، وكانت لاسلافهم الصولة في البصرة ، ولهم وقائع عظيمة مع عشيرة كعب ، حيث أن كعباً هجموا على نهب البصرة ، بعد عزل داود باشا عن بغداد ، وقبل ورود علي رضا باشا إليها ، فقاتلهم آل زهير مع عشيرة النجادة ، ودمروهم ومنعوهم عن البصرة

وهذه همة عالية ، وخدمة صادقة للدولة العلية .

وقد نشأ فيهم رجال تقاة كبار ، منهم الشيخ علي ، وكان أحنف عصره ، في العقل والرأي والهمة ، من دهاة العرب ، وكذلك أخوته : الشيخ عبد الرزاق، وعبد العزيز ، وعيسى ، وعبد الوهاب ، وعبد اللطيف وغيرهم . فهؤلاء كلهم من الرجال الدهاة ولهم الجاه والحيثية التامة . ولهم الخدم والتعلقات الوافرة ، وكانت لهم عطايا كثيرة ، وكان أبوهم الحاج يوسف من أكابر الناس وخيارهم ، ذا تقوى وصدقات ، وأخوه الحاج سليمان من الكاملين الابرار ، وكان متوطناً في حلب . وقد بنى جامعاً قرب بيته . وشقيقه يوسف المشار إليه كان في قصبة سيدنا الزبير رضي اللّه عنه ، وله بيت في البصرة أيضا ، وكانا خليطين ، ثم بعد وفاة الشيخ علي المذكور استولى عيسى شيخ المنتفك على البصرة ، وقتل منهم الشيخ عبد الرزاق وعبد الوهاب ، وخالد ، وأحمد ومصطفى ظلماً ، وأخذ أموالهم ، وغصب أملاكهم وجعل بيوتهم خاوية ، ويالها من حادثة تضيق منها صدور المسلمين من ذوي المروءة.

وتشتت أولادهم في البلدان ، وأنطفت نارهم مدة قليلة ، ثم أتى عبد اللطيف الزهير من حلب إلى بغداد فحصل له الجاه ، وتقلد رياسة التجارة ببغداد . ثم قام منهم بالبصرة الآن محمد جلبي بن عثمان من آل زهير باعباء بيتهم القديم وجمع الأولاد وآواهم ، وسعى في عمارة الآثار القديمة . فوفق لذلك فأحيا ما أندرس من آثر آبائهم ، وعاد بهم كالأول ، لأن أسلافهم من الأخيار ، واللّه يستحي ان ينزع السر من أهله ومحمد جلبي المذكور من دهاة الرجال . من ذوي الصدق والهمة والخير ، كان أحنف عصره رأياً وادباً ووقاراً وهمة ، وبقي منهم أيضاً الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الرزاق المذكور ، شيخ النجادة في قصبة الزبير رضي الله عنه ، وله الأخلاق الكريمة ، ذو خير ووفاء وأدب وكرم ، وهو

من أكابر العرب يقرى الضيف ، ويبذل الطعام لكل وارد بشوش كريم وفي حليم ومنهم ، الرشيد الكامل الهميم المنطيق ، قاسم جلبي ، نجل محمد جلبي المشار اليه ، وهو من الافراد في الهمة والرشادة والذكاء ، وبقي منهم ايضا عدة أخيار وأصلهم من حرب على ما حدثني الصاحب النجيب محمد العبد الوهاب النجدي ، من العارض موضع في نجد ، ثم سكنوا قصبة الزبير والبصرة و سكن بعضهم ببغداد ، وبعضهم في حلب ، ولهم الاعتبار والشهرة في جميع هذه المواضع . ولنا مع هذا البيت حقوق عظيمة موروثة من الآباء .

ومن البيوت الرفيعة في البصرة بيت الرديني . وهو بيت شرف وسيادة وفضل ومجد . ونشأ فيهم رجال كرام ، منهم ، الكامل الفاضل ، السيد محمد الرديني فأنه بنى مدرسة . فوقف عليها كتباً كثيرة من كل فن ، تبلغ مقدار ثلاثة آلاف فأكثر . وقد أندرست المدرسة وتفرقت الكتب بزوال العلم من البصرة ، وبقي منهم عدة أخيار كرام . وأصلح من بقي منهم السيد يعقوب . ومنها بيت الكواز وهو بيت مجد رفيع وفضل وخير وافر ، ونشأ فيهم عدة رجال اخيار كرام . كامثال الشيخ أحمد والشيخ درويش . وكانا من أكابر الناس ، من ذوي الخير والجاه والمال الوافر والصدقات ، وكان جدهم الأعلى الشيخ أنس من الأكابر ، وهو من أولاد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وبقي منهم بعض الناس ، وقد نزل جدي ، العلّامة الشريف ، اسعد الحيدري مفتي الحنفية ببغداد في بيت الشيخ أحمد فأحترمه وأجله وخدمه ، بما يتحير به الناظر على ما ذكره الفاضل عثمان بن سند ، في تراجم علماء بغداد ، ولنا معهم أيضاً حقوق موروثة عن الآباء ، حيث أن تعلقنا بالبصرة قديم لأن جزية البصرة كانت لأجدادنا من القديم .

ومنها بيت السادة الطباطبائية ، وهو بيت علم وصدق وسيادة وأدب . قد

شهدت بصحة سيادتهم الطبقات، وكتب التواريخ كابن خلكان وغيرهم وجدهم الأعلى الشريف إبراهيم طباطبا ، كان نقيب الأشراف بمصر ، وكان من أكابر أهل عصره ، ومن أجل الاشراف ، وكان الثغ يسمي القبا (طبا) فقال لغلامه طباطبا لما سأله غلامه عن القباء ، الذي أمر باتيانه على ما في تاريخ ابن خلكان . وهو بيت عظيم الشرف والفضل ، وقد نشأ فيهم عدة رجال ، منهم الفاضل الشريف السيد ياسين ، والفاضل الشريف السيد عبد الجليل ،. وكانا من العلماء الفضلاء ولهم النظم الفائق ، ولكل منهما ديوان شعر رقيق ، وقد رأيت ديوان السيد ياسين وفيه من المباحث العلمية والأدبيات ، ما يدل على فضله رحمه الله تعالى .

وقد بقي اناس أخيار بالبصرة والكويت ، وممن بقي منهم بالكويت الفاضل الفقيه الصالح التقي السيد احمد ، وهو من أشراف العلماء ، وله الاطلاع التام على مذهب الأمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، يدرس بالكويت ، وليس بالكويت ولا بالبصرة ونواحيها أعلم منه في عصرنا هذا . وقد اجتمعت به حين قدومه إلى البصرة لزيارة بعض اقربائه ، وتبركت بدعائه الشريف متع الله تلك البلاد بطول حياته . ومن أجل الفقهاء الذين أدركتهم في قصبة سيدنا الزبير رضي الله تعالى عنه ، على مذهب الإمام احمد بن حنبل رضي الله عنه ، العالم الكامل المعمر الشيخ أحمد النجدي رحمه الله تعالى وكان يُعد من السلف الصالح منْ يُرجى دعاؤه ، ولما ورد صاحب الدولة نامق باشا إلى الزبير أجله غاية الإجلال وطلب منه صالح الدعاء . ثم توفى وقام مقامه ولده الفقيه الصالح الشيخ محمد ، مدة قليلة فتوفي رحمه الله تعالى ولحق أباه وخلف الذكى الصالح الشيخ عثمان ، فشرع بعد وفاة أبيه في قراءة بعض كتب الحنابلة والعربية علي وفقه الله تعالى ومن العلماء الموجودين في قصبة الزبير ، المحدث الفقيه الصالح ، الشيخ إبراهيم الغملاس (راجع كتابه " ولاة البصرة ومسلموها " المطبوع في هذه الدار)

الحنبلي النجدي ، وهو ممن لا تأخذه في الله لومة لائم . وفي قصبة الزبير جملة من أهل الفقه والصلاح من النجادة .

وأما البصرة ففيها كثير من الجهلة ، وليس فيها منْ يعرف اسم العلم ولا رسمه ، ومن البيوت الرفيعة القديمة بالبصرة بيت رزق ، وهو بيت مجد وفضل وتجارة وخير ، وكانت لهم الصدقات الكثيرة والآثار الحميدة والثروة التامة والعز الكامل ، وقد صارت ديارهم بلاقع ، وبقي الكامل محمد من الأخيار في الكويت وأصلهم من نجد . ومنها بيت الحاج عبد الواحد ، وهو بيت عز وتجارة وخير وثروة تامة ، وبقي منهم أخيار . وهم من أبي الخصيب وأصلهم من بني خالد ومنها بيت عبد الرزاق . وهو بيت مجد وعز وتجارة ، وقد أنطفت نارهم بالبصرة وبقي منهم الكامل النجيب محمد بن عبد اللطيف في الهند ، وبعض الأخيار في الكويت وأصلهم من نجد .

ومنهم بيت جمال ، وهو بيت مجد وخير وتجارة وعز . ولم يبق منهم احد في البصرة ، وسكن بعضهم بلدة مسقط ومنهم بيت الفداغ ، وهو بيت تجارة وثروة وعز وخير ، وبقي منهم بعض الناس ، وأصلهم من نجد وغير ذلك من البيوت القديمة ، التي أندرست آثارها وأنطفت نارها . وأما التجار الموجودون في البصرة في عصرنا هذا ، الذين توطنوا فيها ، فمنهم ، النجيب الأديب والكامل الذكي اللبيب ، محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب الرياضي النجدي ، وهو من أكابر أهل نجد ، وبيتهم في نجد من بيوت المجد الرفيعة الأصيلة ، ولهم الحيثية التامة لدى آل سعود أمراء نجد . ومحمد المشار إليه من اكابر الناس أخلاقاً وذكاء وكرماً وفطنة وبيته مأوى لأهل نجد وغيرهم . وقد صحبته فوجدت صحبته أرق من النسيم ، وحصلت بيننا المودة التامة والألفة القلبية ، وله بيت في البصرة ، وبيت في الزبير ، وبيت في الاحساء ، ويتردد على بلاد الهند للتجارة ، زاده الله تعالى

عزاً ومالاً وعمراً .

وهو من عشيرة عائذ من الأزد من القحطانية ، وهم بنو عائذ بن الأسود بن الجمر بن عمران بن عمرو مزيقيا ملك اليمن بن عامر ماء السماء ، ملك اليمن الحميري . ومنهم فوزان النجدي ، وهو من التجار الأخيار وأصله من عنزه ، وهو من الثقات . ومنهم سالم البدر الكويتي ، وهو من الثقات الأخيار ، له من الثروة التامة والمراسلات إلى الهند وغيرها ولأهل سواحل البحرين من مسقط والبحرين والكويت وبر فارس وغيرها بالمراجعة والتردد إليه ، ذو نفس كريمة ومعاملة حسنة . لم يزل بيته مأوى لكل وارد من البحر ، وهو من أهل الكويت ، وله أخ صالح من التجار في الكويت . يسمى سليمان البدر ، أصله من عشيرة يُقال لها جناعة ، وهو من تحريف المولدين ، والظاهر أنه قنعة ، لأن عرب البادية في يومنا هذا يبدلون القاف جيما ، وقنعة بطن من العدنانية ، وهو بنو قنعة بن سبع بن بكر بن أشجع ابن ليث بني غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، بالعين المهملة بن مضر . وكان لاشجع المذكور من الولد بكر وسليم وعمر ، ومنهم جعدة بن هبيرة الاشجعي الصحابي رضي الله عنه ، وكانوا عرب المدينة النبوية ، وكان سيدهم معقل بن سنان الصحابي .

قال في العبر : وليس الآن أحد منهم بنجد ، إلا بقايا حول المدينة ، وبالقرب الاقصى ، فهم حي عظيم يصفون مع عرب المعقل . وقد أوضحت هذا النسب لرفع شبه بعض من طعن فيه ، لعدم الأطلاع على أنساب القبائل من عزو الناس إلى آبائهم . ومنهم إبراهيم المنديل النجدي وهو من التجار ذو مكر وشيطنة وخدعة ، يراسل إلى الهند ، وله بيت في البصرة وبيت في الزبير ، وهو من عشيرة الدوس من عشائر نجد ، وهو مستحدث النعمة ومنهم عبد العزيز الصالح النجدي ، وهو كريم الأخلاق حسن الوفاق من التجار الخيار ، ومن الثقات

الاذكياء وله المراسلة إلى الهند وغيرها ، ذو نفس كريمة لطيفة ، وله أخ صالح يسمى عبد الرحمن في الكويت ، وهو في بلدة تسمى مجمعة من بلاد نجد في العمار.

ومنهم عبد الله العودة النجدي ، وهو من التجار الأخيار ، من ذوي النجابة ذو ثروة تامة ، وله مراسلة إلى الهند وغيرها ، وأصله من عشيرة عنيزة .

ومنهم عبد اللطيف العون النجدي ، وهو من التجار الأخيار ذوي الثروة ، وله مراسلة إلى الهند وغيرها ، وأصله من عشيرة عنيزة . ومنهم المانع النجدي ، وهو من التجار الأخيار ، له مراسلة إلى الهند وغيرها ومنهم محمد الفارس النجدي ، وهو رجل من الأخيار ذوي النجابة وتجارته إلى الهند ، وأصله من بني حذيفة ، ومسكنه في قصبة الزبير رضي الله تعالى عنه . ومنهم الحاج سليمان الخصيبي. وهو من التجار المراسلين إلى الهند ، ولكنه مستحدث النعمة من أهل الثروة.

وأما بيت الحاج عبد الواحد فقد سبق بيان أصله ، وهم من أكابر التجار من ذوي الثروة التامة ، لهم المراسلة إلى بلاد الهند ، ولهم أملاك جسيمة . وهم من أهل الخير ، وكان والدهم عبد الواحد من أخيار الناس ، وأخير أولاده النجيب الحاج محمود ، ولهم بيت في البصرة ، وبيت في أبي الخصيب . ومن التجار الأخيار محمد بن الحاج نعمة ، وهو رجل من ذوي الحياء والصدق ، له المراسلة إلى بلاد الهند . وله الثروة التامة والأملاك الجسيمة . وأصله من عشيرة كعب من أهل السنة والجماعة . واما محمد الياسين أمين النفوس فهو من اهالي أبي الخصيب . وله نفس كريمة ، وأدب ولم يزل يقرى الضيف من كل جانب .

ومن التجار عبد الرحمن الرفاعي ، وله مراسلة إلى الهند وغيرهم من التجار وأهل البصرة وأكثرهم من النجادة . وأما السيد عبد الرزاق مفتي البصرة فهو من أهل بغداد ، من بيت يُقال لهم السادة من ذوي الطريقة القادرية ، أنتقل هو وأبوه السيد عبد الرحمن وأخوه من بغداد إلى البصرة ، منذ مدة تزيد على خمس وأربعين سنة .

الباب الثالث

في بيان أنهار البصرة

أنهار البصرة الموجودة في هذا العصر ، الكبار المحصورة والصغار التي لا يحصى عددها ، يجري فيها الماء من شط يُقال له شط العرب ، وهو مجتمع دجلة والفرات ، ويحصل لهذا الشط ولجميع الأنهار المد والجزر في اليوم والليلة مرتين ، مرة في الليل ومرة في النهار.

وتختلف ساعات المد تقديماً وتاخيراً ، والأنهار الكبار لم تزل مملوءة من الماء ، إلا العشار فانه يخلو من الماء حالة الجزر ، وأما الصغار فانها خالية اثناء الجزر ، فإذا حصل المد امتلأت الصغار ، وازدادت الكبار التي تجري فيها السفن ، وجميع الأنهار الكبار خارجة من شط العرب ، وبعض الصغار وباقي الصغار من الكبار.

فأول الأنهار الكبار ابتداء من البصرة : نهر العشار المشهور ، الداخل إلى البصرة ، وهو نهر عظيم تجري فيه المراكب والسفن ، وحوله بساتين كبيرة وبيوت ، وهو من المحال الجسيمة ، ومحل الحكومة على جانبه ، وكذا سوق السيمر ، وكثير من البيوت والمقاهي والخانات ، وتجري منه أنهار كثيرة.

والثاني : نهر المناوي ، وهو نهر عظيم ، حوله بساتين كثيرة وبيوت ، فيه محال العساكر البحرية ، وتجري منه أنهار كثيرة.

والثالث (والرابع) : نهران تابعان لنهر المناوي ، يقال لاحدهما (خورة) وللآخر (مويلح) ، وحولهما بساتين كثيرة وتجري منهما أنهار كثيرة.

والخامس : نهر البراضعية الكبيرة ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

والسادس : نهر البراضعية الصغيرة ، وهو كبير حوله بساتين ، وتجري منه أنهار كثيرة.

والسابع : نهر المحاويل ، وهو ستة أنهار حولها بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

الثامن : نهر السراجي ، وهو نهر عظيم ، وهو أعظم المحال ، وحوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

التاسع : نهر الفريج ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

العاشر : نهر الوقف ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

الحادي عشر : نهر الوقف أيضاً ، وهو نهركبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة .

الثاني عشر : نهر المحولة ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

الثالث عشر : فجة العرب ، وهو سبعة أنهار كبار لها بساتين كثيرة ، وتجري منها أنهار كثيرة.

الرابع عشر : فجة الحاج نعمة ، وهو نهران كبيران حولهما بساتين كثيرة، وتجري منهما أنهار كثيرة.

الخامس عشر : فجة ابن عامر ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ،

وتجري منه أنهار كثيرة.

السادس عشر : نهر يوسف ، وهو من أعظم الأنهر والمحال حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

السابع عشر : نهر حمدان ، وهو من أعظم الأنهر والمحال حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

الثامن عشر : نهر اليهودي ، وهو تسعة أنهار كبار حولها بساتين عظيمة كثيرة ، وتجري منها أنهار كثيرة ، وهو من أعظم الأنهار والمحال ، ومن توابعه السبيليات ، لها نهر كبير حوله بساتين كثيرة.

التاسع عشر : نهر خوز ، بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها زاء معجمة ، وهو سبعة أنهر كبار حولها بساتين كثيرة ، وتجري منها أنهار كثيرة ، ومن توابعه نهر أبي مغيرة ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

العشرون : نهر أبي الخصيب ، ويتفرع خمسة عشر نهراً كباراً ، حولها بساتين عظيمة كثيرة ، وتجري منها أنهار كثيرة ، وهذا النهر أعظم الأنهار والمحال ، وأعمرها وأرغبها ، وفيه اناس كرام ، وبعض طلبة العلم وبعض النقشبندية ، وفيه عدة جوامع ، وتقام فيه الجمعة والجماعة أكثر من سائر الجنوب ، والأملاك فيه مرغوبة ، وقيمتها أكثر من سائر الأملاك ، وسكانه أهل ثروة ودولة ، كبيت الحاج عبد الواحد ، وهو من خيار البيوت على ما سبق بيانه عند عد بيوت البصرة . أملاكهم مع كثرتها فهي عديمة النظير في العراق ، ولهم المراسلة إلى بلاد الهند ، وعندهم مركب بحري ، وكان أبوهم الحاج عبد الواحد من خيار الناس وكرمائهم . وبالجملة ، أن في أبي الخصيب عدة أشراف ، وسادات وطلبة علم وتجار وأهل أملاك من ذوي الخير ، وكلهم من خيار الناس ،

وكذا سائر الجنوب من الأخيار وأهل ديانة وخير مكارم أخلاق.

الحادي والعشرون : نهر أبي الفلوس ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة ، وهو من ملحقات أبي الخصيب.

الثاني والعشرون : نهر العامية ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

الثالث والعشرون : نهر الفياضي ، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

الرابع والعشرون : نهر بلجان ، وهو كبير حوله بساتين كثيرة ، وتجري منه أنهار كثيرة.

الخامس والعشرون : نهر الزين ، وهو من العظام ،وتجري منه أنهار كثيرة، وحولها بساتين كثيرة ، وهو عبارة عن خمسة عشر نهراً ، كلها مشحونة بالبساتين.

السادس والعشرون : نهر المطوعة ، وهو نهران عظيمان حولهما بساتين كثيرة ، وتجري منهما أنهار كثيرة.

السابع والعشرون : نهر القطعة ، وهو ثلاثة أنهر كبار تجري ، منها أنهار كثيرة.

الثامن والعشرون : نهر خورة السيحان ، وهو كبير تجري منه أنهار كثيرة ، حولها بساتين كثيرة.

التاسع والعشرون : الدواسر ، وهو من المحال الجسيمة ، وفيه بساتين كثيرة ، ومزارع الرز ، وأنهارها الكبار التي لها اكوات ثلاثة : أحدها الخست ، وهو نهر السيبة ، والثاني نهر كوت بندر ، والثالث نهر كوت الخليفة ، فهذه الأنهار

الكبار للدواسر.

وأما الأنهار الصغار الواقعة في الدواسر ، فقد تبلغ ستين نهراً ، منها نهر الشليشية ، ونهر الجالي ، ونهر الحايل ، ونهر الحدة ، ونهر قاع العنبر ، ونهر الربضة ، ونهر المجالدة ، ونهر المحيلة ، ونهر الخوص ، ونهر الزبال ، ونهر الشبيجي . ونهر الوقف ، ونهر الديويب ، ونهر المرابحي ، ونهر خوز عباس ، ونهر ابن جلاوي ، ونهر الوقف أيضاً ، ونهر باب الهوا ، ونهر كوت الخليفة أيضاً ، ونهر قاع محمد السلمان ، ونهرا العشيرة والخشنام. وفي حوالي جميع هذه الأنهر ونهر قاع محمد السلمان ، ونهرا العشيرة والخشنام . وفي حوالي جميع هذه الأنهر بساتين كثيرة عظيمة ، وهذه عدة أنهر الدواسر الكبار . وأما الجداول والسواقي الصغار . فتبلغ أكثر من مائتين ، طول الدواسر تقابل طول المقاطيع الجنوبية السبعة جميعاً . وأما ما وراء الدواسر فجزيرة الفداغية ، ونهران وحولهما بساتين كثيرة ، ودورة ابن إبراهيم ، وهي عشرة أنهار كبار ، حولها بساتين كبيرة ، وهي من توابع الدواسر .

الثلاثون : نهر المخراق وراء الفداغية ، وهو نهر يخرج إلى البادية، ليس في نواحيه نخيل وأشجار.

الحادي والثلاثون : نهر المعامر وراء المخراق ، وهي من المحال الجسيمة ، فيها خمسون نهراً كباراً ، وتجري من تحتها السواقي الكثيرة ، حولها بساتين عظيمة جداً.

الثاني والثلاثون : الفاو ، وهو من المحال الجسيمة ، كثير البساتين والنخيل والأنهار ، وكان من توابع المعامر ، التي هي ملك النجيب راشد السعدون ، والد النجيب الكريم ناصر باشا، فأكرمه راشد المشار اليه إلى شيخ الكويت ، والآن جميع الفاو في تصرف شيوخ الكويت ، ويمتد الفاو إلى ساحل البحر ، وفيه أكثر

من خمسين نهراً كباراً ، حولها البساتين الكثيرة العظيمة . وجميع ما ذكرنا من الأنهار إلى الفاو واقع في جنوب البصرة ، إلا العشار فأنه يمر بها ، إلا أن الجنوب ، حسب عرف أهل البصرة ، عبارة عن المحال السبعة ، وهي : السراجي، ومهيجران ، ويوسفان ، وحمدان ، واليهودي ، ونهر خوز ، وأبو الخصيب ، وجميع هذه الأنهر المعدودة ، من الجنوب وغيرها ، مشتملة على قرى ذات مساجد ، وأهلها من أهل السنُة والجماعة.

وأما الأنهار التي في جهة شرق شط العرب ، فهي ثلاثة وسبعون نهراً عظاماً كباراً : نهر كتيبان ، وهو من المحال الجسيمة ، فيه عدة أنهار ، وفيه بساتين عظيمة كثيرة جداً ، ونهر أبي جلاب ، وهو من التي يتفرع منها أنهار كثيرة ، وحولها بساتين كثيرة ، ونهر الشلة ، وهو من الكبار التي يتفرع منها أنهار كثيرة ، حولها بساتين كثيرة ، ونهران كبيران ، (يمران في) جزيرة الصقر وتسمى جزيرة العين ، ويتعشب النهران المذكوران إلى أثني عشر نهراً ، وحولها بساتين كثيرة .

ونهر الخراب ، وهو نهران كبيران يتفرع منهما أنهار ، حولهما بساتين كثيرة.

والنهر الدائر على المقاطعات الجسيمة ، أعني الكباسي الكبير والكباسي الصغير والحوطة والريان ، وكل من هذه المحال يشتمل على أنهار كثيرة وبساتين عظيمة.

ونهر حسن ، وهو نهران كبيران يتفرع منهما أنهار ، وحولهما بساتين كثيرة . ونهر كوت السادة ، وهو ثلاثة أنهر كبار ، حولها بساتين كثيرة ، وكردلان ، وهو أربعة أنهر كبار ، حولها بساتين كثيرة . وتنومة نهران كبيران ، وحولهما بساتين كثييرة . وكوت الجوع ، أربعة أنهر كبار حولها بساتين كثيرة ، ونهر كوت

الباشا ، وهو من الكبار ، حوله بساتين كثيرة . وكوت ابن نعمة ، وهو ثلاثة أنهر كبار ، حولها بساتين كثيرة ، وكوت زعير (قال صاحب الرياض أنه كوت نسبة لعائلة آل زهير المشهورة بالبصرة) أربعة أنهر كبار ، حولها بساتين كثيرة ، وكوت الكوام ، والموحية خمسة أنهر كبار ، حولها بساتين كثيرة ، وكوت غضبان ، وكوت الشيخ والحبابة تسعة أنهر كبار ، حولها بساتين كثيرة . ونهر جاسم ، وهو عشرة أنهر كبار . ونعر الدعيجي ، وهو من الكبار التي يتفرع منها أنهار ، حوله بساتين كثيرة ، ونهر البوري ، وهو من الكبار التي يتفرع منها أنهار ، وحوله بساتين كثيرة ، وجزيرة البوارين اثنا عشر نهراً كباراً ، حولها بساتين كثيرة . هذا والعمارة في جهة الجنوب أكثر من غيرها .

وأما الأنهر التي في جهة الشمال فمنها نهر الخندق ، وهو من الكبار التي يتفرع منها أنهار ، حولها بساتين كثيرة . ونهر الرباط الصغير ، وهو من الكبار ، حوله بساتين كثيرة. والمطابيخ نهران كبيران ، حولهما بساتين كثيرة . ونهر الجبيلة الصغيرة ، وهو من الكبار ، حوله بساتين كثيرة . وكوت نهر الفرنكي ، وهو ستة أنهر كبار ، حولها بساتين كثيرة ، وهو من المحال الجسيمة . نهر كوتة علي ، وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة . ونهر كوتة ماجد ، وهو من الكبار ، حوله بساتين كثيرة ، ونهر العنبري ، وهو من الكبار ، حوله بساتين كثيرة ، والهارثة ، وهي من المحال الجسيمة ، ذات الأنهار والبساتين الكثيرة ، وهي من توابع أراضي المنتفق، إلا أنه لما كان لبعض أهل البصرة فيها أملاك ذكرناها ، ويتصل بها الملك الذي تحت يد متصرف المنتفق ، وهو ملك عظيم جسيم ، مشتمل على بساتين لا تحصى ، ومزارع لا تستقصى.

وأما الجزائر التي في وسط شط العرب ، المشتملة على البساتين ومزارع الرز ، فمنها المحمودية ، وفيها بساتين ، ومزارع ، وأم الخصاصيف ، وفيها

مزارع الرز وبساتين ، وأم الجبابي، وفيها بساتين ومزارع الرز ، وأم الرصاص ، وفيها مزارع الرز وغيره ، والزيادية ، وهي كبيرة جداً ، وفيها بساتين ومزارع الـرز ، والفداغية ، وفيها بساتين ومزارع الرز ، وجزيرة العين ، وفيها بساتين ومزارع الرز ، والصالحية ، وفيها بساتين ومزارع الرز والحنطة ، والكليصاوية ، وفيها مزارع الحنطة وبعض الصيفيات ، وجزيرة المحلة ، وهي عظيمة ، وفيها بساتين عظيمة ومزارع الرز . وجميع هذه الجزائر واقعة في شط البصرة.

وأستخلص جابر المرداو جزيرة المحلة من أملاك العلية ، وتصرف بها من غير حق ، لأنها واقعة في البصرة وقربها ، وهي مقاطعة جسيمة ، تبلغ قريباً من ألف كيس ، وغفل عنها المتصرفون في البصرة.

واما الأنهر والجداول المتفرعة عن تلك الأنهر المذكورة ، فتبلغ أكثر من عشرة آلاف نهر ، والعشائر الساكنة في هذه المحال بين البساتين ، لا يحصى عددها .

هذا ، والبصرة ونواحيها من عجائب البلدان ، التي لم يخلق مثلها في البـلاد ، في كثرة البساتين والأنهر كونها معدن التجارة ، وبندر بلاد الهند ، ومن أقوى أسباب عمارتها ترتيب الجريب ، على أملاك أهاليها ، لأن التزام محالها ، أو أخذ الخمس منها قد أضر بأهلها ضرراً كلياً ، لكثرة المظالم ولكون الخرص يوجب تأخير قص التمر وفساده ، في غالب السنين فوجب تأخير بيعه إلى أهل الموسم الواردين من اليمن ، والسواحل وعمان وبر فارس والهند ، فيلحقهم بذلك ضرر كلي ، وأكثر أهل الموسم يذهبون إلى المحمرة ونواحيها ، لشراء التمر . وبقي أهل البصرة في الحسرة والحيرة ، كما شاهدت ذلك منهم ، على أن في الخرص غدراً وظلماً يشق حمله ، وقد تكاسلت أرباب الأملاك عن العمارة بسبب كثرة المظالم ، وآلت محال البصرة إلى الخراب . ولو وضع عليها رسم الجريب لعادت عمارتها

أضعاف ما فيها من المعمور ، لأن رسم الجريب معلوم معين ، فإذا أعطاه تصرف في ملكه ، كيفما يشاء ويختار . ومتى شاء قص الثمار وباعها في أوان الموسم فتزداد بذلك الرغبة في العمارة ، وتكثر الحواصل ، وتكثر الواردات المْيرية ، وتحصل الثروة العامة للرعايا ، على أن رسم الجريب ، قد يستوي فيه الشريف والوضيع ، وقد يكون الملتزم من أشراف أهل البصرة . فيخرص كيفما شاء املاك الفقراء ، وتنجو أملاكه ، وقد يكون الملتزم من غير أشرافها بمساعدة الأشراف ، فلا يتعرض لملك الاشراف . ولذا ترى بعض أعيان البصرة يأبى عن ترتيب رسم الجريب . وبالجملة ، أن في ترتيبه كف أيدي الظلمة والمتغلبة عن أملاك الفقراء ، وسائر الرعايا ، ويستوي فيه الكبير والصغير ، والشريف والوضيع ، والفقير والغني.

هذا ، ومن جملة ما وقع في الجهة الشرقية من البصرة ، عبادان وقبان ، وهما داخلان في حدود البصرة ، ومن سواد العراق فالمحمرة وعبادان وقبان ودورق ستان كلها داخلة في ملك الدولة العلية ، الى موضع يُقال له البنية ، وهو أيضاً للدولة.

وقد ذكر الشيخ مال اللّه بن أحمد القباني أنه كان في قبان تسعون مسجداً، ومدارس كثيرة وعلماء ، وكان خرابه بعد الألف ومائة وسبعين من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . هذا من جهة الدورق ، ومما يدخل في جانب جزيرة عبادان ، من الجهة الغربية ، من أملاك الدولة العلية قديماً أم الجريدية والحدة ، ، ونهر الشيخ ، وحوش المعامر ، وجزيرة المحلة ، والشطيط ، والبريم ، والبويردة ، والمنجوحى ، وقصبة النصار وهي آخر جزيرة عبادان ، وسميت قصبة لأنها منبت القصب.

وأما على جانب جزيرة عبادان ، من الجهة الشرقية ، فنهر الحياج ، وكوت

شنة ، ونهر الحدادين ، ونهر مهيوب ، والصونيخ . فهذه كلها معمورة ، والبواقي لا غرس فيها وما بازاء نهر الدعيجي فنهر خميسة ، وسعيدان ، ونهر يوسف ، والشاخورة ، والمعمورة ، والدربند ، والختبني ، وجزيرة عبادان محمودة الأرض ، قليلة الآلام ، وهي منبر العراق ، على ما قاله بعض العلماء ، وكان فيها كثير من العلماء والاولياء ، ومنهم العلامة قاسم العبادي ، محشي (كتب لها حاشية) تحفة ابن حجر المكي الهيتمي طاب ثراهما ، وله عدة تآليف فائقة ، آخر منها حاشية على جمع الجوامع في الأصول المسماة بالآيات البينات ، ومنها شرحه على العناية في فقه الشافعية ، ومنها حاشيته على حاشية اللقاني المصري ، على شرح التصريف للتفتازاني ، ومنها حاشيته على حاشية عصام الدين ، على شرح الكافية للجامي ، وغير ذلك من الكتب المفيدة ، التي بلغت من التحقيق غايته.

وكان أهل عبادان ونواحي المحمرة ، في القديم كلهم ، على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه كالبصرة ونواحيها ، ثم ترفض جميع أهل عبادان ، ونواحي المحمرة ، في القديم كلهم ، وما بقي منهم أحد من أهل السنّة والجماعة ، سوى بعض الأفراد من الدورق من عشيرة كعب.

وكانت عبادان في القديم على ساحل البحر ، وليس وراءها قرية كما يقال (ما وراء عبادان قرية) ، والآن قد ظهر من البحر أرض واسعة ، وصار وراء عبادان قرى كثيرة . وأما النهر المسمى بهمشبر ، الحاجز بين عبادان والمحمرة ، فهو يدور على جزيرة عبادان من جهة الشرق ، إلى أن ينتهي إلى البحر فجزيرة عبادان المذكورة على جهة النهر المذكور الغربية ، وعلى جهته الشرقية ، جهة قبان وشاطئ نهر بهمشير المقابل لرأس جزيرة عبادان من جهة الشمال المحمرة المشهورة الآن.

وأما المحمرة المشهورة الآن فقد أتخذتها عشيرة كعب ، وسكنوا فيها ، وسموها محمرة ، وأهلها كناسة الارض . وقد حدثني ، الشيخ المعمر ، علي بن محمود النقشبندي الخصيبي بأنه قد رأى ، هذا الموضع المسمى الآن بالمحمرة ،

أرضاً خالية ، ليس فيها أحد ولا بناء ، ثم سكن محيسن بن كعب وتجمعوا وتمكنوا فيها ، وتواطأوا على النهب وقطع الطرق والإفساد ، حتى كثرت أموالهم ، وعمت أذيتهم ولا سيما على أهل البصرة ونواحيها ، وحصلت لهم القوة وشيخهم جابر المرداو ، وهو وعشيرته المذكورة من توابع كبار عشيرة كعب الساكنين في الدورق المسمى بالفلاحية. ثم عصى جابر المذكور عن طاعتهم ، بعد أن كان من جملة خدامهم ، ومنعهم عن الوصول إلى المحمرة ، وبارزهم وحصلت له الشهرة والترويج من أكابر الدولة الإيرانية ، وقد تحول جابر المذكور عن المحمرة إلى موضع يُقال له الفيلية ، وهو ذو ثروة عظيمة ودولة لا تحصى.

وذكر لي الشيخ علي المذكور منشأ دولته ، وهو أن المحمرة سنة (1247 هـ) قد صار فيها طاعون عظيم ، أفنى من فيها من التجار ، فاستولى على أموالهم ، ومع ذلك لما كثرت الفتنة بين آل ناصر استولى على مائة قرية فأكثر . وكان لا يعطي العجم ، إلا شيئاً قليلاً ، فهذا سبب كثرة أمواله ، وأملاكه وسفنه وصار لدى الدولة الإيرانية أجل من أكابر كعب ومقدماً عليهم.

هذا وقبل انحناء بهمشير إلى البحر نهر يُقال له الحفار ، وهو كبير واسع ، وعليه قرى عديدة ، وهو يسقي القبان ، وفي جانب النهر المنحني الجاري من كارون المذكور الغربي نهر كبير ، منقطع عن نهر عبادان ، المسمى بهمشير الشرقي ، وفي جانبي هذا النهر الكبير نهران : أحدهما ينتهي إلى قرب البحر، والثاني إلى قرب الحفار ، وتنشق منه أنهر كثيرة شرقاً وغرباً ، وسواقي كثيرة ، فهذا في الجهة الغربية من نهر قبان والجهة الشرقية ، كذلك وما في جهة الشمال يصل إلى نهر كارون ، وهو المسمى بالسليمانية ، وما في جهة الجنوب يصل قرب نهر دورق ستان ، وحافته الشمالية هي أرض قبان ، وحافته الجنوبية خمس جزائر، أحد طرفيها في نهر دورق ستان ، والطرف الآخر في البحر.

واسماء الجزائر هي : ميان ، والسليك ، والمويلح ، وأما التفاح ، وجزيرة دورق ستان التي يظن الناس أن فيها معادن اكسيرية ، وفي مقابل هذه الجزيرة

نهر يذهب إلى قبان من جهة الشرق ، ثم يذهب إلى الشرق وجوانبه ، شمالا وجنوباً ، هي محال دورق ستان ، وينتهي إلى نهر الدورق ، المسمى بالبزية الذاهب إلى البحر.

وحول نهر البزية أنهر كثيرة تتصل بنهر الجراحي ، عليها مزارع الرز ، وهي مسدودة الرؤوس ، ولوفتحت رؤوسها لغرق الدورق ، المسمى بالفلاحية ، ولذهب الماء إلى قبان فاحياه كما كان.

وفي الجهة الشرقية من نهر الجراحي ، وهو نهر قوى الماء كنهر كارون ، يصل إلى قبان ويذهب الجراحي إلى بلاد العجم.

وما وراء البزية أنهار كثيرة ، وفي جهتها الشمالية مساكن كثيرة ، منه موضع يقال له جفال ومنهل الخزاعية ، وغير ذلك من المساكن العديدة ، التي نهايتها البنية المذكورة . ويتطاول هذا النهر إلى بهبهان ، وعلى حافة نهر كارون الجنوبية قرية تسمى السماعين ، وهي في مقابلة الخزعلية ، التي على الجانب الشمالي من الجراحي ، وعلى هذه الحافة من كارون محل يسمى الاهواز ، وهو مكان عال من الارض . والاهواز مقابل لمحل في الجراحي يسمى غريبة ، والبنية في مقابل محل من كارون يسمى العمير . ونهر كارون يجري إلى ششتر ودسبول ، ونهر بهمشير الذي هو نهر عبادان والمحمرة ماؤه بين العذب والمالح.

قال اليافعي رحمه اللّه تعالى في روض الرياحين : جزى اللّه أهل عبادان خيراً، على صبرهم بشرب الماء المالح . ويأتي الماء إلى بهمشير من نهر المسرهد الآخذ عن الشط والمسرهد في موضع يُقال له سوق الشيوخ المشهور (لعله غير بلدة سوق الشيوخ بالناصرية) . وقد خلط سليمان الكعبي ماء كارون بماء الحفار، فجرى في نهر عبادان ، الذي هو نهر المحمرة ، ثم يجري إلى البحر ، فصار هذا الماء أعذب وأبيض ، فسماه العجم بهمشير . وجميع ما ذكر من البزية ، والدورق ستان وجزيرته ، والقبان وجزائره ، وعبادان فهو ملك الدولة العلية العثمانية ، أيدها رب البرية فضلا عن المحمرة.

الباب الرابع

اسماء بعض المحال الواقعة في جنوب البصرة

فأما السراجي فنسبته إلى رجل سراجي ، كان يعمل السروج في المحل المذكور ، لآل راشد الذين ملكوا البصرة ، بعد تاريخ السبعماية وواحد من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وأما مهيجران فهو موضع هجار آل راشد . ويوسفان كان لرجلين اسمهما يوسف وحمدان ، قيل حفره رجل من آل حمدان . واليهودي حفره رجل من اليهود. وأبو مغيرة بن شعبة الصحابي رضي الله تعالى عنه.

والسبيليات كانت ملك الأمير فارس ، الجد العاشر للأمراء هم أعيان أبي الخصيب ، فوقفه وسبله على وجه البر للفقراء والمشائخ الرفاعية لاطعام الطعام ، فسميت سبيليات أي مسبلة ، فاستولى عليها النقيب عبد الرحمن ، باستيلائه على البصرة فجعلها ملكا له.

وأبو الخصيب ، بالخاء المعجمة ، سمي بذلك لكثرة ما فيه من الخصب والبساتين ، وقيل : أصله بالغين المعجمة ، خصيب كان عبداً من عبيد هارون الرشيد الخليفة العباسي ، سكن في المحل المذكور ، وبنى فيه حصناً ، وآثار الحصن المذكور موجودة الآن في المحل الذي يسمى بريم . وجيكور (١) اسم اعجمي بمعنى مكان الاعمى ، والعامية سميت بذلك لما عمروها واشتغلوا بتعميرها

---

(١) يقال ان اصلها جبكور ، أي أعور اليسار .

صارت العملة تشتغل فيها ، وفي غيرها من المحال التي عمرت بعدها ، وكان إذا سئل احدهم أين تشتغل أجاب بأنه يشتغل في العامية ، أي في التي عمرت العام فسميت بذلك ، والفياض قيل لكثرة فيضه ، وقيل كان لرجل اسمه فياض.

وبلجان ، كما ذكر أهل التواريخ ، أنه في الأصل بولجان ، وهو نهر واسع ، وكان يأخذ من نهر جندب ، الذي هو نهر البصرة القديمة . وجندب هو أبو ذر الغفاري الصحابي رضي الله تعالى عنه ، وهو مدفون بجانبه الشمالي ، وآثار نهر جندب ظاهرة ، والقبر المنور ظاهر ، وبلجان المذكورهو ذنب نهر جندب . وقيل لما غضب الله تعالى على إبليس أمر بهبوطه إلى أرض بلجان ، فوقع في النهر المذكور ، وسكان بلجان إلى الآن أباليس البصرة ، على ما حدثني بذلك الشيخ علي الخصيبي. والزين كان لرجل ، صاحب جمال وحسن ، وهو من طائفة من العرب يقال لهم الباوية . والمطوعة كانت فيه امرأة تقري الأولاد وتعلمهم الفقه وتطوعهم ، وهي في الأصل على وزن اسم الفاعل ، ثم بكثرة الاستعمال غيرها المولدون إلى اسم مفعول .

والجدواسر محل عمره طائفة الدواسر ، وسكنوه وهم من عرب نجد ، سيأتي ان شاء الله تعالى ذكرناهم في بيان قبائل نجد ، فنسب اليهم ولم يبق أحد من ذريتهم في عصرنا هذا . وإنما سكنة الدواسر في هذا الزمان من سائر العرب ، توطنوا فيه واستغلوا كثيراً من مواضعه ، وهو مقابل جزيرة عبادان . والمعامر كانت أرضاً خالية من الفرس ، فأشتراها راشد السعدون ، والد ناصر باشا ، من بيت المال ، وعمرها سنة الألف ومائتين وست وعشرين من الهجرة النبوية ، وكذا أشترى المطوعة واشترى البهادرية . والفاو . ووقف البهادرية على فقراء المدينة المنورة ، وأكرم الفاو على شيخ الكويت ، والفاو هو آخر العمران، يمتد إلى البحر.

أحوال نجد

الباب الأول

في بيان موقع نجد وحدوده وبعض أحوال أهله مع بيان جزيرة العرب وما فيها من البلاد والمحال

الباب الأول

في بيان موقع نجد وحدوده وبعض أحوال أهله مع بيان جزيرة العرب وما فيها من البلاد والمحال

إن النجد في أصل اللغة ما ارتفع من الأرض ، وما خالف الغور ، أي تهامة فأعلى نجد تهامة واليمن ، وأسفله العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز ذات عـرق ، فهو بين تهامة والعراق والشام ، والحجاز ، وهذه الأقاليم الخمسة جوانبه على ما ذكره مجد الدين.

وذكر صاحب نهاية الأرب أن نجداً هي الناحية التي بين الحجاز والعراق ، والحجاز هو ما بين نجد وتهامة، وهي جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام ، ويسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة ، فعلى هذا لا يكون أعلاه تهامة ، كما ذكره مجد الدين ، لوقوع الحجاز فاصلاً بينها وبين نجد ، وهو من أحسن الاقطار ، وأعدلها مزاجاً ، وأرقها هواء ، وأعذبها ماء ، وأخصبها أرضاً ، وأنبتها ازهاراً ونباتاً ، اوديته كالرياض ، وأغواره كالحياض ، قليل الأمراض . وقد تمثل الشعراء المجيدون بطيب هوائه ومحاله ، وفيه بعض البلدان والقرى ، وأكثر أراضيه صحارى وقفار ، فيها قبائل من العرب لا يحصي عددهم إلا الله تعالى معاشهم من الابل والخيل والغنم ، ولا يستقرون في محال ، بل يرحلون من ناحية إلى ناحيـة ، ومن دار إلى دار ، وماؤه مع قلته في غاية العذوبة واللطافـة والخفـة ،

ولهم بطون وقبائل وشعوب لا تحصى ، ولكل عشيرة منهم شيخ نافذ الكلمة بينهم ، ولم تزل الحروب والمقاتلة بينهم ، ويجورون على أهل البلدان والقرى ، ويقطعون العراق أحياناً ، فيغزوهم ابن سعود ، وقد يمنع بعضهم عن بعض ، ويعاقب أهل العدوان ، ويقتل منهم اناساً ، ويحبس بعضهم إلى أن يستقيم الأمر ، وهم أشجع العرب ، بل سائر الناس ، وأشدهم بأساً ، كيف وقد وصفهم الله تعالى بشدة البأس ، بقوله تعالى : « ستدعون إلى قوم اولي بأس شديد » الآية.

ومع شجاعتهم وشدة بأسهم فهم أهل أنفة وغيرة وصدق وكرم وذكاء مفرط وفطنة ، وقدرة على سرعة الجواب المسكت ، بقول وجيز ، ولهم مكارم أخلاق ، كاكرام الجار ، وإجارة المستجير بهم ، ولا يدور الكذب على ألسنتهم ، ولا يشهدون الزور ، ولا يهذون بكثرة الكلام. هذا ، ومساكن العرب القديمة الذين تفرقوا في الاقطار ، كانت بجزيرة العرب ، الواقعة في وسط المعمورة ، وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ، ممتدة الأطراف ، يحيط بهامن جهة الغرب بعض بادية الشام ، حيث البلقاء إلى أيلة ، ثم بحر القلزم ، الآخذ من ايلة ، حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر ، إلى الحجاز ، إلى أطراف اليمن ، حيث طي وزبيد وما داناهما. ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم من جهة الجنوب إلى عدن إلى اطراف اليمن . حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها . ومن جهة الشرق بحر فارس، الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال ، إلى بلاد البحرين ، ثم إلى البصرة ، ثم إلى الكوفة من بلاد العراق ، ومن جهة الشمال الفرات ، آخذاً من الكوفة عل حدود العراق. إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية ، على البلقاء من برية الشام ، حيث وقع الابتداء . والحاصل أن السائر على حدود جزيرة العرب مبتدئاً من البلقاء جنوباً إلى ايلة ، ثم يسير الى شاطئ بحر القلزم ، وهو مستقبل الجنوب ، والبحر على يمينه ، إلى مدين ، إلى البقيع ، إلى البروة ، إلى جدة ، إلى أول اليمن ، إلى زبيد إلى أطراف اليمن من جهة الجنوب ، ثم يعطف

مشرقاً ، ويسير على ساحل اليمن ، وبحر الهند على يمينه حتى يمر على عدن ، ويجاوزها حتى يصل إلى سواحل ظفار من مشاريق اليمن ، إلى سواحل مهرة ، ثم يعطف شمالاً ، ويسير على سواحل اليمن ، وبحر فارس على يمينه ، ويتجاوز سواحل مهرة إلى عمان من بلاد البحرين ، إلى جزيرة أوال الى القطيف ، إلى كاظمة ، إلى البصرة ، إلى الكوفة ، ثم يعطف إلى الغرب ، ويفارق بحر فارس ، فيسير والفرات على يمينه الى سلمية ، إلى البلقاء ، حيث بدأ على ما ذكر صاحب السلطان عماد الدين حماد في تقويم البلدان ، سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً ، بسير الاثقال ، فمن البلقان إلى الشراة ثلاثة أيام ، ومن الشراة إلى ايلة نحو ثلاثة ايام ، ومن ايلة وهو فرضة المدينة النبوية إلى الحجاز نحو عشرين يوماً، ومن الحجاز إلى ساحل الجحفة ، وهي فرضة مكة المشرفة ثلاثة أيام ، ومن جدة إلى عدن نحو شهر ، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو شهر ، ومن مهرة إلى عمان البحرين نحو شهر، ومن هجر إلى عبادان من العراق نحو خمسة عشر يوماً ، ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين ، ومن البصرة إلى الكوفة نحو أثني عشر يوماً ، ومن الكوفة إلى باليس نحو عشرين يوماً ، ومن باليس إلى سلمة نحو سبعة أيام ، ومن سلمية الى مشارف حوران دمشق نحو أربعة أيام ، ومن مشاريق غوطة دمشق إلى مشاريق حوران نحو ثلاثة أيام ، ومن مشارف حوران إلى البلقاء نحو ستة أيام.

ثم اعلم ، أن الجزيرة في أصل اللغة ما أرتفع عنه الماء ، آخذاً من الجزر ضد المد ، ثم توسع فيه فأطلق على كل دار عليه الماء ، ولما كان هذا القطر يحيط به بحر القلزم من جهة المغرب ، وبحر الهند من جهة الجنوب، وبحر فارس من جهة الشرق ، والفرات من جهة الشمال أطلقت عليه الجزيرة ، وأضيفت إلى العرب لنزولهم بها ابتداء ، ومساكنهم فيها . قال المديني وجزيرة العرب ، تنقسم إلى خمسة أقسام : تهامة ونجد وحجاز وعروض ويمن ، فتهامة هي الناحية الجنوبية

من الحجاز ، ونجد هي الناحية التي بين الحجاز والعراق ، والحجاز وهو ما بين نجد وتهامة على ما سبق ، وهي جبل مقبل من اليمن ، ممتد ومتصل بالشام ، وسمي حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة على ما سبق ، والعروض هي اليمامة إلى البحرين ، ويدخل في جزيرة العرب قطعة من بادية الشام ، وفي كل قسم من هذه الاقسام الخمسة مدن وبلاد .

فأما الحجاز الذي هو وما حوله من الأماكن أفضل البقاع ، واعدلها ، لأن الكعبة وتربة أشرف خلائق نبينا محمد (ص) في اراضيه ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبوية ، على مشرفها أشرف الصلاة ، واكمل السلام والتحية . قيل هي من نجد ، والراجح أنها من الحجاز ، وأما تهامة ففيها من البلاد المشهورة مكة المشرفة ، وقيل هي من الحجاز ، وفيها ايضاً من البلاد ينبع . وأما نجد فسيأتي إن شاء الله بيان ما فيه من البلاد ، في بابه المخصوص به ، وأما العروض فيشتمل على ناحيتين : الأولى اليمامة ، وقيل هي من الحجاز ، وهي مدينة النبي في المقدار ، بينها وبين البصرة ست عشرة مرحلة ، وبينها وبين الكوفة مثل ذلك ، وهي أكثر نخيلاً من سائر بلاد الحجاز ، وبها كان مسيلمة الكذاب ، الذي ادعى النبوة في زمن النبي (ص) وقيل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والناحية الثانية بلاد البحرين ، وهي قطر متسع مجاور لبحر فارس ، كثير النخيل والأنهر والمياه ، واسع التجارة ، بحرها معدن اللؤلؤ الفاخر ، وعدد بلدانها يزيد على سبعين ، لا يوجد مثلها في الممالك ، وهي قريبة من بر القطيف ، مسافة خمس ساعات ، وعن قطر اربع ساعات في السفن ، وعن العقير سبع ساعات مع الريح المعتدل . والمتولي عليها ابن خليفة من وائل ، ويسكن أحياناً في بلدة المنامة، وأحياناً في بلد المحرق ، وهي من ممالك الدولة العلية العثمانية ، ولكثرة تردد الأنكليز عليهم فهم على وجل منهم ، ولا يدعون إلا الإنتساب إلى الدولة العلية ، إلا أن الدولة لم تسكت عنهم ، إلا لبعدهم مع كثرة مشاغلها المهمة ، التي

هـي أهم من البحرين ، ومع ذلك فأهلها في حيرة من الأنكليز ، والعجب من ولاة بغداد ، كيف غفلوا عن هذه البلاد العظيمة ! مع كونها داخلة في جزيرة العرب ، التي هي ملك الدولة العلية ، وكانوا قبل هذا تحت يد ابن سعود ، أمير نجد ، الذي هو من تبعة الدولة العثمانية ، وكيف لا يمنعون إحتجاجات الدولة الأنكليزية عنهم ! مع وجود صداقتهم التامة بين الدولة الأنكليزية . إنهم مع صحة صداقتهم مع الدولة العلية ، كيف يتجاسرون على حركات تستدعي التصرف في أمور البحرين ! مع ظهور انها ملك الدولة العلية.

وأما دعوى الدولة الإيرانية للبحرين ، فهي من قبيل دعوى أن مكة والمدينة لهم ، وأن جزيرة العرب من إيران . وأما إنتساب بعض أهل البحرين ، في بعض الاحيان ، إلى الدولة الإيرانية خوفاً من تسلط الإنكليز عليهم ، من قبيل الغريق يتشبث بالحشيش ، لأنهم يستطيعون دفع عساكر الدولة الإيرانية ، ولا يستطيعون منع مراكب الدولة الأنكليزية فينسبون انفسهم الى الدولة الايرانية لعدم خوفهم منهم يبتغون بذلك الخلاص من تعرض الدولة الانكليزية بهم . وكانت دعوى نسبتهم إلى الدولة الإيرانية بعد أن نادوا بأعلى صوت من كل جانب بتبعية الدولة العلية ، فلم يجببهم أحد ومع هذا فهم الآن معترفون بتبعيتهم للدولة العلية ، ومتأسفون على أعراض الدولة العلية عنهم ، وبمساعدة قنصل بندر أبو شهر عُزل محمد بن خليفة عن البحرين ، ونصب محله أخوه علي ، فذهب محمد إلى الكويت ، وهو من بني عمّ شيوخ الكويت ، فالتمس شيخ الكويت من علي عود أخيه إلى البحرين ، فعاد (علي) ومعه ، اثناء الدخول ، محمد بن عبد اللّه من بني عمّه ، فاستقبله علي بموكب الحرب ، ومعه ولد محمد بن عبد اللّه ، فلما رأى علي محمداً بن عبد اللّه مع أخيه محمد بن خليفة قال لولد محمد بن عبد الله : والدك من الخائنين معي ، فتضاربا وقُتلا معاً ، فذهب محمد بن خليفة إلى بيت أخيه علي ، ثم حُبس ، وصار محمد بن عبد اللّه شيخاً على البحرين ، وهذه وقعة عجيبة.

هذا ، ومن أعظم بلاد البحرين ، وأشهرها هجر ، بفتح الهاء والجيم ، وهي التي كانت قاعدة البحرين في الزمن المتقدم ، فخربها القرامطة عند إستيلائهم على البحرين ، وبنوا مدينة الاحساء ونزلوها ، وصارت قاعدة البحرين ، وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى . وأما اليمن فهو إقليم عظيم متسع الأرجاء ، متباعد الأطراف ، وكانت قاعدته القديمة مدينة صنعاء ، وهي مدينة عظيمة تشبه مدينة دمشق في كثرة مياهها ، وأشجارها ، وأنهارها ، وجداولها معتدلة الهواء ، عذبة الماء ، وهي من أعدل البلدان واسهلها معاشاً ، وأحسنها مزارعاً ، وكان لأهلها قوة عظيمة ، وأمراؤها من الأشراف على ما هو المشهور ، وهم أئمة الزيدية ، وقد ارتفعت الإمارة في هذا العصر عن الأشراف ، لنزاعهم وغلبة أهل البادية عليهم ، فصار أميرهم ، أحد عرب البادية ، يحكم بينهم بقوة العرب ، وغلبتهم وهي من البلاد القديمة ، قيل أول من أختطها سام بن نوح عليه السلام ، وفيها مساجد ما يزيد على ثلثمائة ، ومن الحمامات ما يزيد على المائتين ، وغالب أهلها وأهل باديتها وأشرافها زيدية ، وأهل السنة فيها قليلون ، وكانت في تصرف الدولة العلية من القديم ، ثم صرفوا عنها النظر ، وقد إستحدث إمام الزيدية عليها حصناً عظيماً في الجبال ، مطل على التهائم واراضي زبيد ، وفوقه متنزه ، يُقال له صهلة ، وقد ساق إليه المياه من الجبال التي فوقها ، وبنى فيه أبنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان ، وهو منزل بني رسول ملك اليمن.

ومن بلاد اليمن الشهيرة زبيد ، بفتح الزاء المعجمة ، وهي قصبة التهائم وموضعها في مستوى من الأرض ، وفيها نخيل كثيرة ، ولها سور دائر فيه ثمانية أبواب ، وبينها وبين البحر خمسة عشر ميلاً ، وهي من البلاد القديمة ، وفيها شجر البن ، قيل وتوجد فيها المعادن . وأول بنادر اليمن من جهة مكة المشرفة ، هي الليث والقنفذة وجيزان ولحية وكمران ومخا ، وهي قريبة من باب المندب ، وباب المندب هو مضيق في البحر ، واقع في جهة الغرب من بر اليمن ، دون شرقي الصومال ،

والباب المذكور بغاز اليمن ، وقد أخبرني بعض من أثق به من أكابر تجار نجد ، بأن الأنكليز قد سكنوا في البغاز المذكور ، من مدة ثلاث سنين ، بحجة أن يجعلوا فيه منارة وعلامة لاهتداء المسافرين في البحر ، مع كونه من أملاك الدولة العلية ، والله اعلم بعاقبة مرادهم ، وفي اليمن أمم وقبائل كثيرة من العرب ، وقد قلت أموالهم ، ولم تتصل بهم أنظار الدولة العلية ، وحسن سياسته وعدالته ، فآلت بلادهم إلى عدم العمارة التامة . وأما بنادر الحجاز فجدة وينبع ورابغ والقصير.

ومن مشاهير بلاد اليمن عدن ، وهي فرضة اليمن قديماً وحديثاً ، ويُقال لها عدن أبين ، سميت بأسم بانيها ، وهي مدينة على ساحل بحر الهند ، جنوبي باب المندب ، يميل إلى المشرق مورد راكب الهند ومصر وغيرهما ، بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، واقعة في ذيل جبل كالتنور عليها ، وتمام الجبل سور إلى البحر ، ولها باب إلى البر ، وباب إلى البحر ، إلا انها قشفة يابسة ، ينقل إليها الماء على ظهور الدواب ، بحسب العهد القديم . وأما في عصرنا هذا ، فقد صارت بلدة عظيمة محصنة غاية التحصين ، معمورة مزينة ، قل أن يوجد مثلها على السواحل، وهي من بر العرب ، ومن أملاك الدولة العلية وسكانها ، وشيخهم ويُقال له الفضلي ، فطلب الأنكليز منه ، من مدة أربعين سنة ، أن يضعوا عنده ذخائر المراكب الأنكليزية ، ويبقوا عليها نفرات منهم لمحافظتها ، الأنكليز ، ثم بعد مدة اشتروا عدناً من الشيخ الفضلي المذكور ، بألف وخمسمائة ريال ، على ما تواتر وتولوها وعمروها وصرفوا علها خزائن كثيرة ، وحصنوها بالقلاع تحت الجبل ، ثم طلبها الفضلي منهم ، فأمتنعوا عن تسليمها إليه ، ثم حاربهم فلم تحصل له الغلبة ، ويئس منها وبقيت في أيديهم وقد صارت الآن بسبب خراب بلاد اليمن ، لما أجروا فيها من حسن المعاملة مع أهلها ، ومع المترددين إليها ، وأبطلوا الكمارك والرسومات فيها ، وحصلت لأهلها الرفاهية والثروة ، ورغب أهل اليمن الى السكنى فيها من كل جانب ، مع ان اليمن لو حلت فيه السياسة العادلة ، والحرية التامة

لكان في غاية العمارة والمنفعة ، ومن البلاد الشهيرة في اليمن بندر السحل وبندر مكلا ، وهما بندران لبر حضرموت ، وأكثر أهله من الحضارمة القحطانيين ، وأول بلدان حضرموت مسافة مرحلة عنها ، وغاية البعد سبع مراحل . وقاعدة حضرموت بلدة يُقال لها اتربم (الصحيح تريم) وفيها السادة الحضارمة ، وهم من الأشراف الصحيحي النسب ، ومن ذوي الصلاح ، وفيهم كثير من العلماء ، وكلهم شافعية ، وأهل حضرموت أهل شجاعة وإقدام ، كأهل نجد ، إلا أن أهل نجد أزيد منهم في مكارم الاخلاق . قال في نهاية الأرب : ومن مشاهير بلاد اليمن نجران ، بفتح النون وسكون الجيم ، وهي بلدة ذات نخيل وأشجار ، على الغرب من صنعاء ، وهي بين عدن وحضرموت في الجبال ، وتعد من بلاد همدان ، بين قرى ومدائن وعمارات ومياه ، وبها كان أفعى بن الأفعى الجرهمي ، الذي تحاكم إليه مضر وربيعة وأياد وأنمار ، أولاد نزار بوصية من أبيهم.

قال بعض الاذكياء من أهل نجد : وأما نجران فلا يحسب من اليمن ، بل هو قطر مستقل واقع شرقي وادي الدوسر ، من أراضي نجد بلد العرب ، الذين يُقال لهم يام وهم عرب العجمان ، وكلهم شيعة على عقيدة (العميديين) العبيديين ، الذين كانوا في مصر ، وفيهم سادات أشراف ، يعتقدون بهم غاية الإعتقاد ، ويدعون أنهم يعملون شيئاً من المغيبات .

قال في نهاية الأرب : ومن مشاهير بلاد اليمن ظفار ، بالظاء المعجمة بعدها فاء ، وهي مدينة على ساحل خور يخرج من بحر الهند ، بينها وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً ، وعلى شمالها رمال الأحقاف ، التي كان عاد فيها ، وهي قاعدة بلاد الشحر ، ويوجد في أرضها كثير من النبات الهندي ، ولها بساتين على سواق ، ويوجد في سواحلها العنبر ، وغير ذلك من البلاد المتعددة ، وقال بعض الأذكياء : وكذلك ظفار ليس من اليمن ، بل هي أقرب إلى مسقط.

أقــول ، وما ذكره بعض الأذكياء ، أولا وآخراً ، مبني على ما هو المعتاد الآن ، من أن اليمن يطلق على ما هو داخل باب المندب من جهة الحجاز ، وأما بادية الشام ففيها من جزيرة العرب تدمر ، بفتح التاء وضم الميم ، وهي بلدة قديمة ببادية الشام ، من أعمال حمص ، واقعة في شرقها وأرضها سباخ ، وفيها نخيل وزيتون واشجار ، ولها سور وقلعة ، بينها وبين حمص نحو ثلاث مراحل ، وكذلك عن سلمية وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلاً ، وبينها وبين الزحلة مائة ميل وميلان ، وهي منزل آل ربيعة ملوك العرب بالشام ، وكذلك من جزيرة العرب الواقعة في بادية الشام ، بلدة تيماء وهي حاضرة طيء ، وبها الحصن المعروف بالابلق ، المنسوب إلى السموأل بن عادياء ، وتبوك وهي بلدة بين الحجر أرض ثمود وبين الشام ، وبها عين ماء ونخيل ، ويُقال إن اصحاب الأيكة ، الذين بعث الله تعالى إليهم شعيباً عليه السلام.

هذا ، وكان اليمن على ما قاله صاحب نهاية الأرب ، منازل العرب العاربة ، من عاد وطسم وجديس واميم وجرهم وحضرموت ، ثم أنتقلت ثمود إلى الحجر من أرض الشام ، فكانوا به حتى هلكوا كما ورد في القرآن الكريم ، وهلك من هلك من بقايا العرب العاربة باليمن ، من عاد وغيرهم وخلفهم بنو قحطان بن عامر ، فعرفوا بعرب اليمن ، وبقوا فيه الى أن خرج عمرو بن مزيقيا ، وعند وقوع سيل العرم ، ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا في الحجاز والشام وغيرها ، عند حدوث سيل العرم، وكانت أرض الحجاز منازل بني عدنان إلى أن غزاهم بخت نصر ، ونقل منْ نقل منهم الى الأنبار من بلاد العراق ، ولم تزل بعد ذلك منتشرة في الاقطار ، إلى أن كان الفتح الإسلامي ، فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك والفرس ، وذهبوا إلى أقصى المغرب ، وجزيرة الأندلس وبلاد السودان ، وملأوا الآفاق ، وعمروا البلاد والاقطار ، واكتسبوا العلوم والمعارف ، وألفوا ودونوا وملأت آثارهم الحميدة ، التي تعلم منها سائر الناس في جميع الآفاق . وصار

بعض عرب اليمن إلى الحجاز ، فاقاموا به ، وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن ، فاقاموا به، وبقي من بقي منهم بالحجاز واليمن إلى الآن ومنهم من تفرق في الاقطار وملأوا ما بين الخافقين ، ثم أعلم أن علماء النسب قد اختلفوا في العرب العاربة ، فذهب ابن إسحاق الطبري إلى ان العاربة هم عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، واميم ، وعميل، والعمالقة ، وعيد ضخم ، وجرهم وحضرموت ، وحضور والسلف ، ومن في معناهم . والمستعربة بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أفخشد بن سام بن نوح ، وبنو اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، من ولد عابر ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ، الذين كانوا في زمنهم ، وتعلم بنو إسماعيل العربية من جرهم ، وبني قحطان حين نزلوا عليه وعلى أمه هاجر بمكة ، شرفها الله تعالى ، وذهب آخرون . ومنهم صاحب حماة الى أن بني قحطان عاربة ، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل فقط ، وإلى الأول ذهب جمهور علماء النسب ، ورجحه صاحب العبر ، محتجاً بأنه لم يكن في بني قحطان من زمن نوح عليه السلام إلى عابر من تكلم العربية ، وإنما تعلموها نقلا عمن كان قبلهم من عاد وثمود.

وذكر أن اسم قحطان في التوراة يقطن ، فُعرب قحطان ، وقال بعضهم أن قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد اسماعيل عليه السلام ، لأن عدنان وقحطان يستوعبان بطون العرب ، العدنانية والقحطانية ، لإنقراض سائر العرب العاربة من عاد وثمود وأمثالهما.

أقول ، وهذا مراد منْ قال : إن جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام ، لأنه لا ريب في بطلان كون عاد وثمود ومن في معناهما من ولد إسماعيل عليه السلام. ورد أبو عبيد ما قاله البعض ، ووافقه صاحب نهاية الأرب ، بقوله : وشذ

من قال : أن قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نابت بن إسماعيل عليه السلام.

هذا ، والعاربة هم العرب الأولى ، الذي فهمهم الله تعالى العربية ابتداء ، فتكلموا بها ، فقيل لهم عاربة بمعنى الراسخة في العربية ، ويُقال لهم العرباء أيضاً ، أمّا بمعنى الفاعلية والمبتدعة للعروبة والمستعربة هم الذين دخلوا في العربية ، بعد العجمة من استفعل ، كقولهم استحجر الطين ، إذا صار في معنى الحجر ليبسه ، وربما قيل لهم المعتربة . وذهب بعضهم إلى أن العربية كانت موجودة من عهد آدم عليه السلام ، لقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » ، لتعلقها ببعض أولاده دون بعض.

الباب الثاني

في بيان بلاد نجد ومحاله وما يتصل به من المحال والبلدان والقرى

فأما أول نجد المعمور ، من مساكن الحاضرة من جهة الشمال ، فجوف آل عمر الذي على شماله خيبر ، وفيه قرى كثيرة ، وكان في أيدي عنيزة ، ثم صار في ايدي ابن رشيد شيخ جبل شمر ، بأمر ابن سعود أمير نجد . وجبل شمر هو مستقر ابن رشيد (إلى الآن سنة 1229 هـ) منها ومحل توطنه في الجبل المذكور قرى كثيرة . منها حائل ، وقفا ، وموقف و جبه ، وبقعا سميراء ، والكهفة وغير ذلك من القرى الكبيرة . وآل رشيد رؤساء الجبل أهل شجاعة وكرم ، وهم امراء الحاج المتوجه من بغداد على جهة الجبل (إلى الآن) ، وكبيرهم في عصرنا هذا ابن طلال بندر بن طلال (والآن سنة 1329 وهم سعود بن عبد العزيز ، ملاحظة محقق الكتاب ياسين باشا أعيان) في طاعة ابن سعود و(تحت) أمره . ثم القصيم وهي ناحية من أحسن نواحي نجد ، وأهلها من أقوى أهاليه ، وهم أيضاً في طاعة ابن مسعود وتحت أمره ، وكبيرهم من جهة ابن سعود . وفي القصيم بلدتان مشهورتان وهما : عنيزة وبريدة ، فأما عنيزة فكبيرها رجل من السليم إلى الآن ، وهم اهل بيت قديم في عنيزة من عشيرة سبيع . وأما بريدة فكبيرها محمد السديري ، قد نصبه ابن سعود أميراً على كافة قرى القصيم

ومحاله ، سوى عنيزة ، وقرى القصيم الاسياح ، وعين ابن فهيد ، وحنيظل ، وأبو الدود ، وقصباء، وقرى بريدة : الشتة ، والعيون ، والبصة ، والقرعاء (ارمه الذي ينحدر إلى عنيزة من جهة الشمال) ووادي عنيزة وغير ذلك . وقرى الوادي التابعة لبريدة : الشيحيات ، والهلالية ، والبكيرية ، والخبراء ، وقرى الرس : صبيح ، والنبهانية ، وقرى المذنب ثلاث . هذا هو المشهور من محال القصيم ، ثم ناحية سدير وبلدانها: الزلفي وقراه : خص المجمعة ، وحومة ، ووشي ، والجوى ، وجلاجل ، والنوم ، والداخلة ، والروضة ، والحصون ، والحوطة والجنوبية ، والعطار ، والجنبفي ، والعودة ، وتمير ، وعشيرة ، والحطامة فهذه محال سدير ، والأصح مركز حكومة الألفي . بلدة الزلفي ومركز الحكومة المجمعة ، ثم ناحية الرشم محالها : شقراء وهي مركز الحكومة ، وشيقر والقرائن ، والفرعة ، وترمد، ومرات ، وتيئية ، والجريقة ، والحريق ، والقصب ، وعسبلي ، والبير ، والدوادي ، والشعرة ، والقويعية ، والرويضة ، والشمس ، والخانوقة ، والحيد فهذه عدد بلدان ناحية الرشم . ثم ناحية المحمل ومحالها : ثادق وهو مركز الحكومة ، والبير ، والصغرة ، والرغبة ، والبيرة ، ودقلة ، والقرينية نسبة إلى مقران مؤسسها وفيها آثار قديمة جداً وعليها كتابات غريبة ، وملهم ، وصلبوخ (الصلبوخ حجر الزناد سمي لصلابة ارضه) ، ثم ناحية العارض المسمى بوادي حنيفة باليمامة وهو مركز إمارة ابن سعود ، على كافة نواحي نجد الحاضرة والبادية ، وكان مركز إمارته الدرعية ، فصار مركز الإمارة محلا يُقال له الرياض من محال العارض.

والرياض بلاد كبيرة فيها كثير من الناس ، وهي من أحسن المحال ، وأول ناحية العارض حريملة ، ثم سدوس وفيه تمثال دفع عنه الأنكليز مبلغ (1500) ليرة إنكليزية ، بارز عن وجه الأرض ، وعليه كتابات ويقدر طول البارز منه مترين ، ثم خرما ، ثم العمارية ، ثم أبو كباش ، ثم الجميلة ، ثم العينية ، ثم الدرعية ، ثم عرجة ، ثم الرياض ، ثم منفوحة ، وفي جنوب العارض الخرج ، وهي بلدة قديمة ،

وفيها أماكن ذات عيون جارية ، وكان محل عشيرة عائد من قبائل نجد ، وصار لهم فيه صولة عظيمة ، وكان منهم أهل بادية ، ومنهم أهل حضر تفرقوا في بلدان نجد وغيرها ، ولم يبق منهم أحد في البادية ، وقد تفرق كثير من قبائل نجد ، كعائد المذكورين ، وآل مغيرة وزغب ، وآل بشر ، وقرى الخرج الدليم ، والسلمية ، واليمامة ، وزميمة ، ونعجان ، والسيح وغير ذلك من القرى . ثم الفرع وهو واد معمور وفيه نخيل كثيرة قوية ، وغالب سكانه من بني تميم ، وهـــم أهل حضر ، وأما أهل البادية من تميم فما بقي منهم أحد ، وقرى الفرع الكبار : الحوطة والحريق ، ونعام ، والحلوة وهي محل الحكومة من جهة ابن سعود . ثم ناحية الافلاج ، وهي أول بلدان قبيلة الدواسر ، وقراها : البلى ، والبدع ، والأحمر ، والهدار وغير ذلك من القرى المشحونة بالنخيل . ثم وادي الدواسر ، وأوله السليل وقراه كثيرة منها : اللدام ، والحنابج ، وجميع قراه خمسة عشر قرية .

والوادي (الذي يقال له وادي حنيفة) المذكور هو مسكن الدواسر ، البادية والحاضرة . وهو آخر نجد من جهة الجنوب ، والمعمور من نجد من جوف أجل عمر إلى وادي الدواسر مسيرة خمسة عشر يوماً من جهة الشمال إلى الجنوب. واما من جهة الشرق إلى الغرب فالمعمورة منه مسافة ستة أيام ، هذا هو المعمور بالبلدان . واما مساكن اهل البادية ، في العشائر والقبائل ، فهو طول مقدار شهر وعرض كذلك ، وأودية نجد الكبار الكثيرة منها : وادي حنيفة ، ومنها وادي الدواسر، ومنها وادي القصيم المسمى وادي الرمة ، ومنها وادي سدير ، وفي نجد عقبات صعبة المسالك ، والدهناء هي الرمال الحاجزة دون نجد . ثم من الجهة الجنوبية لنجد بلاد عسير ، وهم قبائل كثيرة ، لا يحصى عددهم ، من ذوي الشجاعة والإقدام ، حاضرة وأهل البادية ، والحاضرة منهم هم قبيلة شهران من حمير، وقد تولاهم قبل هذا ابن سعود ، والآن ليسوا في طاعته ، وشيخهم الآن محمد بن عائش من عشيرة يُقال لهم المنع ، وغالب مساكنهم في الجبال ، لا يزالون يغيرون على

سواحل اليمن فينهبون منها ، ومركز حكومة كبيرهم في الجبل في بلدة يُقال لها السقا، ولهم أكثر من مائة قرية ، وأكثرهم في البادية ، ثم بلاد اليمن وقد سبق بيانها . وفي الجهة الشرقية لنجد الاحساء والقطيف ، وهو من الخط الذي فيه جزيرة دارين ، الملاصقة للقطيف والاحساء ، في تصرف ابن سعود ، وهي قرى كثيرة ، وأكبر ما فيها من البلاد الهفوف والمبرز ، فالهفوف مركز الحكومة من جهة ابن سعود ، وفي الاحساء ست قلاع ، فيها عساكر ابن سعود ، ويتبعها أكثر من مائتي قرية كبيرة غير البلدتين المذكورتين ، وهي بلاد متسعة سهلة المعاش ، ذات نخيل كثيرة ، وأشجار ومياه جارية ، ولا يأخذ منهم ابن سعود إلا العشر . وفي الاحساء كثير من العلماء الأعلام من المذاهب الاربعة رضي الله عنهم ، ومن أجل علمائها الأعلام الشيخ ابو بكر ، وقد رأيت له تأليفاً جيداً في التصوف ، وفيها رفضة اكثر من ثلثيها لكنهم في غاية الذل ، وأما بلد القطيف فجهة مشرقها على ساحل البحر تقابل الاحساء في النهر والحواصل وجميع سكانه رفضة وهو عن الاحساء مسافة ثلاث مراحل والاحساء ونجد مسافة سبع مراحل وبين الاحساء والقطيف الدهناء وهي رمال ، والصما وهي ارض يابسة لا يوجد فيها ماء ، والمسافر منهما إلى نجد لا بد له من حمل الماء ، وفي الجهة الشرقية للقطيف بندر العقير الواقع على ساحل البحر ، وهو بندر الاحساء، وفيه محل محصن لبعض عساكر ابن سعود معداً لتجار نجد ، الذين يسافرون إلى الاحساء ، فأنهم إذا وصلوا إلى المحل المذكور جعلوا أموالهم فيه الى أن تأتيهم الرواحل ، فتحمل أموالهم إلى الاحساء . ثم في شرق العقير ناحية قطر وهي منزل العرب أهل السفائن الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ ، وهم قبائل منهم من قحطـان ، ومنهم من وائل ، وفي بر قطر بعض من بني هاجر ، وفي باديته عشيرة يُقال لها المناصير ، وفي سواحله عدة محال كثيرة منها : البدع وهو رأس الزيارة، ونويرط وغير ذلك من البنادر ، وقد يتصرف صاحب جزيرة البحرين أحياناً في

قطر ، وأما بره وصحاريه فهو في تصرف ابن سعود.

ثم في الجهة الشرقية لقطر أول بلاده عُمان ، وهو بلد ابن جني ، وسكان هذا البلد عشيرة يُقال لهم بنوياس ، وهم من قحطان ، وهي قليلة الماء ليس فيها زراعة ، ولا نخيل ، وإنما سكنتها أهل سفن يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ، وكبيرهم منهم ، وهو رجل يُسمى زائد . ثم شرقيها رأس الخيمة ، وهي بلدة القواسم ، وهم قطاع سبل البحر ، وكانوا في غاية الجسارة ، من قتل النفس وأخذ أموال الناس ، ومن مدة أربعين سنة هدم الأنكليز بلدتهم المذكورة وخربوها ، فتفرق أهلها ثم رجعوا إليها وعمروها وسكنوا فيها ، ولكن قطعت ايديهم من منبع سبل البحر . ثم شرقيها بلدة يُقال لها الشارقة ، وهي توابع رأس الخيمة ، واهلها أيضاً من عشيرة القواسم . ولهم سفن يسافرون فيها إلى بلاد الهند ويغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ ، كبيرهم منهم ، ثم في شرقيها دبي ، واهله ايضاً من القواسم ولكنهم مستقلون بانفسهم صنعتهم الغوص في البحر ثم بندر خور فكان، وسكانهم قليلون يصطادون السمك من البحر . ثم بندر سحار ، وهي بلدة كبيرة من توابع صاحب مسقط ، وفيها واحد من بيت آل أبي سعيد ولاة مسقط ، وهي كثيرة النخيل والأشجار ، ثم بندر الشورى ، وفيه أهل سفن يسافرون في البحر . ثم بندر السويب ، وهي بلدة فيها نخيل وفواكه وسفن. ثم بندر بركة ، وسكانه أهل زراعة ونخيل وسفن . فهذه بنادر عُمان ، وأما بلاده التي في البر فمقدار مائة وعشرين قرية ، وقبائله : السعد ، والمناصير ، ونعيم ، وفيه عالم كثير وهو قطر واسع ذو نخيل كثيرة ، وفواكه عجيبة ، وافرة وفيه الابل النجائب النعمانيات ، والخيل فيها قليلة ، وغالب أهل عمان على مذهب الإباضية ، والبر الذي بين عمان وحضرموت رمال ، لا تسكن ولا تسلك ، والصحيح أنها ارض عاد ، على ما قاله بعض أهل الوقوف على التواريخ القديمة . وفي قطعة شمال البريمي من عُمان قبائل وعشائر كثيرة جداً ، تحت حكم ابن سعود ، ويغزو أحياناً على بلاد عمان ،

كما أن له على والي مسقط في كل سنة عشرة آلاف ريال ، لصولته عليه وعلى كثير من قبائل عمان الداخلين تحت طاعته ، فأن لابن سعود في تلك النواحي صولة وشأناً عظيماً ويداً طولى . ثم في الجهة الشرقية لبندر بركة بندر مسقط المشهور ، ويتبعه قرى كثيرة ، وهي بلدة في غاية العمارة ، مشتملة على كثير من التجار المتمولين أهل السفن والمراكب ، ومسافرتهم إلى بلاد الهند وجدة ، وفي نواحيها بساتين كثيرة ، ذات نخيل وأشجار وأثمار عجيبة ، ولا يوجد مثلها للتجار ، وقد وقع الخلاف والمنازعة بين أهل المشيخة من آل أبي سعيد ، ولاتها ، فضعفت حالها ، وقد ابلغني أن ابن سعود جهز عسكراً عظيماً ومشى على مسقط في هذه الأيام . وقراها المشهورة الكبيرة مقدار خمس عشرة قرية . ثم في الجهة الشرقية لمسقط بلد سور ، وفيها سفن كثيرة ، وسكانها أهل تجارة ويسافرون إلى جميع الجهات ، ليس عندهم زراعة ولا نخيل . ثم في شرقيه رأس الحد ومسافرة سكانه في البحر ، وهو آخر بر العرب من جهة الشرق ، ثم ينعطف البحر غرب الجنوب الى خليج اليمن وهو البحر الاحمر واول محل انعطافه مكان يسمى مصيرة ، وسكانه لا يعرفون صيد السمك ، ثم مرباط وهو بندر سكانه أهل البحر ، ثم بلدان المهرة ، ولها قرى كثيرة ، وسكانه أهل أسفار ، وسفن بندر الشحر ، وبندر مكلا ، وهما بندر حضرموت.

الباب الثالث

في بيان بعض أبعاد المسافات الواقعة بين المحال المذكورة

فالبعد من البصرة إلى قصبة الزبير رضي الله عنه ست ساعات . ومن الزبير إلى الكويت يومان . ومن الكويت إلى القطيف على قرب ساحل البحر خمسة أيام ومن القطيف إلى الاحساء ثلاثة أيام ، ومن الاحساء إلى نجد سبعة أيام . وأما على غير طريق الكويت والقطيف فمن البصرة إلى الاحساء مقدار تسعة ايام ، وأما من البصرة إلى أول أراضي نجد ، على غير طريق الاحساء فمقدار ثلاثة عشر يوماً وجميع النواحي المذكورة في نجد مسافة ما بينها مقدار مرحلتين ، أو ثلاث مراحل ، أو أربع ، وهي غاية البعد ، ومسافة بعد بندر العقير عن الاحساء مرحلة ونصف مرحلة ، وبعد جزيرة البحرين عن القطيف كمقدار خمس ساعات بحراً وعن العقير مقدار سبع ساعات بحراً ، وعن قطر مقدار أربع ساعات بحراً ، وهذا مع الريح المعتدل . وبُعد قطعة شمال البريمي من بر عُمان عن سيف البحر ثلاث مراحل إلى أربع ، وبعد مسقط عن البصرة بحراً ، مع الريح المعتدل ، سبعة أيام وغاية المسافة عشرة أيام . ومسقط من جملة بلاد عُمان ، وبُعد بلد مطرح عن مسقط نصف ساعة ، وبُعد جزيرة البحرين عن مسقط بحراً ، مع الريح المعتدل ، سبعة أيام . وبُعد نجد عن جزيرة البحرين بحراً سبع ساعات ، وبراً ثماني مراحل ، وبُعد الاحساء عن جزيرة البحرين براً مرحلة ونصف مرحلة ،

وبحراً سبع ساعات ، وبُعد المدينة المنورة عن القصيم ، من محال نجد ، ثماني عشرة مرحلة ، (والقصيم اثنتا عشرة مرحلة) وبُعد جدة عن البصرة بحراً ، في المراكب الدخانية خمسة عشر يوماً . وأما في المراكب الريحية ، مع الريح المتعدل، فشهر تقريباً ومع إختلاف الارياح فشهران . أو أكثر ، وبعد عمان عن الاحساء أدناه ثلاث عشرة مرحلة ، وهو الأدنى من اليمن . وأقصاه عن نجد خمسة وعشرون مرحلة .

الباب الرابع

في بيان عشائر نجد وغيرها من القبائل العربية من سكان البادية

فمن أعظم عشائر نجد مطير ، وهي عشيرة كبيرة ، كثيرة العدد ، في غاية القوة والشجاعة ، وعدد قبائلها كثير منها : قبيلة الدرويش ، والمرهمة ، وجيلان ، وذوي عون ، والملاعية ، ومسيلم ، وبرية ، والمريخات، والهوامل . فهؤلاء كبار قبائل مطير ، والمشهور فيما بينهم أنهم من قحطان . والذي ذكره صاحب نهاية الأرب أنهم بطن من بني طسم ، من العماليق ، من العرب العاربة ، كانت مساكنهم مع قومهم من بني طسم بيثرب ، إلى أن أخرجهم منها بنو اسرائيل . وشيخهم الأكبر في هذا العصر ماجد الدويس .

ومن اعظم عشائر نجد العجمان ، وهم في غاية القوة والكثرة والشجاعة ويتفرعون إلى قبائل كثيرة منها : آل معيض ، وآل حبيش ، وآل سليمان ، والهتلان ، وآل محفوظ ، والضاعن ، والشامر . وآل مصرع ، والشواولة . وآل مفلح . وهم من قحطان . وشيخهم الأكبر في هذا العصر ابن خليل .

ومن أعظم عشائر نجد آل مرة ، وهم من أهل القوة والشجاعة والكثرة ، ولهم قبائل كثيرة منها : آل جابر ، وآل عذبة ، والغفران . وآل علي وغير ذلك وشيخهم الأكبر في هذا العصر فيصل المرضف . وهم مع العجمان على حد واحد ولم اقف

على كونهم من بني مرة . بطن من الأوس من الأزد من قحطان . أو من بني مرة . بطن من بكر بن وائل من عدنان . أو من بني مرة بطن من ذبيان من العدنانية .

ومن أعظم عشائر نجد عتيبة ، وهي عشيرة في غاية الكثرة والقوة والشجاعة وهي فرقتان الرومة وبرقا ، وتتشعب هاتان الفرقتان إلى قبائل كثيرة جداً ، وشيخهم الأكبر في هذا العصر مصلط بن ربيعان ، وهم على ما ذكره صاحب نهاية الأرب بطن من جذام القحطانية . بنو عتيبة بن أسلم بن مالك بن شنوة بن بلبل بن جشم بن جذام . (والذي ذكره أهل اللغة : عتيب بن أسلم بن مالك بن شنوة بن تدين) قال ابو عبيد : وهم اليوم ينسبون في بني شيبان ، فيقول عتيبة بن عوف بن شيبان ، قال واليهم : ينسب جعرة عنيت بالبصرة . قال الجوهري : اغار عليهم بعض الملوك ، فسبى الرجال فكانوا يقولون : إذا كبر صبياننا لم يتركونا حتى يفتكوا لنا ، فلم يزالوا عنده حتى هلكوا ، فضربت بهم العرب مثلا فقالوا: أودى عتيب (وفي الاصل عنيت وهو خطأ) وفي ذلك يقول الشاعر :

ترجيها وقد وقعت بقوم كما ترجو اصاغرها عتيب

(الشعر غلط أيضا ، في الأصل إذ ذكر بغرء .... وعثيث).

ومن أعظم عشائر نجد قحطان ، وهم في غاية الكثرة والقوة والشجاعة والإقدام وقبائلهم كثيرة منها : السمر ، والعاصم ، والخنافرة ، والروقة ، والسعيد ، والحمالة ، والمجمل ، وعبيدة ، وهم أكثر من نصف قحطان ، وشيخهم محمد بن هادي ، ومساكنهم في نجد في جهة الجنوب عن بلدان عسير.

ومن أعظم عشائر نجد سبيع ، وهم من أهل الكثرة والقوة والشجاعة ، ولهم قبائل كثيرة منها الجمالين ، والعرينات ، والنبطة ، والحملة ، والجمور . وآل علي ، والعذارية ، العبادي ، والصنعة ، ومليح ، والقرينات ، والعزة ، وشيخهم عسا وقيل وهم من بني عامر بن صعصعة من العدنانية .

ومن أعظم عشائر نجد الشهول ، وهم في غاية القوة والشجاعة ، ولهم خمس قبائل كثيرة العدد ، وشيخهم بن معدل ، وهم بنو سهل ، بطن من بني بحر من لخم من القحطانية .

ومن أعظم عشائر نجد الدواسر ، وهم خلق كثير ، حاضرة وبادية ، في غاية القوة والشجاعة والكثرة والعنف ، وقبائلهم التي في البادية كثيرة منها : المساعرة وآل بريدة ، وآل أبو سباء ، والمخاريم ، والرجبان ، والخبيلات ، والشراقا والعيثيان ، واجل أبي حازم . وآل عمار ، وشيخهم ابو قويد . قال في نهاية الأرب : وهم بطن من العرب باليمن ، ولم ينسبهم إلى أحد وأما بنو خالد فكانوا أمراء الاحساء ، فتغلب عليهم ابن سعود ، وأخذ منهم الاحساء . وهم قبائل منهم المباشير ، والجبور . والمشيخة في آل حميد ، أهل كرم وشجاعة ، ومن مشايخهم الكرام : ابن عريمر المشهور ، ولم اقف على كونهم من بني خالد بطن من بني قحطان . أو من بني خالد بطن من عامر بن صعصعة من عدنان ، أو من بني خالد بطن من غزية طيء من قحطان . أو من بني خالد عرب حمص بطن من بني مخزوم من قريش ، وهم رهط خالد بن الوليد الصحابي رضى الله تعالى عنه . لكن الحمداني قال : عرب حمص يدعون النسب إلى خالد بن الوليد ، وقد أجمع اهل العلم بالنسب على انقراض عقبه . ثم قال : إنهم من أحلاف آل فضل ، عرب الشام ، على ما نقله صاحب نهاية الأرب . فهذه عشائر بادية نجد ، ولا يحصي عددها إلا الله تعالى .

وأما حرب فهم عرب بادية المدينة المنورة ، وينقسمون إلى قبيلتين : بني علي ومسروج وتتفرع هاتان القبيلتان إلى قبائل كثيرة ، وبطون عسرة الاحصاء لكثرتها أو زيادة شعوبها ، وهم في الكثرة وزيادة البطون ، مثل عشيرة عنيزة ، ومع كثرتهم فهم أهل قوة وشجاعة ، ولم اقف على كونهم من حرب بطن من الصبر من غسان من الأزد من قحطان ، أو من حرب بطن من بكر بن وائل من

عدنان ، أو من حرب بطن من بني حاشد من همدان من القحطانية ، ومن حرب بطن من جهلان من القحطانية ، والله أعلم ، وقد يوجد في نواحي الحجاز في أطراف مكة والمدينة بعض من عتيبة والبغوم .

وأما هذيل فهم في جهة مكة خاصة ، وهم بطن من خندف من مضر ، وقد يوجد بعض من حرب في جهة مكة . وأما ثقيف ففي الطايف . وهم من هوازن من العدنانية . وزعم بعض النسابة أن ثقيفاً من بقايا ثمود .. وكان الحجاج إذا سمع ذلك يقول : كذبوا ، قال الله تعالى : وثمود ، فما ابقى أي أهلكهم ، وما أبقى منهم أحداً ، قال في الحمير وثقيف : بطن متسع ، ومنازلهم بالطائف . وهو مدينة من اراضي نجد على مرحلتين من مكة ، في شرقها أو شمالها ، وكانت في القديم للعمالقة ، ثم نزلها ثمود . وقيل بل سكنها بعد العمالقة عدوان ، ثم غلبهم ثقيف وسكنوا فيه ، وهو الآن مسكنهم ، أنتهى ، وقيل ثقيف موالي لهوازن . وقيل أنهم من أياد بن نزار بن مضر ، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان في العراق ، الجائر المشهور . وأما عرب عُمان فهم قبائل كثيرة أشهرها : المناصير ، ونعيم والسعد ، وكل من هؤلاء القبائل يتفرع إلى بطون كثيرة . والله أعلم بعدتهم ، وهم بعضهم من الأزد نزلوا عُمان لما تفرق الأزد ، حين أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم .

وعرب بادية اليمن كثيرون ، وأشهر قبائلهم : غامد ، وزهران ، وبجيلة وأسعد ، وشهران ، وزبيد ، وبعضهم من (سام) وكلهم من قحطان ، ويتفرع من كل من هؤلاء العشائر بطون كثيرة وعرب جزيرة البحرين والقطيف وهجر من ربيعة وغيرهم . وجميع من تقدم من قبائل العرب فهم من ذوي النسب المعتبر لديهم .

وأما العرب الساقطون ، من الإعتبار المطعون فيهم المحتقرون ، والنازل لدى العرب النجباء فهم ثلاثة عشائر : الصليب ، والعوازمة والرشائدة .

الباب الخامس

في بيان نسب ابن سعود أمير نجد ، مع بيان بعض احواله ومنشأه ورسم حكومته وصور مكاتباته إلى أهل بلدان نجد

فأما نسبه . فهو أن الأمير في هذا العصر عبد الله بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي العنزي . وهو من مشايخ عنزة ، وكان مانع المريدي المذكور جد آل مقرن ، وآل وطبان ، يسكن في بلد الدروع من نواحي القطيف ، ثم صار بينه وبين أدرع ، رئيس حجر اليمامة من بني عمه ، مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم ، فاستدعاه ابي أدرع إلى القطيف . وأعطاه من ملكه أرض المليبد ، وغصيبية لآل يزيد من آل دغير من بني حنيفة ، الموجودين اليوم إلى ما دون الجبيلة ، إلى الابكين ، إلى حريملا لحسن بن طوق جد آل معمر ثم ولد المانع المذكور ربيع ، وصارت له صولة . وأتسع ملكه ، وحارب آل يزيد ، ثم ظهر بعد ذلك ابنه موسى . وصارت له شهرة أعظم من أبيه ربيعة ، واستولى على الملك في حياة أبيه ، وصارت له وقعة مع آل يزيد ، وجرح جراحاً كثيرة . وضيقوا عليه وإحتال على قتل أبيه ربيعة ، فجرحه جراحات كثيرة وهرب ربيعة إلى أحمد بن حسن بن طوق ، رئيس العينية فأجاره وأجله وأكرمه ، لما بينهما من سابقة المعروف .

ثم ان موسى جمع جموعاً من المبردة وغيرهم ، ممن كان عنده وهم من المؤلفة وأغار على آل يزيد صباحاً في النعيمة الوصيل ، وتحاربوا فصارت الغلبة لموسى فقتل من آل يزيد أكثر من ثمانين رجلاً ، واستولى على ملكهم ومنازلهم ودمرهم ولم تقم بعد ذلك لآل يزيد قائمة ، وكان يضرب المثل بهذه الواقعة . ويُقال صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد . واستمر موسى بن ربيعة في الولاية إلى أن توفي فتولى ابنه ابراهيم إلى أن توفى، وتولى ابنه مرخان ، وكان لمرخان ولدان ربيعة ومقرن . فأما ربيعة فولده وطبان ، وهو جد آل وطبان الساكنين في قصبة سيدنا الزبير رضي اللهّ عنه ، ولوطبان المذكور عدة أولاد ذكور . قيل إنهم أربعةعشر ولداً ذكراً ، من خرمان أبو زيد الذي تولى الدرعية قبل لآل مقرن ، وغدره محمد بن حمد بن عبد اللّه بن معمر ، الملقب بخرفاش . فقتله وقتل دغيم بن فائز المليحي ، وكان معهما محمد بن سعود من آل مقرن ، فهرب ونجا . ثم بعد ذلك استقل بالدرعية واستولى أولاده على جميع نجد ، وهم آل مقرن الذي منهم ابن سعود المشهور ، ومنهم محمد بن وطبان جد آل ثاقب ، وقد جرى بين ال وطبان قطيعة وسفك دماء . ويجتمع آل مقرن وآل وطبان في مرخان ، وهما يجتمعان مع أهل خرما وأهل أبي الكباش في ابراهيم بن موسى المذكور ، وقتل وطبان المذكور ابن عمه مرخان بن مقرن ، وهرب من نجد . قيل وأتى إلى قصبة الزبير رضي الله عنه قرب البصرة . وأما مقرن بن مرخان بن إبراهيم جد آل سعود المشهورين ، فله من الأولاد محمد وعياف وعبد الله ، فمحمد جد آل عياف، فآل مقرن هم ذرية محمد ، وذرية عبد اللّه ، وذرية مرخان الذي قتله عمه وطبان ، وخلف محمد بن مقرن من الأولاد مقرناً وسعود ، فمقرن هذا ليس له عقب إلا عبد اللّه ، الذي جعله عبد العزيز بن محمد بن سعود أميراً في الرياض ، حين تغلب عليها . وأما سعود فله عدة أولاد منهم : محمد ومشاري ، وثنيان ، وفرحان ، فمحمد هو الذي استقل بالدرعية ، وكذا أولاده من بعده إلى عصرنا هذا ، وهو

الذي أوى الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب عالم نجد المشهور . فإنه لما كان في بلد العينية عند عثمان بن معمر ، ورأى منه الجفا قصد محمد بن سعود المذكور ، فآواه وأيده وأمتثل أمره ، وجهز الجيوش لنصرة دعوته ، وترويج طريقته المشهورة بالوهابية . ومشارى بن سعود بن محمد بن مقرن هو الذي أيد أخاه محمد بن سعود في نصرة الطريقة الوهابية ، وكذا ولده حسن بن مشاري فأنه قاد السرايا ، وقاتل في الحصون والبلدان والقرابا مع ابن عمه عبد العزيز ابن محمد بن سعود وله أولاد فرسان شجعان قتلوا في حرب إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، والي مصر لما حاصر الدرعية ، وكذا ابنه عبد الرحمن ، وخلف عبد الرحمن ولداً اسمه مشاري .، الذي قتل ابن عمّه تركي أمير نجد .

وأما ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن فأنه كان أعمى . ولكن كان مفتوح البصيرة لفرط ذكائه . وكان مستشاراً لأخيه الأمير محمد بن سعود بن مقرن في الأمور ، ومن ذريته عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان المذكور ، وفيصل بن ناصر بن عبد الله بن ثنيان المذكور ، ومحمد بن يوسف بن ثنيان الذي كان في مصر ، ثم جاء إلى ابن عمّه فيصل أمير نجد .

وأما فرحان بن سعود بن محمد بن مقرن فليس من ذريته إلا سعود بن إبراهيم بن عبد اللهّ بن فرحان ، والباقون من جميع آل مقرن إنما هم ذرية محمد بن مقرن جد آل سعود ، أمير نجد في هذا العصر ، وذرية أخيه عياف بن مقرن جد آل عياف المذكورين . ولنرجع إلى أولاد محمد بن سعود بن محمد بن مقرن جد آل سعود . أمراء نجد ، فخلف محمد بن سعود بن عبد العزيز ، وهو الذي قاد الجيوش لنصرة الطريقة الوهابية . وبلغت سراياه وعماله أقصى بلاد نجد ، وزالت به الحروب التي كانت تقع بين قبائل نجد ، وحصل الأمن والأمان في البادية والحضر ، وكانت الأبل والخيل والأنعام ترعى في الصحارى وتلد ،

وليس عندها سوى رجل واحد ، ولا يستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئاً .

ثم خلف عبد العزيز سعوداً ، وهو ايضاً قد قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب وأذعنت له صناديد العرب . وذلت له رؤساؤهم . إلا أنه اخطأ خطأ عظيماً في منع الناس عن الحج ، وفي الخروج على السلطان ، وأنهم غالوا في تكفير من خالفهم ، ولو كان من أهل السنة والجماعة ، وشددوا في بعض الاحكام التي لم يرد الشرع بتشديدها ، وحملوا أكثر الأمور على ظاهرها ، وكذا غالت الناس في القدح عليهم ، ولإنصاف الحالة الوسطى ، إلا التشديد الذي ذهب إليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنعهم الحج .

وأما ما ينسب إليهم من اعتقاد النبي (ص) كالجماد في قبره ، والعياذ بالله فحسب ظني بقوة إسلامهم . إنه لا اصل له ، بل مفترى عليهم . ولا التساهل الذي عليه عامة أهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله تعالـى ، وبناء الأبنية المزخرفة بالذهب والفضة والألوان المختلفة على قبور الصالحين ، والنذر لهم وغير ذلك من الأمور ، التي نهى عنها الشارع (ص) الحاصل . أن الإفراط والتفريط في الدين ليس من حق المسلمين ، وحقهم اتباع ما عليه الأئمة الأربعة المجتهدون ، الذين على طريقة السلف الصالح من الصحابة رضي اللهّ عنهم وأكبر التابعين ، والتجاسر على تكفيرهم بعضهم بعضاً ، والعياذ بالله تعالى يوجب غضب الله تعالى ، ومهما أمكن في حق المسلم الذي صدر منه ما يخالف ظاهر الشرع . فاللازم تأويله بوجه حسن ، لأن المؤمنين اخوة ، فأن لم يكن التأويل فحينئذ يحكم بما يقتضيه الشرع المبين من التكفير والتفسيق .

ثم خلف سعود بن عبد العزيز عبد الله ، وهو الذي استولى عليه الوزير

الغضنفر إبراهيم باشا بن محمد علي باشا . والي مصر ، وحبسه وذهب به إلى مصر ، ثم أرسله إلى استانبول في أيام الغازي محمود خان وأمر بضرب عنقه في ميدان جامع السلطان بايزيد ، بين ملأ الناس وعبد الله المشار إليه ، وأن كان قد علم كأسلافه القبائل أحكام الدين ، وأمرهم بقيام الجماعات في الأوقات الخمسة ، بحيث لا يتخلف أحد منهم في بلاد نجد عنها إلى عصرنا هذا ، إلا أنه قد أخطأ في تجاسره على بلاد السلطان ، الذي هو إمام العصر وخادم الحرمين الشريفين ، ولو إكتفى بنجد وما يليه من عمان وجزيرة البحرين وغيرهما . لاستقام أمره ، وفاز بعمله أحكام الدين للقبائل ، التي كالأنعام بل أضل سبيلا . وخلف سعود بن عبد العزيز أيضاً : فيصلاً ، وناصراً ، وتركياً ، وابراهيم ، وسعداً ، وفهداً ومشارياً ، وعبد الرحمن وعمر ، وحسناً .

وأما فيصل فقد قتل في حرب الدرعية . بعد ان بارز وحصلت لهم الشهرة وكذا قتل إبراهيم في تلك الحرب ، وناصر وتركي ماتا قبلهما ، وسعد وفهد ومشاري وعبد الرحمن وعمر وحسن نقلهم إبراهيم باشا الى مصر مع أولادهم ونسائهم وماتوا هنالك .

رجعنا إلى محمد بن سعود . فمن ابنائه عبد الله . وهو الذي قوى أخاه عبد العزيز ، وقاتل معه أشد القتال . وقاد الفرسان والابطال ، وحصلت له الشهرة العظيمة ، فكم كتيبة كرَّ عليها وفرقها ، وقل جمعها ومزقها ، وهو من المشهورين بالشجاعة والأقدام .ثم قام ابنه تركي بن عبد الله الشجاع . الذي قاد القبائل إلى طاعته ، وأمرهم بالقيام بأركان الإسلام ، بعد ان تهاون أكثرهم بالصلاة ، وأفطروا في رمضان . وعادوا إلى ما كانوا عليه في سالف الزمان من شعار الجاهلية ، فحاربهم وقاتلهم حتى انضووا بقيام الطاعات . ثم قام مقام ابنه فيصل بن تركي . وهو الذي فرَّ من حبس مصر ، واستولى على بلاد نجد ، وأخذه

من عبد الله بن ثنيان مع قوته وشدة بأسه ، فحاربه حرباً عظيماً وأخمد ناره ، ودانت له القبائل والبلدان ، وسكنت جنوده في نجد وعمان ، وجمع في سياسته بين الشدة واللين ، وكثرة عطاياه ، وكان كثير الإكرام والاحترام لأهل العلم وحملة القرآن ، ورحيما بالفقراء والأرامل والأيتام غير مائل إلى سفك الدماء ، وقد مدحه الشيخ عثمان قاضي نجد بقصيدة منها :

عفيف شريف النفس للفضل عارف حليم كريم سالم القلب منصف

ولفيصل بن تركي ثلاثة أولاد : عبد الله ومحمود وسعود ، فأما عبد الله فهو في نجد ، فذ هذا العصر ، وأما محمد فهو مع اخيه عبد الله وفي طاعته ، وأما سعود قد وقعت بينه وبين اخيه عبد الله منافسة ، فهرب إلى العسير خوفاً من أخيه عبد الله ، ثم عاد وضبط الاحساء والقطيف ، وهو بصدد الأمارة في نجد ، ولم يتمكن منها إلى الآن فهذا ما يتعلق بنسب آل سعود .

وأما رسم حكومتهم فإنهم يأخذون ، من أهل الحضر ، من كل مائة صاع من الحبوب خمسة أصواع ، ومن كل مائة صاع تمراً خمسة اصواع . وأهل البادية فلا يؤخذ منهم إلا زكاة الأبل والأغنام على الوجه الشرعي . وأما ما يكون ريعه من الأنهر . كالاحساء والقطيف ، بلا سقي فيؤخذ من المائة عشرة . وقد تضيق الواردات عن مؤنة نفسه وأهله وأقاربه وعلمائه وقضاته وسائر اهل العلم في بلاده وقراه والفقراء والعاجزين عن الكسب ، وغير ذلك من المصارف المرتبة على ما حدثني بذلك النجيب محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب من أكابر نجد ، وهو ثقة كريم . وليس لابن سعود عسكر موظف للحرب ، بل إذا أراد الحرب جمع من العشائر والقبائل ، ما يريد من الأعداد الكثيرة إلى مائة الف . وأما الموظف فمقدار الف في خدمته . وخمسمائة في الاحساء ، وخمسمائة في القطيف ، وخمسمائة في عمان ، ولعسكره قوانين ومرتبات جارية من القديم على اهل البلدان والبادية ، كل يعطي ما عليه بحسب قدرته ووسعه . وقد تقاتل المائة منهم ألفاً من

غيرهم والألف لشدة شجاعتهم وبأسهم ، كما ذكره الله تعالى بقوله : أولي بأس شديد ، وفي بلاد نجد كثير من التجار من ذوى الثروة وكثير منهم في نواحي البصرة وبعضهم في الكويت وبعضهم في الهند كالشيخ علي بن إبراهيم ، وهو من ثقات الرجال الأخيار الكاملين ، وقد اجتمعت به في البصرة ، ويملك مقدار مائة ألف كيس فاكثر ، وله عدة أملاك في نواحي البصرة عليها ابن اخيه عبد الله عبود بن عيسى ، وهو من الأخيار ، وأولاد الشيخ علي المذكور في الكويت . وأما مكاتبات آل سعود إلى اهل نجد وعشائره . فصورة مكاتبة تركي ابن عبد الله كبير نجد .

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبد الله إلى من يقرأه من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . فموجب الخط إبلاغكم السلام ، والسؤال من احوالكم والنصيحة لكم ، والشفقة عليكم ، والمعذرة من الله إذ ولاني تعالى أمركم . والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة . وأن يجعلنا ممن إذا اعطي شكر ، وإذا إبتلي صبر ، وإذا أذنب إستغفر ، والله تعالى منعم بحب الشاكرين . ووعده على ذلك المزيد . قال الله تعالى : لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد فالذي أوصيكم به تقوى الله تعالى في السر والعلانية . قال الله تعالى : ومن يطع الله ورسوله ، ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون . وجماع التقوى اداء ما افترض الله سبحانه ، وترك ما حرم الله . وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ولا يخفاكم ما وقع من الإخلال بها ، والاستخفاف بشأنها ، وهي عمود الإسلام الفارقة بين الكفر والإيمان ، منْ أقامها فقد أقام دينه ، ومنْ ضيعها فهو لما سواها أضيع ، وهي آخر ما اوصى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه ، وهي آخر ما يذهب من الدين ، وهي أول

ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وبعض الناس قد يسئ في صلاته ، ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده ، وفي نخلة هو رحاله ، والمسجد جار له . وفي الحديث لا صلاة لجار المسجد ، إلا في المسجد ، وهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار ، لولا ما فيهم من النساء والذرية . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لقد رأينا وما يختلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، وهذه أمور ما يخفاكم وجوبها ، لكن الكبرى عدم إنكار المنكر ، وتزيين الشيطان لبعض الناس ، أن كلا ذنبه على جنبه ، وفي الحديث لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ، ولتطرئنه على الحق إطراء ، وليعمنكم الله بعقابه ، وكذلك الزكاة ، وبعض الناس يبخل ويستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله، والعياذ بالله ، وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام .

قال اللهّ تعالى : ((والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما من صاحب ذهب ولا فضة ولا يؤدي حق الله منه إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح ، وأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوي بها جبينه وجنبه وظهره ، وكلما بردت اعيدت في يوم ، كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله ، أما إلى الجنة وأما إلى النار . ثم ذكر عقوبة مانعها من الأبل والبقر والغنم ، وكل مال تؤدي زكاته بعلم صاحبه ، ونصاب الزكاة تفهمونه ، وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره صاحبه ، ولو كان من زرع قد زكى إذا حال عليه الحول ، وهو معد للتجارة ، وجبت فيه الزكاة ، أو تمراً وأثمانها كلما أعد للتجارة تجب فيه عند الحول ، وهو يبتلي الغني بالفقير ، وطلب منكم اليسير ، فمن أداها نرجو من الله تعالى يقبلها ويخلفها عليه ، ومنه مكر بها فالله خير الماكرين ، وكذا معاملة الربا تفهمون أنها من أكبر الكبائر ، وأن مرتكبها

محارب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال اللّه تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا أتقوا اللّه ، وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله)) . وقال تعـالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، وأتقوا اللّه لعلكم تفلحون)) . وقال تعالى : الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، واحل اللّهّ البيع وحرم الربا ، فمنْ جاءه موعظة من ربه فإنتهى فله ما سلف وأمره إلى اللّه . ومنْ عاد فاولئك أصحاب النار . هم فيها خالدون.

وفي الحديث . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لعن اللّه آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه (لعلها وشاهده) فلعنهم سواء ، فدل هذا الحديث على أن الرضاء بالمعصية معصية . وأن منْ لم ينكر على العاصي كالمرابي فهو مثله . وفي حديث آخر : الربا سبعون ضرباً ، أيسرها مثل منْ ينكح أمه . وفي الحديث ايضــاً : أربعة حق على اللّه أن لا يدخلهم الجنة ، ولا يُذيقهم نعيمها : مدمن الخمـر ، وآكل الربا . وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه . ومن أنواع الربا الطعام بالطعام إلى أجل ، وبيع الذهب والفضة ، والفضة بالذهب ، والتفريق قبل القرض . أو بيع الملح بالطعام قبـل القرض . وفــي الحديث : الذهب بــالذهب والفضة بالفضة ، والبرّ بالبّر والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، يداً بيد وزناً ، وتزن كيلاً بكيل ، فمن زاد أو أستزاد فقد أربى الآخذ والمطعم . فإذا إختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم ، إذا كان يداً بيد ، ومنه القرض ، الذي يجر منفعته . وفي الحديث : كل قرض جر نفعاً فهو ربا ، وكذلك قلب الدين بالــدين ، على المعسر إذا كان في ذمته دراهم فيعجز عن وفائها فأسلمها عليه بطعام ، وهذا يشبه ربا الجاهلية ، وكذلك بيع العينة وهي حرام ، بأن كان عند

رجل سلعة فاشتراها منه إنسان إلى أجل ثم اشتراها منه صاحبها الذي باعها بنقد دون ثمنها . وأنواع الربا لا يمكن حصرها ، فيلزم المسلم الذي له معاملة أن يفهم أنواع الربا ودقائقه ، لئلا يقع فيه . والجاهل يسأل العالم . والخطر عظيم يسخط الرب ، ويمحق المال ، فأنتم استغيثوا بالله وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، وكذلك المكاييل والموازين ، وأنا ملزم لكل أمر بأن يحضر مكاييل بلده ، كبارها وصغارها وينظر فيها عن الخلل ، وتكون على مكيال واحد ، وكذلك تفعلون بالموازين وتتفقدون الناس كل شهر ، ولا يحل بخس المكيال والميزان ، ولو كانت المعاملة مع ذمي ، كما في الحديث : ادّ الأمانة إلى منْ ائتمنك، ولا تخن منْ خانك . وكذلك تتفقدون الناس عن المعاشر الرعية ، والذين يجتمعون على شرب التتن والنشوق به ، وكل أهل بلد لا بد أن يرتبوا مجالس الدرس في الجوامع ، فأن كانت خاربة فلا بد أن يعمروها ، والذي يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه الينا ، وأنا مطلق بالآمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذا كان عن علم ينصح اولاً ، ويؤدب ثانياً ، ومنْ عارضه من خاص أو عام فأدبه الجلاء عن وطنه ، وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف اللهّ ورسوله واليوم الآخر . وأنا أشهد الله عليكم إني بريء من ظلم منْ ظلمكم ، وأنا نصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، وأعزكم بعد القلة ، وآمنكم بعد الخوف بالإسلام أعطى الله ما رأيتم والسلام .

وهذه صورة مكاتبة فيصل بن تركي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى منْ يقرأه من المسلمين سلمهم الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فموجب الخط ابلاغكم السلام ، لازلتم في خير وعافية ، والذي أوصيكم به تقوى الله تعالى في الغيب والشهادة والعمل بما يرضيه ، وتجنب معاصيه والمعاداة والموالاة فيه . قال الله تعالى : تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وأتقوا الله ان الله شديد العقاب . وأهم الأمور تعلم ما فرض الله تعالى سبحانه من معرفة أصل دين الإسلام وأركانه وواجباته وجميع شرائعه ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة ، وقوام ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا بد في كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى : كنتم خير آمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون . وأنا ملزم كل منْ يخاف الله سبحانه وتعالى . ويرغب في الفلاح ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وان يكون الآخر مراعياِ للشروط في ذلك ، بأن يكون عليماً فيما يأمر به . عليماً فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به ، حكيماً فيما ينهى عنه ، رفيقاً فيما يأمر به ، رقيقاً فيما ينهى عنه .. وألزم كل أمير ان يكون عوناً لهم ، وهم خاصة في الحقيقة عون له على ما حمله الله تعالى من الأمانة . ويكون لديكم معلوما أن واضع الجوائز عن المسلمين الحادر (الباطن) والظاهر إذا كانوا معروفين بإداء الزكاة من اموالهم الظاهرة والباطنة . فهي راجعة إليهم على الوجه المشروع . إن شاء الله تعالى . والمطلوب منكم الإستقامة على هذا الدين ، والإجتماع عليه . وقد رأيتم ما في

الجماعة من المصالح العامة والخاصة ، وما في التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا اسأل الله تعالى ان يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ،

ومن مكاتبات فيصل بن تركي أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى منْ يصل إليه الكتاب من المسلمين وفقهم اللهّ تعالى بالتمسك بالدين . الذي بعث الله به جميع المرسلين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . فأن أجمع الوصايا وأنفعها الوصية بتقوى الله تعالى قال تعالى: ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم . وأن اتقوا الله . وتقوى الله ان يعمل العبد بطاعة الله تعالى على نور من الله . يرجو ثواب الله ، وأن يترك معصية الله على نور من الله ، يخاف عقاب الله . ومعظم التقوى والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة . وهو دين الرسل الذي بعثوا به إلى العالمين . وهو مبدأ دعوتهم لأممهم . وهو معنى كلمة الإخلاص : شهادة أن لا اله الا الله . فأن مدخولها نفي الشرك في العبادة ، والبراءة منه واخلاص العبادة.

قال الله تعالى : فأعبد الله مخلصاً له الدين ، الا لله الدين الخالص ، وقد بين الله تعالى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات . قال الله تعالى : وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين . فهذا معنى لا إله إلا الله . وقد عبر عنها بمعناها من النفي والإثبات . قال الله تعالى : وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة . والآيات في توحيد العبادة اكثر من أن تحصر ، وهذا التوحيد هو الذي جحدته الأمم المكذبة للرسل . كما قال تعالى عن قوم هود :

أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا . وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الأمة . قال الله تعالى : ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود الذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم . وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ، وأنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب . وأما مشركو العرب فاخبر الله تعالى عنهم : أنهم قالوا إجعل الآلهة إلهاً واحداً أن هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم أن أمشوا واصبروا على آلهتكم أن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، أن هذا إلا اختلاق واحتج عليهم تعالى بما أقروا به من توحيد الربوبية ، فأنه من أقوى الحجج فيما جحدوه من توحيد الآلهة . كما قال تعالى : قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم منْ يملك السمع والأبصار ، ومنْ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون . وأكثر الناس في هذه الأزمنة وقع منهم ما وقع ، من أولئك المشركين ، وهم يقرأون القرآن فعموا وصموا عن هذا التوحيد وأدلته التي هي أبين في قلب المؤمن من الشمس في وقت الظهيرة ، فيا من يدعي معرفة هذا التوحيد أعرف هذه النعمة وقدرها ، فأنها أعظم نعمة من الله . أنعم بها على من عرفها وعمل بها ولزمها فقابلوها بالشكر ، ولا تكفروها بالإعراض عنها واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك وأعلموا أنه قد غلط في هذا الطريق طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة . فما حصل لهم من العلوم إلا القشر . وقد حرموا لبه وذوقه . وقلدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل ، وضلوا عن سواء السبيل فيا لها من مصيبة ما أعظمها خسارة ، ما أكبرها . فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وأحذروا النفوس الأمارة ، وفتنة الدنيا والهوى ، فأن الأكثر قد افتتن بذلك ، وظنوا أنهم قد سلموا ، وما سلموا ، وتمنوا النجاة ، والتمني رأس مال المفلس نعوذ بالله من سخطه وعقابه ، وأنت ترى أكثر الناس معبوده دنياه ، لها يوالى وعليها يعادي ولها يحب ويبغض ويقرب ويبعد ،

قد استثقل بها خلق لأجله يمتهم بها . وقد ذم الله تعالى ذلك . كما قال تعالى عند ذكره قارون : إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة ، ولا تنسى نصيبك من الدنيا والصحيح أن الأيمان والعمل الصالح والإسلام والقرآن هي النعمة العظيمة ، والفرح بها محمود ومحبوب إلى الله قد أوجبه على عباده المؤمنين . كما قال تعالى :قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجتمعون .

فسر الأول بالقران ، والثاني بالإسلام ، وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم : فضل الله الإسلام ورحمته ، أن جعلكم من أهله ، فلا غناه لكم عن تعلم هذا التوحيد ، وحقوق من فرائض الله تعالى وواجباته . وأن يكون ذلك أكبر همكم ومحصل عملكم ومن أهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمس ، حيث ينادى لها . كما كان عليه رسول الله (ص) وأصحابه والتابعون ، ولذلك عمرت المساجد وشرع الآذان فيها ، كما قال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين فلابد في المحافظة من استكمال شروطها ، وأركانها وواجباتها ، فمن حفظها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع ، والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى : كما سبق في الآية جعلها الله تعالى طهرة للأنفس والأموال . وزيادة وبركة وحجاباً من النار . فألتزموا ما شرعه الله تعالى ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين وأركانه ، قال بعض السلف : أركان الإسلام عشرة : الشهادتان ، والصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر . والجهاد في سبيل الله ، والجماعة ، والسمع والطاعة. وهذه العشرة لايقوم الإسلام حق القيام إلا بجميعها ، والقرآن يرشد إلى ذلك جملة وتفصيلا ، كما قال الله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . وقال تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالله الله عباد الله في مراجع

دينكم ، الذي نلتم به ما نلتم من النعم ، وسلمتم من النقمة ، وقهرتم به منْ قهرتم ، فقوموا به حق القيام . فجاهدوا في اللهّ حق جهاده ، وعظموا أمره ونهيه ، وأعلموا بما شرعه . وتعطفوا على الفقراء والمساكين ، وآتوهم من مال اللّه الذي آتاكم كما قال تعالى : وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، ولا تكونوا كالذين نسوا اللّه ، فأنساهم أنفسهم . اولئك هم الفاسقون ، لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية اللّه ، وتلك الأمثال نضربها للناس . لعلهم يتفكرون ، فاقرأوا هذه النصيحة في جميع مساجد البلدان ، وانسخوها وأعيدوا قراءتها في كل شهرين ، وأعلموا أنكم مستقبلون عاماً جديداً ، فتوبوا إلى اللّه تعالى ، أن يوفقنا وإياكم اجمعين .

انتهى ما كتبه فيصل بن تركي ، كبير نجد أقول : لعل مراده بمشركي هذه الأمة ، الذين قلدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وغلطوا مع عملهم وعبادتهم ، غلاة الشيعة ، وجهلة أهل السنُّة ، فانه لما رأى علماءهم في نواحي الاحساء والقطيف ، ووقف على كتبهم المشحونة بالغلو ، في علي وأولاده رضي الله تعالى عنهم ، من كون علي كرم اللهّ وجهه يرزق ويحي ويميت ويفعل مايشاء ويختار ، وأنه مع اولاده الكرام يتصرفون في عالم الكون كما يشاءون . كما هو اعتقاد كثير منهم ، ورأى في نواحي العراق الركوع والسجود لقبور الأئمة والأولياء والطواف حولها وغير ذلك من الطاعات ، التي لا تليق إلا للّه تعالى . وظن ان جميع أهل العراق بهذا الاعتقاد حكم بكفرهم . الا أن حمل الجميع على ذلك من بعض الظن لأهل السنة والجماعة ، وكذا غير المغالين من الشيعة لا يعتقدون في الأولياء ذلك . والعياذ باللّه تعالى ، إلا أنهم يقولون : نتوسل إلى اللّه تعالى بقرب الأولياء إليه تعالى ، فهو من باب الاستشفاع بهم إلى اللّه تعالى ، لا من باب الاعتقاد بأن الولي هو المعطي . والعياذ باللّه تعالى . ولا بأس بالتوسل بالكرام عند اللّه تعالى إليه ، بل هو يُستحب كما ورد عن النبي (ص) : انه قال لعمر بن

الخطاب رضي الله عنه حين اراد الاعتمار لا تنسانا يا أخي من دعائك . فأنه تشريع للأمة بطلب التوسل إلى الله تعالى في إجابة الدعاء . وإلا فعمر رضي الله عنه هو الذي يحتاج إلى التوسل بالنبي (ص) . كما هو ظاهر . وقد ثبت أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حين يستسقي يتوسل بالعباس عم النبي ويسقون ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، غايته . أن العوام قد تقع منهم عبارات مبهمة ممنوعة شرعاً . ومع ذلك فقد ركز في قلوبهم وطبائعهم أن المؤثر في الاشياء كلها هو الله تعالى .

نعم ، أن بعض العوام قد يعتقدون في الأولياء ما يمنع الشرع ، ويؤول إلى الشرك . والعياذ بالله تعالى . ولا سيما عوام النساء . فمنع أمثال هؤلاء عن الأولياء من أهم الأمور الدينية ، وكذا يمنع تزيين قبب الأولياء بالذهب والفضة ، فأن الشارع نهى عن ذلك ، وقال كما في الصحيح : اولئك شر الناس يوم القيامة وأما نبأ أصل القبب على القبور فهو مكروه . كما نص عليه الفقهاء . على أن نبأ القبب المزخرفة بالذهب على قبور الصالحين يكون سبباً لفتنة العامة ، وسوء اعتقادهم ، وهذا لا ينافي سنُّية زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء وسائر المؤمنين . وأما قوله (ص) لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، مسجدي هذا والمسجد الحرام . والمسجد الأقصى . فليس المراد منه أنه لا يجوز شد الرحال إلى مكان من الأمكنة إلا إلى أحد هذه المساجد الثلاثة ، وإلا لزم عدم شد الرحال إلى مكان من الأمكنة لمصلحة من المصالح ، وهو باطل ضرورة ، بل المراد أنه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد التي في البلاد للعبادة فيه . إلا إلى أحد هذه المساجد لتساوي المساجد في الفضيلة . فشد الرحال إلى بعض دون بعض يستلزم الترجيح لامرجح . وقد تقرر عند علماء العربية أنه يجب ، في الاستثناء المفرغ ، ان يقدر المستثنى منه مقايساً للمستثنى في جنسه القريب وصفته فيقدر في ما كسوته لباساً إلا جبة ، فعلى هذه القاعدة في الحديث المذكور ، وقد

دل على جوازه قوله (ص) منْ زارني وجبت له شفاعتي ، وقوله (ص) كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها .

وروى ابن أبي شيبة أن النبي (ص) كان يأتي قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول ، فيقول : السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . وقد أطبق العلماء الأعلام من أئمة الشافعية وغيرهم على جواز ذلك . إلا من شذ من بعض المتعصبين ، كابن تيمية ، فأنه مع كونه من الحفاظ قد خالف الإجماع في بعض المسائل قال المحقق ، أفضل المعاصرين ، السيد ابن عابدين الدمشقي طاب ثراه ، في كتاب " الجنائز من حاشية الدر المختار " : وهل تندب الرحلة لها ؟ كما اعتقد من الرحلة إلى زيارة خليل الرحمن وأولاده ، والسيد البدوي وغيره من الأكابر الكرام ، ولم أرَ منْ صرح به من أئمتنا ، ومنع بعض أئمة الشافعية إلا لزيارته (ص) ، قياساً على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة ، ورده الغزالي ، بوضوح الفرق فإن ما عدا تلك المساجد الثلاثة ، مستوية في الفضل ، فلا فائدة في الرحلة إليها وأما الأولياء فأنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ، ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم .

قال ابن حجر في فتاويه : ولا تُترك ، لما يحصل عندها من المنكرات والمفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك ، لأن القربات لا تُترك لمثل ذلك ، بل على الإنسان فعلها ، وانكار البدع ، بل وازالتها أن أمكن . أنتهى ، قلتُ : ويرده ما مر من عدم ترك اتباع الجنازة . وأن كان معها نساء ونائحات تأمل ، إنتهى ما ذكره ابن عابدين . أقول : لعل وجه الأمر بالتأمل أن قياس الزيارة مع المفاسد والمنكرات على اتباع الجنائز ، مع النساء والنائحات ، قياس مع الفارق ، فتصبر والذي حملني على توجيه كلام فيصل بن تركي كبير نجد بما ذكرناه سابقاً ، أنه من أهل السنُّة والجماعة ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ،

ومذهب احمد استحباب زيارة القبور ، كما هو مقرر من كتب الحنابلة ، كالمنتهى والعمدة وغيرهما ، وثبوت كرامات الأولياء عندهم . والتوسل بهم إلى الله تعالى ، بمعنى أن يسأل من الله تعالى بحرمة الولي قضاء الحاجة . والاستشفاع بالأنبياء والمرسلين لا بمعنى أن النبي أو الولي هو المؤثر إذ لا مؤثر إلا الله تعالى ، كما هو مذهب كافة أهل السنَّة والجماعة من المذاهب الأربعة ، وحمل كلام أمثاله على حسن من لوازم ذمة أهل الدين ، من ذوي الإنصاف . على أنه قد حدثني ، الثقة الكريم ، محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب العائدي النجدي، بأن فيصل المذكور كان من العلماء العابدين الزاهدين ، وكان يقوم الليل كله بالصلاة وقراءة القرآن ، وكان رحيماً رؤوفاً بالناس ، غير مائل إلى سفك الدماء وحينئذ فلا بد من حمل كلامه على وجه حسن ، وهو لم يدع الأجتهاد . بل قلد الأمام أحمد بن حنبل ، والفتوى والحكم في بلاده على مذهب ابن حنبل ، وكيف يدعي الأجتهاد ، هو أو قاضيهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مع تقليدهم للأمام احمد بن حنبل رضي الله عنه !

نعم ، افتوا ببعض فتاوى ابن تيمية ، التي خالف بها جمهور الحنابلة مع كونه منهم ، وهذا ليس من باب الدعوى إليه ، ليس من الإنصاف وحق المسلم أن يحمل كلام أخيه المسلم على وجه حسن ، فأن حسن الظن بالمسلمين من شمائل أرباب القلوب السليمة ، وسوء الظن من سجايا القلوب السقيمة.

نعم ، أن الأوائل من آل سعود كانوا على سوء اعتقادهم ، بدليل منع الحاج ، هذا وباب الاجتهاد قد انسد من القرن الرابع ، بل من أواخر القرن الثالث ، وقد نشأ في هذه الأمة علماء فحول ، جمعوا بين المنقول والمعقول ، وتحروا في جميع العلوم ،. ولم يدعوا الاجتهاد ، بل قلدوا الأئمة الأربعة لفقد شروط الاجتهاد فيهم ، مع جلالتهم وعلو قدرهم ، ووفور اطلاعهم على الكتاب

والسنة . وكثرة تآليفهم الباهرة : كالربيعي ، والبويطي ، والمرادي ، والمزني ، والقفال ، الشيخ أبي حامد شيخ العراقين ، وإمام الحرمين ، وجنيد البغدادي ، وحجة الاسلام الغزالي ، والشيخين الرافعي والنووي ، والفخر الرازي ، وأبو اسحاق الشيرازي ، والبغوي ، والسبكي ، والبيضاوي ، والعسقلاني ، والزركشي ، والاسنوي ، والماوردي ، والبيهقي ، والتفتازاني ، والمناوي ، والقسطلاني ، والمحلي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وصاحب القاموس والصحاح ، والعلامة ابن حجر ، والعلامة الرملي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين من أصحاب الأمام الشافعي رضي الله عنه ، الذين لا يحصي عددهم إلا الله تعالى . ومن أصحاب الأمام أبي حنيفة رضي الله عنه الأمام أبو يوسف ، والإمام محمد أبي الحسن الشيباني ، والكرخي ، وأبن المبارك والحسن بن زياد ، وزفر ، والسرخشي ، وشمس الأئمة الحلواني ، وقاضي خان وصاحب الهداية ، والقدوري، وصدر الشريعة ، والطحاوي ، وابن الهمام ، والسيد الشريف الجرجاني ، والزمخشري ، والزاهدي والباقلاني ، وابن نجيم ، والعيني ، والديلمي ، وصاحب النهر المختار ، وصاحب الدرر ، والشربنلالي ، والمحقق عبد الحكيم الهندي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، الذين لا يحصى عددهم . ومن أصحاب الأمام مالك رضى الله عنه : كالخليل وعبد الوهاب ، وابن الحاجب ، وبهرام الزرقاني ، ومحي الدين العربي ، والقيروان ، والدردير ، وابن عاشور أبي الحسن الشاذلي . وأبي زيد ، وابن عبد البر ، وابن بسام ، وابن خلدون ، وابن بطال شارح البخاري، والبرزل ، وابن الطيب وغيرهم من علماء الاندلس ، وسائر بلاد المغرب من المتقدمين والمتأخرين ، والذين لا يحصى عدهم ومن أصحاب الأمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : القطب السيد عبد القادر الكيلاني قدس سره وابن قدامـــه ، وابن الجوزي ، وابن تيمية ، وصاحب المنتهى ، وابن رجب ، ومرعي ، وشارح الإقناع والمنتهى ، وابن البهوتي هشام . والطوفي ، والبعلي ، والقنوجي

والمرداوي ، وشارح الغاية ، والتغلبي ، والشريكي . وشهاب الدين العسكري . وابن عطوة التميمي ، والحجاوي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، الذين لا يحصون وكل من هؤلاء الأعلام قد بلغ من مراتب العلوم النقلية والعقلية غاية التحقيق والامعان ، وملأت تآليفهم المفيدة الآفاق ، ومع ذلك لم يدع أحد منهم الاجتهاد المطلق ، بل هو في ربقة التقليد للأئمة الأربعة العظام . وهؤلاء المذكورون بالنسبة إلى العلماء المقلدين للأئمة الأربعة ، الذين تركنا ذكرهم لعدم الإحاطة ببيانهم لوفور كثرتهم ، كشذرة من شذرات (نحر) بل كقطرة من قطرات بحر ، ومن راجع كتب الطبقات التواريخ فقد علم بعض مقدارهم ، وكلهم في ربقة التقليد ، وهذا من أعظم الدلائل على جلالة قدر الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وعلو منزلتهم في العلم ، ولشرفهم وكرامتهم فهم أئمة الهدى . وأعلام التقى جزاهم الله عنا خير الجزاء وشكر سعيهم . وأما منع فيصل شرب التتن فهو مبني على ما ذهب إليه بعض الفقهاء من التحريم ، والخلاف فيه شهير ، والكثيرون على إباحته ، اذ لم يرد نص في حرمته ، والأصل في الأشياء الإباحة ، ما لم يرد دليل الحرمة ، ولا دليل عليها . والقياس ليس من وظيفتنا ، معاشر علماء النقل ، فأن العالم في هذه الأزمنة منْ فهم كلام العلماء المتقدمين وكتبهم . وله الفخر بذلك ودعوى الاسكار في التتن مكابرة وتعصب ، كما لا يخفى على من شربه ولاحظ وجدانه .

هذا وقد حدثني . الثقة النجيب ، محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب العائذي النجدي ، بأنه كتب الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب إلى العالم العامل الفاضل الكامل الزاهد الكريم ابن فيروز الاحساني الحنبلي . قوله تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله " الآية . فكتب ابن فيروز إليه : " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد " الآيات ، فكتبوا إليه يتوعدونه بالقتل . فهرب ابن فيروز إلى البصرة ،

وتوطن بها وانتفع به كثير من أهل العلم كالفضل الشيخ عثمان بن سند ، والكامل المعمرالشيخ احمد الجامع وغيرهما ، وكان الشيخ ابن فيروز من أكابر العلماء العاملين ، وكان صوفي المشرب . (وكان) ذا ثروة يطعم طلبة العلم من ماله ، كريم الأخلاق والسجايا ، وهو من المشاهير في نواحي نجد والبصرة رحمه الله تعالى ، وكان ممن يقتدى به في نواحي نجد قبل ظهور العلماء المتعصبين فإن قصد فيصل المذكور بقوله . وقد غلط في هذا الطريق طوائف ، لهم علوم وزهد وورع وعبادة . فما حصل لهم إلا القشور . وقد حرموا لبه وذوقه . وقلدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل . وأضلوا كثيراً . وضلوا عن سواء السبيل . العالم العامل الشيخ محمد ابن فيروز وأمثاله من علماء الاحساء ونجد ، فهو غلط منه عفى الله عنه، لأن ابن فيروز من علماء الحقيقة ، وقد ذاق لب العلوم والمعرفة بالله تعالى ، اللهم إلا أن يُقال لا عبرة بأمثال هذا الكلام الصادر بين العلماء . لأن منافسات أهل العلم وتجرؤ بعضهم على بعض بسوء المقال ، مما شاع وذاع ، عفا الله تعالى عنا وعنهم ، وليس غرضي من هذا الكلام كله إلا رفع الخلاف من البين ، وحمل كلام إخواننا المسلمين على وجه حسن مهما أمكن ، لأن العارف من نطق بالحكمة ، والله تعالى الموفق .

الباب السادس

في بيان علماء نجد
وبعض الحوادث الواقعة فيه

فأشهر علماء نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سلمان بن علي بن أحمد إبن راشد بن بريدة بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضادر بن ريس بن زاخر بن محمد بن عامور بن وهيب التميمي النجدي ، الذي تنتسب إليه الوهابية ، والنسبة إنما هي إلى الشيخ محمد ، لأنه الذي شيد أركان الوهابية دون ابيه ، بل خالف أباه المذكور ، ووقع بينهما جدال . كما سياتي إن شاء الله تعالى فنسبت إلى عبد الوهاب مجازاً . وابتداء أمر الشيخ محمد المذكور أنه نشأ في بلد العينية من بلاد نجد في حجر أبيه ، الشيخ عبد الوهاب بن سليمان القاضي في بلد العينية ، في زمن عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر المشهور صاحب العينية التي تزخرفت في أيامه ، وذلك قبل انتقال الشيخ عبد الوهاب الى بلد حريملة من بلاد نجد . فقرأ الشيخ محمد على أبيه الشيخ عبد الوهاب الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وكان الشيخ محمد المذكور في صغره كثير المطالعة ، لكتب التفسير والحديث والعقائد ، وأظن كثرة مطالعة الكتب بدون مراجعة العلماء الأسانيد والأخذ عنهم هو الذي حمله على التعصب ، الذي شاع عنه ، فأن العلم بالتلقي والإستقلال في الرأي يوقع في المهالك ، ومخالفة الجمهور ، وخرق الإجماع . فصار ينكر على أهل نجد كثيراً

من الأمور ، فلم يسعفه على ذلك أحد . وان استحسن إنكاره بعض الناس ، فسافر من بلد العينية إلى حج بيت اللّه الحرام ، فلما قضى نسكه سار إلى المدينة المنورة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فأخذ فيها عن الشيخ العالم عبد الله بن ابراهيم بن يوسف من آل سيف ، رؤساء بلد المجمعة المعروفة في ناحية سدير من نجد ، والشيخ عبد اللّه المذكور هو والد الشيخ ابراهيم مصنف كتاب العذب الفائض في علم الفرائض وأنكر الشيخ محمد المذكور إستغاثة الناس واستشفاعهم بالنبي (ص) عند قبره المنور ، ولم يتنبه لكونه (ص) هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى اللّه تعالى ، في الدنيا والآخرة . وأنه لا فرق في الإستشفاع به (ص) في الدنيا والآخرة . وفي حياته وبعد مماته ، والكل على حد سواء ، وقد أطبق جمهور الأعلام على انه (ص) يرزق في قبره وأنه حي .

وورد أنه تعرض عليه أعمال أمته ، وما المانع من ذلك ، وما المحذور واللّه الموفق للصواب ، ثم رحل من المدينة المنورة إلى نجد ، ثم رحل إلى البصرة يريد الشام ، فلما وصل إلى البصرة أقام فيها مدة ، وأخذ فيها عن العالم الشيخ محمد المجموعي . من أهل المجموعة ، محلة من محلات البصرة ، فأنكر أيضاً أشياء كثيرة على أهل البصرة ، فأحس الناس به ، فآذوه وأخرجوه من البصرة ، وقت الهجيرة ، ولحق بعض الأذى بالشيخ محمد المجموعي أيضا ، لمآواته للشيخ محمد النجدي المذكور ، فلما خرج محمد بن عبد الوهاب النجدي هارباً من البصرة وتوسط الطريق فيما بين البصرة وبلد الزبير رضي اللّه عنه وقت الصيف في شدة الحر ، وكان ماشياً على رجليه كاد ان يهلك من شدة العطش ، فوافاه رجل من أهل بلدة الزبير يُقال له أبو حميدان ووجده من أهل العلم ، وسقاه الماء وحمله على حماره حتى أوصله إلى بلد الزبير رضي اللّه عنه ، ثم أن الشيخ محمد النجدي المذكور أراد السفر فضاق زاده ، فأنثنى عزمه عن المسير إلى

الشام ، فقصد الاحساء ، فنزل بها عند الشيخ العالم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي . ثم خرج من الاحساء وقصد بلد حريملة من بلاد نجد ، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب قد انتقل إليها من بلد العبينة في سنة تسع وثلاثين ومائة والف ، بعد وفاة عبد الله بن معمر صاحب العبينة ، بالوباء الذي وقع في العبينة ، فأفناها وتولى فيها بعده ابن ابنه محمد بن أحمد الملقب بخرفاش ، ووقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب منازعة ، فعزل الشيخ عبد الوهاب عن قضاء بلد العبينة وجعل مكانه أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد الله النجدي قاضياً فانتقل الشيخ عبد الوهاب إلى بلد حريملة ، ولما وصل الشيخ محمد إلى بلد حريملة لازم أباه الشيخ عبد الوهاب وقرأ عليه ثانياً . وأظهر الإنكار على أهل نجد في عقائدهم ، فوقع بينه وبين أبيه الشيخ عبد الوهاب المذكور منازعة وجدال ، وكذلك وقع بينه وبين الناس في بلد حريملة جدال كثير ، فأقام على ذلك مدة سنين حتى توفي أبوه الشيخ عبد الوهاب رحمه الله تعالى سنة ثلاث وخمسين ومائة والف.

ثم أعلن محمد بن الشيخ عبد الوهاب بالدعوة والإنكار على الناس . وتبعه الناس من أهل حريملة ، وأشتهر بذلك ، وكان رؤساء بلد حريملة قبيلتين ، أصلهما قبيلة واحدة ، وكل منهما يدعي الرئاسة ، وليس في البلد رئيس يحكم على الجميع، وكان لاحدى القبيلتين عبيد يُقال لهم الحميان ، وهم من ذوي الكثرة والفساد، فأراد الشيخ محمد المذكور منعهم عن الفساد والفسق . وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، فهم العبيد ليلاً بقتل الشيخ المذكور خفية ، فلما تسوروا عليه من وراء الجدار علم بهم بعض الناس ، فصاحوا بهم وهربوا .

فأنتقل الشيخ محمد من حريملة إلى بلد العبينة ، ورئيسها يومئذ عثمان ابن حمد بن معمر ، فتلقاه بالقبول وأكرمه ، وحاول نصرته ، وقال لعثمان المذكور:

أنا أرجو إن أنت أستقمت بنصر لا إله إلاالله أن يظهرك الله تعالى ، وتملك نجداً وأعرابها ، فساعده عثمان ، فأعلن الشيخ محمد بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشدد في النكير على الناس ، فتبعه بعض أهل العبينة ، وقطع أشجاراً كانت تعظم في تلك النواحي ، وهدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه عند بلد الجميلة ، فعظم أمره فبلغ خبره إلى سليمان بن محمد بن عزيز الحميدي، صاحب الاحساء والقطيف وما حوله من العربان ، فأرسل سليمان المذكور كتاباً إلى عثمان وكتب فيه أن المطوع الذي عندك قد فعل ما فعل ، وقال ما قال ، فإذا وصلك كتابي فاقتله ، فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذي عندنا في الاحساء ، وكان خراجه ألفاً ومائتين ذهباً وما يتبعها من الطعام والكسوة . فلما ورد الكتاب إلى عثمان لم تسعه مخالفته فأرسل إلى الشيخ محمد وأخبره بكتاب سليمان ، وقال لـه : لا طاقة لنا بحرب سليمان ، فقال له الشيخ محمد : إنك إن نصرتني ملكت نجداً ، فأعرض عنه عثمان ، وأرسل إليه ثانياً ، بأن سليمان قد امرنا بقتلك ، ولا نستطيع مخالفته ، ولا طاقة لنا بحربه ، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا . فشأنك ونفسك ، وخل بلادنا .

فأمر فارساً يُقال له الفريد بإخراجه من البلد ، فركب الفارس جواده ، والشيخ يمشي على رجليه أمامه ، وليس معه إلا المروحة وذلك في غاية الحر في فصل الصيف ، فهمَّ الفارس بقتله في الطريق ، فكف الله يده عنه ، لما أصابه من الرعب والخوف العظيم ، وخلى سبيل الشيخ .

قيل إن عثمان بن معمر هو الذي أمر الفارس بقتل الشيخ عند قبر أخيه وكذب بعضهم ذلك ، فسار الشيخ محمد إلى الدرعية ، وكان ذلك في سنة الألف ومائة وستين . ووصل إليها وقت العصر ، فنزل في بيت عبد الله بن سويلم العزيبي ، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره ، وخاف على نفسه من محمد بن

سعود ، صاحب الدرعية ، فوعظه الشيخ وأسكن جأشه وروعه . قال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً فاستقر فأراد أن يخبر محمد بن سعود بحاله ، ويرغبه في نصرته فالتجأ إلى أخويه : مشاري وثنيان ولدي سعود ، وزوجته موضى بنت أبي وهطان من آل كثير وكانت ذات عقل وفهم ، فأخبروها بحال الشيخ وصفته من الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقذف الله محبة الشيخ في قلبها فأخبرت زوجها محمد بن سعود بحاله ، وقالت له أن هذا الرجل أتى إليك ، وهو غنيمة وأغتنم نصرته ، فقبل قولها وألقى الله تعالى محبته في قلبه ، ورغبوا محمد ابن سعود ، فلما دخل عليه في بيت ابن سويلم رحب به ، وقال : ابشر بالخير والعز والمنعة ، فقال له الشيخ : وأنا ابشرك بالعز والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد، وهذه كلمة لا إله إلا الله ، منْ تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد ، وهي كلمة التوحيد ، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دعا إليه ، وما عليه أصحابه رضى الله عنه من بعده ، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى ، وبأن كل بدعة ضلالة ، واخبره أيضاً بما عليه أهل نجد من البدع والجور والإختلاف والظلم .

فلما تحقق محمد بن سعود المصالح الدينية والدنيوية فيما ذكره الشيخ قبل ذلك وقال له : أيها الشيخ إن هذا دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، الذي لا شك فيه ، فابشر بالنصرة لما أمرت به من الجهاد مع منْ خالفك ، ولكن أشترط عليك شرطين : الاول : إنا إذا قمنا بنصرتك ، والجهاد في سبيل الله تعالى ، وفتح الله لنا البلاد فلا ترحل عنا ، ولا تستبدل بنا غيرنا ، والثاني : ان لي على أهل الدرعية خراجاً آخذه منهم وقت الثمار ، فلا تمنعني عن أخذه منهم فقال له الشيخ : أما الأول ، فأمدد يدك ، فمدها وقبضها ، وقال له : الدم بالدم والهدم بالهدم ، وأما الثاني ، فلعل الله تعالى أن يفتح لك الفتوحات . فيعوضك

من الغنائم ما هو خير منه ، فبايع محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى إقامة الشعائر ، فقام الشيخ ودخل معه البلد ، فلما أستقر بالدرعية أتى إليه من البلاد منْ كان ينتسب إليه من رؤساء المعامرة وغيرهم ، وهاجر إلى الدرعية ممنْ حول عثمان بن معمر من الناس لما علموا نصرة الشيخ فلما علم عثمان بن معمر صاحب العبينة ان محمد بن سعود قد نصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأن أهل الدرعية أيدوه وأن أمره قد تأيد ندم على ما فعل ، من إخراج الشيخ محمد من الاحساء ، وعدم نصرته وخاف على نفسه من عواقب الأمور . فركب مع عدة رجال من أهل العبينة ورؤسائها ، وسار إلى الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الوهاب ، فلما قدم على الشيخ المذكور جادله على الرجوع معه ، ووعده بالنصرة . فقال الشيخ الأمر مفوض إلى محمد بن سعود فإن رخصني على الرجوع معك فقد ذهبت معك ، وإن أراد الإقامة عنده أقمت ، ولا أستبدله بغيره ، وقد تلقاني بالترحيب والقبول والنصرة إلا ان يأذن لي . فأتى عثمان بن معمر إلى محمد بن سعود يسترخص للشيخ في الذهاب ، فأبى عليه ، ولم يجد عثمان إلى ما أتى إليه سبيلاً ، فرجع إلى بلده وندم ندماً عظيماً ، وكان أهل الدرعية ، يومئذ في غاية الضيق والحاجة ، وكانوا يحترفون لأجل معاشهم ، ومع ذلك فقد كانوا يجتمعون في مجلس الشيخ لسماع الحديث والوعظ ويلازمون على ذلك .

قال ابن بشر النجدي : ولقد شاهدت ضيقهم في أول الأمر ، ثم الدرعية بعد ذلك في زمن سعود ، وما عند أهلها من الأموال الكثيرة ، وكثرة الرجال والأسلحة المحلاة بالذهب والفضة ، والخيل الجياد ، والنجائب العمانيات ، والملابس الفاخرة وغير ذلك من أسباب الثروة التامة ، بحيث يعجز عن عده اللسان ، ويكل من تفصيله البيان . ونظرت إلى موسمها يوماً في الموضع المعروف بالباطن فوجدت موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب آخر ، فرأيت من

الذهب والفضة والأسلحة ، والأبل والغنم والخيل ، والألبسة الفاخرة ، واللحم والحنطة ، وسائر المآكل ، ما لا يمكن وصفه والموسم ممتد مد البصر ، وكنت اسمع أصوات البائعين والمشترين ، وقولهم : بعتُ واشتريتُ كدوي النحل ، فسبحان منْ لا يزول ملكه ، إنتهى كلام ابن بشر .

ولما استوطن الشيخ محمد في الدرعية ، وكان أهلها في غاية الجهالة ، والتهاون في الصلاة والزكاة ، وشعائر الإسلام علمهم الشيخ المذكور معنى لا إله إلا الله ، وأنها نفي وإثبات ، فلا إله ينفي جميع المعبودات ، وإلا الله يثبت العبادة لله وحده لا شريك له ، ثم علمهم أصولاً وهي : معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته ، والهيته كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، وسائر الأدلة : كالقرآن ، ومعرفة الإسلام ، وأن تسليم الأمر لله تعالى والأنقياد لأمره ، والانزجار عن مناهيه ، ومعرفة أركان الاسلام الذي بني عليها وما عليها من الأدلة : كالقران ، ومعرفة النبي (ص) واسمه ونسبه ومبعثه وهجرته ، ومعرفة أول ما دعا إليه ، وهو كلمة لا إله إلا الله ، ومعرفة البعث ، وان منْ أنكره أو شك فيه فهو كافر . وما على ذلك من الدلائل ، ومعرفة دين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، وهو التوحيد وسائر العبادات ، وبالغ في منع الإستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأمثالها . فلما استقر ذلك في قلوبهم بعد الجهالة تشرب في قلوبهم حب الشيخ المذكور ، ثم أن الشيخ كتب إلى أهل بلاد نجد ، وإلى رؤسائهم وقضاتهم بطلب الطاعة والانقياد ، فمنهم منْ أطاعه ومنهم منْ عصاه ، واتخذه سخرية واستهزأ به ، ونسبه إلى الجهل وعدم المعرفة ، ومنهم منْ نسبه إلى السحر ، ومنهم منْ رماه باشياء قبيحة . ثم أمر الشيخ أهل الدرعية بالمقاتلة معهم ، فأمتثلوا أمره ، وقاتلوه أهل نجد والاحساء دفعات كثيرة ، إلى أن ادخلوهم في طاعتهم وحصلت إمارة نجد وقبائلها جميعاً لآل سعود بالغلبة . وكان الشيخ كثير العطايا ، بحيث كان يهب

غنيمة الجيش مع كثرته إلى رجلين أوثلاثة ، وكانت الغنائم تسلم بيده ، ثم هو يضعها حيث شاء ويعطيها إلى منْ يشاء ، ولا يأخذ أمير نجد شيئاً من ذلك ، إلا بأمره ، ولا يصدر جيش ولا يكون رأي للأمير إلا بقوله ورأيه ، وكانت طاعة أهل نجد للشيخ المذكور كطاعة القوم وانقيادهم لأمره ، وهو من الاتفاقات العجيبة ، وهو عندهم بمنزلة الأئمة الأربعة رضى الله عنهم إلى الآن ، وإذا ذكره أحد بسوء قتلوه ، ولما فتحوا الرياض من بلاد نجد ، واتسعت بلادهم ، وأمنت الطرق ، وانقاد لهم كل صعب فوض الشيخ المذكور أمور الناس وأموال الغنائم إلى عبد العزيز الأمير ، وإنسلخ الشيخ وتفرغ للعبادة وتعليم العلم ، ولكن لا يقطع عبد العزيز الأمير ولا أبوه أمراً ولا ينفذ حكماً إلا بإذن الشيخ عبد الوهاب.

توفي الشيخ محمد في سنة الألف ومائتين وستة ، وهي السنة التي غزا فيها سعود بن عبد العزيز ناحية جبل شمر ، وأخذ أهله ، وكسب منهم أموالاً كثيرة منها ثمانية آلاف بعير ، وقتل منهم عدة رجال ، فأخرج خمسها ، وقسم الباقي على جيشه ، وكان الشيخ محمد المذكور من بيت العلم في نواحي نجد ، وكان ابن الشيخ عبد الوهاب عالماً فقيها ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وكان قاضياً في بلدة العبينة ، ثم في بلد حريملة ، وذلك في أول القرن الثاني عشر الهجري ، وله معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما ، وله سؤالات وجوابات وكان والد الشيخ عبد الوهاب الشيخ سليمان فقيهاً ، أعلم علماء نجد في زمانه ، وله اليد الطولى في العلم ، وانتهت إليه رئاسة العلم في نجد صنف ودرس وأفتى إلا أن الشيخ محمد لم يكن على طريق أبيه الشيخ عبد الوهاب ، وجده الشيخ سليمان ، بل كان شديد التعصب ، كثير الإعتراض على العلماء ، وكان يجوز قتال من خالفه ، بل يعتقد كفره ، ويسمي قتال المسلمين المخالفين له جهاداً في سبيل الله تعالى ، ويجعل أموالهم كغنائم الكفار ، ويمنع من قصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغاثة والإستشفاع به صلى الله عليه وسلم إلى الله

تعالى ، وسائر الأنبياء والأولياء ، وغير ذلك مما أطبق الجمهور على جوازه ، إلا منْ شذ كامثال ابن تيمية ، والمشهور عنه أنه كان يدعي الاجتهاد المطلق والظاهر ما ذكرناه سابقاً من أنه كان يفتي بأقوال ابن تيمية من الحنابلة ، ولا يعتقد بخلاف أقواله وبالجملة ، أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكان يعلم الناس أحكام الصلاة ، وسائر أركان الدين ، ويأمر الجماعات . وقد سعى غاية السعي في تعليم الناس و حثهم على الطاعة ، وأمرهم بتعليم اصول الإسلام وشرائطه ، وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها ، وسائر أحكام الدين وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين في معرفة اللهّ تعالى ومعرفة دين الإسلام ، ومعرفة أركانه ، وما ورد عليه من الأدلة ، ومعرفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ومبعثه وهجرته ، وأول ما دعا إليه من كلمة التوحيد ، وسائر العبادات التي لا تبتغي إلا الله تعالى كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والانابة وغير ذلك . فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلاً بأحكام الدين ، بل كلهم تعلموا ذلك إلى اليوم ، بعد ان كانوا جاهلين بها ، إلا الخواص منهم . وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة ، إلا أنه بالغ في بعض الأمور ، وحمل الناس على اعتقاد عدم الشرك فيما خالفه ، وحثهم على قتال المخالفين له ، وأحل أموالهم وجعل قتالهم جهاداً في سبيل الله تعالى . وصار سبباً لأظهار هذه البدع الواهية ، والفتن العظيمة وقد صنف الشيخ المذكور ابن الشيخ عبد الوهاب عدة تصانيف ، منها : كتاب التوحيد ، وتفسير القرآن ، وكتاب الشبهات ، وغير ذلك من الرسائل والفتاوى الفقهية والاصولية . أخذ عنه عدة مشايخ ، منهم أبوه الشيخ عبد الوهاب ، والشيخ محمد ابن حياة السندي المدني ، والشيخ عبد الله بن سيف

وغيرهم .

وقد أخبرني والدي ، رحمه الله تعالى ، أنه قدم إلى بغداد ، وأخذ أيضاً عن العلامة النحرير جدي السيد صبغة الله الحيدري طاب ثراه ، ولما رجع جدي العلامة السيد أسعد الحيدري من مكة على طريق الدرعية ، اجتمع به في الدرعية واحترم جدي المذكور غاية الإحترام ، وأعزه وأكرمه سعود إكراماً لائقاً وجلس جدي في الدرعية مقدار ثلاثة أشهر . ثم حملوه بالإحترام والاكرام إلى البصرة وأخذ عن الشيخ عدة علماء منهم ، أولاده الأربعة : الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله والشيخ علي ، والشيخ إبراهيم . فأما الشيخ حسين فهو خليفة من بعده ، والقاضي في بلد الدرعية ولحسين المذكور عدة اولاد علماء وهم علي وحمد وحسن وعبد الرحمن ، وعبد الملك . وأما الشيخ علي بن الشيخ محمد فكان عالماً في الاصول والفروع ، والحديث ، والفقه ، والتفسير ، وكان قاضيا في حوطة بني تميم ، ثم ولي القضاء في الرياض ، في أيام فيصل بن تركي . وأما الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد فكان عالماً جليلاً ، وله مصنفات عديدة ، وهو الخليفة بعد اخيه حسين ، ولي قضاء الدرعية في زمن سعود وابنه عبد الله ، وأما الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد فكان عالماً أيضاً ، ولكن لم يول القضاء بن حسين فقد كان فقيهاً ولي القضاء في الرياض في زمن تركي . وعبد الرحمن ابن حسن كانت له المعرفة في الفقه والتفسير والنحو وغير ذلك ، ولي القضاء في ناحية الخرج ، في أيام تركي وفيصل وأما حمد وعبد الملك فكانا من طلبة العلم ، وأهل الذكاء والمعرفة . وأخذ عن الشيخ محمد المذكور ابن ابنه ، العالم الفاضل ، الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ، وقد ولي قضاء الدرعية في زمن سعود ، وابنه عبد الله أخذ العلم عن جده في صغره ، وأخذ عن الشيخ محمد

المذكور ، والعالم الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان بن معيمر قاضي الدرعية ، في زمن سعود . والشيخ العالم الورع الزاهد عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري ، وقاضي ناحية الوشم ، في زمن عبد العزيز وابنه عبد الله ، والشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجي قاضي حوطة بن تميم ، في زمن عبد العزيز وابنه سعود . والشيخ العالم محمد بن سويلم ، قاضي بلد الدلم وناحية الخرج ، في زمن عبد العزيز وابنه سعود . والشيخ العالم عبد الرحمن بن خميس قاضي الدرعية في زمن عبد العزيز وابنه سعود . والشيخ عبد الرحمن بن تامي قاضي بلد العبينة ، ثم صار قاضياً في الاحساء ، في زمن سعود وابنه عبد الله والشيخ العالم محمد بن سلطان العوسجي قاضي المحمل ، ثم صار قاضيا في الاحساء في زمن سعود . والشيخ العالم عبد الرحمن بن عبد المحسن ، القاضي في بلد حريملة وبلد الزلفى ، في زمن سعود وابنه عبد الله ، والشيخ العالم حسن بن عبد الله بن عيدان ، قاضي حريملة ، في زمن عبد العزيز والشيخ العالم عبد العزيز بن سويلم ، قاضي ناحية القصيم ، في زمن عبد العزيز ، وابنه سعود ، وحفيده عبد الله والشيخ العالم حمد بن راشد العربي . قاضي ناحية سدير ، في زمن عبد العزيز فهؤلاء كلهم أخذوا العلم عن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب ، وأخذ عنه كثير من العلماء الذين لم يولوا القضاء . وكان الشيخ محمد المذكور مع علمه من دهاة العرب . إلا انه شدد في بعض الأحكام ، وخالف الإمام أحمد بن حنبل وما عليه جمهور الحنابلة في كثير من المسائل . وتوفي وله من العمر اثنتان وتسعون سنة ، ورثاه كثير من أهل نجد وغيرهم ، ورثاه الشيخ حسين بن غنام بقصيدة طويلة . وفي سنة وفاته توفي ابن عمه . الفقيه الكاتب ، الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ سليمان ، جد الشيخ محمد

المذكور . ومن علماء نجد المتقدمين على الشيخ محمد المذكور : العالم الفاضل الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب ، قاضي العبينة ، له من التصانيف : " زاد المستنقع " " شرح المختصر " ، و " شرح الإقناع " ، و " شرح المنتهى " ، و" حاشية الإقناع " ، و" حاشية المنتهى " ، و " كتاب العمدة " . وكل ذلك على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أخذ الفقه والعلم عن العلامة الشيخ منصور السبهوتي ، شارح الإقناع والمنتهى والشيخ أحمد بن محمد بن بسام .

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل النجدي ، المشهور في بلد اشيقر أخذ الفقه عن الشيخ أحمد بن محمد مشرف النجدي ، وأخذ عنه الكثير : كالشيخ أحمد بن محمد بن بسام ، والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان . وكان الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل المذكور معاصر الشيخ سليمان ، جد الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب المذكور .، ومن علماء نجد : العالم الفقيه القاضي الشيخ سليمان بن على بن مشرف ، جد الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب المشهور . وكان الشيخ سليمان المذكور فقيه عصره على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه متبحراً في المذهب ، وإليه انتهت رئاسة العلم في نجد ، كما سبق .

وجميع علماء نجد المعاصرين له يرجعون إليه ، في حل المشكلات من الفقه وغيره .. وله من التصانيف كتابان : " المفاسد " ، و " شرح الإقناع " ، إلا أنه لما وقف على شرح الإقناع للسبهوتي أتلف شرحه . على ما قال ابن بشر النجدي : أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف النجدي وغيره وأخذ عنه جماعة منهم ابناء : الشيخ عبد الوهاب المشهور ، وهو من مشاهير علماء نجد ، والشيخ

إبراهيم وغيرهما ، كأمثال الشيخ أحمد بن محمد القصيري النجدي ، توفي سنة تسع وسبعين وألف .

ومن علماء نجد العالم الفاضل الفقيه الشيخ حسن بن عبد الله المشهور في بلد اشيقر ، كانت له معرفة بجميع فنون العلم ، له تعليقات على كثير من الفنون أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن محمد القصير ، توفي سنة ثلاثة عشر ومائة والف ومنهم العالم الفقيه الشيخ أحمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير ، المشهور في بلد اشيقر ، أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل والشيخ الفاضل سليمان بن علي بن مشرف وأخذ عنه عدة من العلماء، كالعالم الفاضل الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد بن غضيب الناصري النجدي وغيره .

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف (١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م) ظهر سعدون بن محمد بن عزيز الاحسائي على نجد ، وحاصر آل كثير في العارض ، وإظهار المدافع من الاحساء ، نزل في عربا المعرفة ، وحاصر بلد العمارية ، حتى هزلت مواشيهم ثم سار إلى الدرعية ونهب بيوتها ، وقتل أهل الدرعية كثيراً من قومه . وفي هذه السنة ولد عبد العزيز بن محمد بن سعود المشهور ، وفيها وقع الطاعون في العراق ومات فيه مقدار مائة الف . وفي السنة الثانية من الطاعون توفي جدنا العلامة النحرير ، صاحب الإفادات والتآليف في كل فن ، إمام عصره بالإجماع ، سيد المدققين مولانا السيد صبغة الله الحيدري البغدادي . وفي السنة الرابعة توفي العالم العلامة العامل ، وحيد دهره ، وفريد عصره الشيخ عبد الله ابن سالم البصري الشافعي ، وكان إمام الحديث في عصره ، وما سمي علماً إلا

وله القدح المعلى سهامه ، توطن في مكة المكرمة ، وانتهت إليه وفيها رئاسة العلم . وصار ملجأ الوافدين في جميع الفنون ، النقلية والعقلية . وله عدة تصانيف منها: " ضياء الباري شرح البخاري " وقد درس مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، في الروضة عند رأس النبي (ص) ، له آثار ومناقب عجيبة ، لا يسع المقام بيانها . وفي السنة الخامسة مات سعدون بن محمد بن عزيز ، صاحب الاحساء المذكور ، وفيها عمرت منازل بني هلال ، ومنازل آل بني سعيد ، وآل بني سليمان في بلد الرفضة المعروفة ناحية سدير.

وبعد ذلك بمدّة ظهر آل سعود في الدرعية ، واستولوا على جميع بلاد نجد والاحساء والعسير وجبل شمر ، وانقادت لهم القبائل والبلاد ، وحصل من أمرهم ما هو مشهود وغني عن البيان ، وصولتهم على بلاد نجد والاحساء والقطيف وعمان إلى الآن موجودة ، وجميع قبائل تلك النواحي في طاعتهم وملازمتهم للجمعة والجماعات والعبادات ، غير منفكة عنهم ، وأحكام الشرع جارية عندهم ، وقوتهم غالبة ، ومع ذلك فهم ليسوا مصرين على التشديدات الأولى .

خاتمــــة

تشتمل على مباحث شتى

اعلم أن أرض العرب ، وهي من حد الشام والكوفة إلى أقصى اليمن ، وقد نظمها بعضهم وحدها طولاً وعرضاً ، بقوله :

جزيــرة هذه الأعراب حــدت   بحد عمره للحشر باقـــي

فأما الطول عند محققيــــه   فمن عدن إلى ربوا العــراق

وساحل جدة إن سرت عرضاً   إلــى أرض الشآم بالاتفــاق

والأرض التي أسلم أهلها طوعاً ، أو فتح عنوة وقهراً ، وقسم بين المسلمين وأرض البصرة أيضاً بإجماع الصحابة رضي الله عنهم عشريــة ، علــى مــا فــي « الدر المختار » لأن العشر الباقي لما فيه من معنى العبادة ، مع كونه أخف ، لأنه يتعلق بنفس الخارج . وأما جزيرة العرب فأهلها ، وإن لم يكونوا من قبل مسلمين ، فأنه لم ينقل عن النبي (ص) ولا عن أحد من الخلفاء رضي الله عنهم أنه اخذ خراجاً من أراضيهم ، وكما لارق عليهم ، فكذا لا خراج عليهم ، على ما في النهر والفتح . ولا يوظف الخـراج على المسلمين ابتداء على ما في « الدر المنتقى » نقلاً عن القهستاني ، وما فتح عنوة ، وقسم على الكافرين غير أهله فهو خراجي ، على ما في « النتف » . والقيــاس أن تكون البصــرة خراجية عند أبي يوسف رضي

الله عنه ، لانها بقرب ارض الخراجن لكنه ترك القياس لاجماع الصحابة رضي الله عنهم ، على ما في « الدر المنتقى » .

قال أفقه المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقي طاب ثراه : وحاصله أن ما أحياه مسلم يعتبر قربة عند أبي يوسف ، وعند محمد يعتبر الماء والمعتمد الأول.

والبصرة أحياها المسلمون لأنها بنيت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهي في حيز أرض الخراج ، فقياس قول أبي يوسف أن تكون خراجية ، انتهى . وسواد العراق الممتد طولا شمالا وجنوباً من الحديثة على دجلة إلى عبادان ، والممتد عرضاً غرباً وشرقاً من القادسية إلى حلوان فيكون السائر من تكريت ، وهو على النهاية الشمالية للعراق إلى عبادان ، وهي على النهاية الجنوبية له على تقويس الحد الشرقي بمسافة شهر ، وكذا من تكريت إلى عبادان، إذا سار على تقويس الحد الغربي أعني من تكريت إلى الأنبار إلى واسط إلى البصرة إلى عبادان ، اذا سار على تقويس الحد الغربي أعني من تكريت إلى الأنبار إلى واسط إلى البصرة إلى عبادان فهو شهر.

فيكون دور العراق مسافة شهرين ، وما فتح عنوة ، ولم يقسم بين المسلمين ، سواء أقر أهله عليه ، أو نقل إليها كفار آخرين ، او فتح صلحاً فهو خراجي ، لأنه أليق بالكافر، لأنه يشبه الجزية لما فيه معنى العقوبة ، ولأن فيه تغليظاً ، حيث يجب وان لم تزرع الارض بخلاف العشر ، فأنه يتعلق بعين الخارج لا بالارض ، ولا فرق في الأرض الخراجية بين ما إذا سقيت بماء العشر ، فأنها خراجية . كما أنه إذا قسمت بين المسلمين ، فأنها عشرية ، وإن سقيت بماء الخراج . فكل فتح عنوة ، وأقر أهله عليه ، كالعراق والشام ومصر ، أو صولحوا ، ووضع الخراج عليهم فهي خراجية . إلا مكة فأنها وإن فتحت عنوة ، فهي عشرية لأنها من جزيرة (العرب).

واراضي سواد العراق مملوكة لأهلها ، يجوز بيعهم لها وتصرفهم فيها ، ومورث عنهم ، لأن الإمام إذا فتح أرضاً عنوة له أن يقر أهلها عليها ، ويضع عليها الخراج ، فتبقى الأرض مملوكة لأهلها ، وعند الإمام الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم : أن أراضي سواد العراق موقوفة على المسلميــن ، فلا يجوز بيعها عندهم ، ويجب الخراج في أرض الوقف الخراجية ، فأن وظيفة الأرض تبقى بعد الوقف ، كما كانت قبله.

قال في « الدر المختار » نقلا عن الشربنلالية : معزيا للبحر إلا المشتراة من بيت المال ، إذا وقفها مشتريها فلا عشر ولا خراج . وقد توقفت في هذا ثم رأيت الفاضل أفقه المعاصرين ، السيد ابن عابدين الدمشقي طاب ثراه قد أعترضه ، بقوله : قلتُ ولا يخفى ما فيه ، لأنهم قد صرحوا ، فأن فرضية العشر ثابتة بالكتاب والسنُة والإجماع والمعقول . وبأنه زكاة الثمار والزروع ، وبأنه يجب في الأرض غير الخراجية ، وبأنه يجب فيما ليس بعشري ، ولا خراجي ، كالمغاور والجبال ، وبأن سبب وجوبه الأرض النامية بالخارج حقيقة ، وبأنه يجب في أرض الصبي والمجنون والمكاتب ، لأنه مؤونة الأرض ، وبأن الملك غير شرط فيه ، بل الشرط ملك الخارج ، فيجب في الارض الموقوفة لعموم قوله تعالى : « انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » . وقوله تعالى : « وأتوا حقه يوم حصاده » . وقوله (ص) : « ما سقت السماء فيه العشر ، وما سقي بقرب أو دالية ففيه نصف العشر » .

ولأن العشر يجب في الخارج لا في الأرض ، فكان ملك الأرض وعدمه سواء كما في « البدائع ».

ولا شك ، أن هذه الأرض المشتراة وجد فيها سبب الوجود ، وهو الأرض النامية ، وشرطه وهو ملك الخارج ودليله ، وهو ما ذكرنا وقول المتن يجب العشر في

مستقي سماء وسيح الخ . فالقول بعدم الوجوب في خصوص هذه الأرض يحتاج إلى دليل خاص ، ونقل صريح ، ولا يلزم من سقوط الخراج المتعلق بالأرض سقوط العشر المتعلق بالخارج ، على أنه قد ينازع في سقوط الخراج ، حيث كانت من أرض الخراج ، أو سقيت بمائه ، بدليل أن الغازي الذي اختط له الإمام داراً لا شيء عليه فيها ، فإذا جعلها بستاناً وسقاها بماء العشر فعليه العشر ، أو بماء الخراج فعليه الخراج ، مع أن الواقع الآن في كثير من القرى والمزارع الموقوفة ان يؤخذ منها للميري ، النصف والربع أو العشر ، انتهى وهو وجيه . وقد اتفقوا على أراضي الشام ومصر خراجية ، وإنما اختلفت العلماء في أنها فتحت عنوة ، أو صلحاً ، وهذا لا يمنع كونها خراجية ، لأنها تكون خراجية إذا لم يسلم أهلها سواء فتحت عنوة ، ومن على أهلها بها ، أو صلحاً ، ووضع عليهم الخراج والجزية . وذكر في الفتح أن المأخوذ الآن من اراضي مصر إجرة لا خراج ، لأنها ليست مملوكة للزراع لموت المالكين ، فشيئاً بلا وارث صارت لبيت المال . وكذا أرض الشام ، على ما نقله الفاضل السيد ابن عابدين ، عن فضل الله الرومي ، قال في « الدر المنتقى » : فيؤجرها الإمام ، ويأخذ جميع الإجرة لبيت المال ، كدار صارت لبيت المال ، واختار السلطان استغلالها ، وأن اختار بيعها فله ذلك ، اما مطلقاً أو لحاجة.

فثبت أن بيع الأراضي المصرية ، وكذا الشامية صحيح ، أما من مالكها ، أو من السلطان ، فأن كان من مالكها انتقلت بخراجها ، وأن من السلطان فأن لعجز مالكها عن زراعتها . فكذلك ، وأن لموت مالكها فقدمنا أنها صارت لبيت المال ، وأن الخراج سقط عنها ، فإذا باعها الإمام لا يجب على المشتري خراج ، سواء وقفها أو أبقاها.

قلت ، وهذا نوع ثالث ، يعني لا عشرية ولا خراجية ، من الأراضي تسمى

أرض المملكة ، وأراضي الحوز ، وهو ما مات أربابه بلا وارث ، وآل لبيت المال ، أو فتح عنوة ، وأبقى للمسلمين إلى يوم القيامة ، وحكمه على ما في التتارخانية ، أن يجوز وقفه للزارع بأحد طريقين : أما بإقامتهم مقام الملاك في الزراعة ، وأعطاء الخراج ، وأما باجارتها لهم بقدر الخراج ، فيكون المأخوذ في حق الإمام خراجاً، ثم أن كان دراهم فهو خراج موظف ، وأن كان بعض الخراج فخراج مقاسمة . وأما في حق الأكرة فاجرة لا غير ، لا عشر ولا خراج ، فلما دل الدليل على عدم لزوم المؤنتين : العشر والخراج في أرض المملكة ، والحوز كالمأخوذ منها اجرة لا غير ، انتهى ما في « الدر المنتقى » . هذا وأراضي بيت المال المسماة بأراضي المملكة ، وأراضي الحوز إذا كانت في أيدي زراعها لا تنزع من ايديهم مادامو يؤدون ما عليها ولا تورث عنهم اذا ماتوا ، ولا يصح بيعهم لها ، وأن عطلها متصرف ثلاث سنين أو أكثر بحسب تفاوت الأرض تنزع منه ، وتدفع لآخر ، ولا يصح فراغ أحدهم عنها لآخر بلا أذن السلطان أو نائبه على ما نقله السيد ابن عابدين في حاشية « الدر المختار » عن « شرح المنتقى ».

ثم اعلم أن ما ذكره في الفتح أن أراضي مصر ليست مملوكة للزراع ، قد أقره في البحر على ما قاله السيد ابن عابدين الدمشقي . ثم قال ، قلت : لكن عدم ملك الزراع في الاراضي الشامية غير معلوم لنا ، إلا في نحو القرى والمزارع الموقوفة ، أو المعلوم كونها لبيت المال . أما غيرها فتراهم يتوارثونها ويبيعونها جيلاً بعد جيل ، وقد قالوا : إن وضع اليد والتصرف من أقوى ما يستدل به على الملك ، ولذا تصح الشهادة بأنه ملكه. قال الإمام أبو يوسف رحمه اللّه تعالى في كتاب « الخراج » : وأيما قوم من أهل الخراج دخلوا الحرب وبادوا ، فلم يبق منهم أحد ، وبقت أرضهم معطلة ، ولا يعرف أنها في يد أحد ، ولا أن أحداً يدعي فيها دعوى ، وأخذها رجل فحرثها وغرس فيها ، وأدى عنها الخراج والعشر فهي له.

وهذه الموات التي وضعت لك ، وليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف . وفـــي شــرح « السير الكبير » للسرخسي فأن صالحوهم على أراضيهم مثل أرض الشام مدائن وقرى ، فلا ينبغي للمسلمين أن يأخذوا شيئاً من دورهم وأراضيهم ، ولا أن ينزلوا عليهم منازلهم ، لأنهم أهل عقد وصلح.

قال السيد ابن عابدين ، بعد نقل هذه النصوص : فإذا كانت مملوكة لأهلها فمن أين يُقال أنها صارت لبيت المال ، باحتمال أن أهلها كلهم ماتوا ، بلا وارث ، فأن هذا الاحتمال لا ينفي الملك الذي كان ثابتاً ، وقد سمعت التصريح في « المتن تبعاً للهداية » بأن أرض سواد العراق مملوكة لأهلها، يجوز بيعهم لها وتصرفهم فيها ، وكذلك أرض مصر والشام ، كما سمعته . وهذا على مذهبنا ظاهر ، وكذا عند منْ يقول : أنها وقف على المسلمين ، فقد قال الإمام السبكي ، من أئمة الشافعية : إن الواقع في هذه البلاد الشامية والمصرية أنها في أيدي المسلمين ، فلا شك أنها لهم ، أما وقفاً وهو الأظهر من جهة عمر رضي الله عنه ، وأما ملكا . وإن لم يعرف من أنتقل منه إلى بيت المال فأن من بيده شيء لم يعرف من أنتقل منه يبقى في يده ، ولا يكلف ببينة ، ومن وجدنا في يده ، أو في ملكه مكاناً منها ، فيحمل أنه احي اوصل إليه وصولا صحيحاً . انتهى.

قال العلامة المحقق ابن حجر الشافعي المكي في فتاواه الفقهية ، بعد نقله كلام السبكي لهذا : صريح في إنا نحكم ذوي الاملاك والأوقاف ، ببقاء أيديهم على ما هي عليه ، ولا يضرنا كون أصل الأراضي ملكاً لبيت المال ، أو وقفاً على المسلمين لأن كل ارض نظرنا إليها بخصوصها لم يتحقق فيها أنها من ذلك الــوقف ، ولا الملك لاحتمال أنها كانت مواتاً واحييت ، وعلى فرض تحقق أنها من بيت المال . فإن إستمرار اليد عليها ، والتصرف فيها تصرف الملاك في أملاكهم ، أو النظار فيما تحت أيديهم الأزمان المتطاولة ، قرائن ظاهرة أو قطعية على اليد

المفيدة لعدم التعرض لمن هي تحت يده ، وعدم انتزاعها منه.

ثم قال ابن حجر ، بعد كلام طويل : إذا تقرر ذلك ، فقد بان لك واتضح اتضاحاً لا تبقى معه ريبة أن الاراضي التي في أيدي الناس ، بمصر والشام ، المجهول انتقالها إليهم تقر في أيدي أربابها ، ولا يتعرض لهم فيها بشيء أصلاً . لأن الأئمة إذا قالوا في الكنائس المبنية للكفر أنها تبقى ، ولا يتعرض لها عملاً بذلك الضعيف ،أي كونها كانت في برية فأتصل بها عمارة المصر ، فأولى أن يقولوا ببقاء تلك الاراضي بيد من هي تحت أيديهم ، باحتمال أنها كانت مواتاً فأحييت ، أو أنها انتقلت إليهم بوجه صحيح ، إنتهى ما قاله العلامة ابن حجر.

قال السيد ابن عابدين بعد نقله كلام ابن حجر : وقد أطال رحمه اللّه إطالة حسنة ، رداً على من أراد انتزا ع أوقاف مصر ، واقليمها وادخالها في بيت المال فلا يصح وقفها.

قال الشيخ ابن حجر ، وسبقه إلى ذلك الملك الظاهر بيبرس : فأنه أراد مطالبة ذوي العقارات ومستندات تشهد لهم بالملك ، وإلا انتزعها من أيديهم ، متعللا به ذلك الظالم ، فقام عليه شيخ الإسلام والإمام النووي رحمه اللّه تعالى ، وأعلمه أن ذلك غاية الجهل والعناد ، وأنه لا يحل عند أحد من العلماء المسلمين ، بل من في يده شيء ، فهو ملكه لا يحل لأحد الأعتراض عليه ، ولا يكلف إثباته ببينة . ولا زال النووي رحمه اللّه يشفع على السلطان المذكور ، ويعظه إلى أن كف عن ذلك.

فهذا الخبر الذي اتفقت علماء المذاهب على قبول نقله ، والاعتراف بتحقيقه وفضله ، أي النووي ، نقل اجما ع العلماء على عدم المطالبة بمستند عملاً باليد الظاهر فيها ، أنها وضعت بحق . إنتهى ما قاله الشيخ ابن حجر.

قال السيد ابن عابدين : قلتُ فإذا كان مذهب هؤلاء الأعلام أن الأراضي المصرية والشامية أصلها وقف المسلمين ، أو لبيت المال ، ومع ذلك لم يجيزوا

مطالبة أحد يدعي شيئاً أنه ملكه ، بمستند يشهد له بناء على احتمال انتقاله إليه بوجه صحيح ، فكيف يصح على مذهبنا ، أي الحنفية ، بأنها مملوكة لأهلها أقروا عليها بالخراج ، كما قدمناه أن يُقال إنها صارت لبيت المال ، وليست مملوكة للزراع ، لاحتمال موت المالكين لها شيئاً فشيئاً ، بلا وارث ، فأن ذلك يؤدي إلى إبطال أوقافها ، وإبطال المواريث فيها ، ووضع العشر أو الخراج عليها لا ينافي ملكيتها ، كما هو صريح قول المصنف وغيره . ها هنا أن أرض سواد العراق خراجية ، وأنها مملوكة لاهلها ، وإحتمال موت أهلها بلا وارث ، لا يصلح حجة في إبطال اليد المثبتة للملك ، فأنه مجرد إحتمال لم ينشأ عن دليل ، ومثله لا يعارض المحقق الثابت ، فأن الأصل بقاء الملكية ، واليد أقوى دليل عليها ، فلا تزول إلا بحجة ثابتة ، وإلا لزم أن يُقال مثال ذلك في كل مملوك بظاهر اليد ، مع أنه لا يقول به أحد . وقد سمعت نقل الإمام النووي : الإجماع على عدم التعرض ، مع أن مذهبه أن تلك الأراضي في الأصل غير مملوكة لأهلها ، بل هي وقف أو ملك لبيت المال . فعلى مذهبنا بالاولى وإحتمال كون أهلها ماتوا بلا وارث . بعد الإمام النووي أبعد البعد ، وهذا ابن حجر المكي ، بعد النووي بمئات من السنين ، وقد سمعت كلامه والحاصل في الإراضي المصرية والشامية ونحوها ، أن ما علم منها كونه لبيت المال بوجه شرعي فحكمه ما ذكره الشارح ، عن الفتح وما لم يعلم فهو ملك لأربابه ، والمأخوذ منه خراج لا اجرة لأنه خراجي في أصل الوضع ، فأغتنم هذا التحرير ، فأنه صريح الحق الذي يعض عليه ، وأنه لما أطلتُ في ذلك لأني لم أر منْ تعرض لذلك ، بل تبعوا المحقق الكمال في ذلك ، والحق أحق أن يتبع ، ولعلّ مراد الكمال ومن تبعه الأراضي التي علم كونها لبيت المال ، الله تعالى أعلم . إنتهى كلام ابن عابدين.

أقول ما ذكره من التحقيق في هذه المسألة حقيق بالإتباع ، لكن ما ذكره من التوجيه لكلام الكمال بقوله : ولعلّ مراد الكمال الخ ، يأبى عنه الإطلاق الظاهر من

عبارة الكمال ، وهي على ما نقله صاحب « الدر المختار » بقوله : وفي الفتح المأخوذ الآن من أرض مصر اجرة لاخراج ، ألا ترى أنها ليست مملوكة للزراع ، كأنه لموت المالكين شيئاً فشيئاً بلا وارث ، صارت لبيت المال . قال في « الدر المختار » : وعلى هذا ، أي على ما في الفتح ، من أنها صارت لبيت المال ، فلا يصح بيع الإمام ، ولا شراؤه من وكيل بيت المال لشيء منها ، لأنه كوكيل اليتيم ، فلا يجوز إلا لضرورة ، والعياذ بالله تعالى ، زاد في البحر أو رغب في العقار بضعف قيمته ، على قول المتأخرين المفتي به.

وأفتى مفتي دمشق فضل الله الرومي : بأن غالب أراضينا سلطانية لأنقراض ملاكها . فآلت لبيت المال فتكون في يد زراعها ، كالعارية ، إنتهى . وفي النهر عن الواقعات لو أراد السلطان شراؤها لنفسه ، يأمر غيره ببيعها ، ثم يشتريها منه لنفسه انتهى . وإذا لم يعرف الحال في الشراء من بيت المال ، فالأصل الصحة ، وبه عرف صحة وقف المشتراة من بيت المال ، وأن شروطها الواقفين صحيحة ، وأنه لا خراج على أراضيها ، انتهى ما في « الدر المختار » . وما ذكره من أنه يجوز لإمام البيع إلا لضرورة ، أي بأن إحتاج بيت المال ، فقد نازعه صاحب البحر في رسالته بإطلاق ما في الخانية . والخلاصة من قولها : فإذا أراد السلطان أن يأخذها لنفسه ببيعها من غيره ، ثم يشتري من المشتري ، فأنه يدل على جواز البيع للإمام مطلقاً . وبما في الزلفى من أن للإمام ولاية عامة، وله أن يتصرف في مصالح المسلمين والاعتياض عن المشترك العام جائز من الإمام ، ولهذا لو باع شيئاً من بيت المال صح بيعه ، فقوله : نكرة في سياق الشرط يعم العقار وغيره ، لحاجة على ما ذكره أفقه المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقي طاب ثراه . ، ثم كتب على قول صاحب « الدر المختار » : وبه عرف صحة وقف المشتراة من بيت المال ، وأن شروط الواقفين معتبرة الخ.

هذا كله من كلام صاحب النهر ،وأصله صاحب البحر ، وحاصله أن من اشترى أرضاً مما صار لبيت المال فقد ملكها ، وأن لم يعرف حال الشراء حملاً له على الصحة ، ولا خراج عليها ، بناء على ما مر من أنها لما مات ملاكها بلا ورثة عادت لبيت المال ، وسقط خراجها لعدم من يجب عليها ، إذا باعها الإمام لم يجب على المشتري خراجها ، لقبض الإمام ثمنها ، وهو بدل عينها . وتقدم أيضاً أنه لا عشر عليها أيضاً ، وقدمنا ما في ذلك ، وحيث ملكها بالشراء صح وقفه لها ، وتراعى شروط وقفه . قال في « التحفة » سواء كان سلطاناً أو أميراً أو غيرهما . وما ذكره الجلال السيوطي من أنه لا يراعي شروطه أن كان سلطاناً أو أميراً ، وأنه يستحق ربعه من يستحق في بيت المال ، من غير مباشرة للوظائف ، فمحمول على ما إذا وصلت إلى الواقف بإقطاع السلطان إياه من بيت المال ، كما لا يخفى ، إنتهى . وحاصله أن ما ذكره السيوطي لا يخالف ما قلنا لأنه محمول على ما إذا لم يعرف شراء الواقف لها من بيت المال ، بل وصلت إليه بإقطاع السلطان لها ، أي بأن جعل له خراجها مع بقاء عينها لبيت المال ، فلم يصح وقفه لها ، ولا تلزم شروطه بخلاف ما إذا ملكها ، ثم وقفها كما قلنا . قلت : لكن بقي ما إذا لم يعرف شراؤه لها ، ولا عدمه ، والظاهر أنه لا يحكم بصحة وقفها ، لأنه لا يلزم من وقفه لها ، أنه ملكها ، ولهذا قال السيد الحموي في « حاشية الاشياء » قبيل قاعدة : إذا إجتمع الحلال والحرام ، ما نصه : وقد أفتى علامة الوجود المولى أبو السعود ، مفتي السلطنة السليمانية ، بأن أوقاف الملوك والأمراء لا يراعى شرطها ، لأنها من بيت المال، أو ترجع إليه . وإذا كان كذلك يجوز الاحداث ، إذا كان المقرر في الوظيفة أو المرتب من مصارف بيت المال ، انتهى . ولا يخفى أن المولى أبو السعود أدرى بحال أوقاف الملوك، ومثله ما سيذكره الشارح في الوقف من المحيية عن المبسوط ، من أن السلطان يجوز له مخالفة الشروط ، إذا كان غالب جهات الوقف ، قرى ومزارع ، لأن أصلها لبيت المال

انتهى.

يعني إذا كانت لبيت المال ، ولم يعلم ملك الواقف فيكون ذلك إرصاداً ، لا وقفاً حقيقة أي أن ذلك السلطان الذي وقفه أخرجه من بيت المال ، ولذا لما أراد السلطان نظام الملكة برقوق ، في عام نيف وثمانين وسبعمائة ، أن ينقض هذه الأوقاف لكونها أخذت من بيت المال ، وعقد لذلك مجلساً حافلاً ، حضره الشيخ سراج الدين البلقيني ، والبرهان بن جماعة من الشافعية ، وشيخ الحنفية الشيخ اكمل الدين شارح الهداية . فقال البلقيني : ما وقف على العلماء والطلبة لا سبيل إلى نقضه ، لأن لهم في الخمس أكثر من ذلك ، وما وقف على فاطمة وخديجة وعائشة ينقض ، ووافقه على ذلك الحاضرون ، كما ذكره السيوطي في « النقل المستور في جواز قبض معلوم الوظائف بلا حضور » ، ثم رأيت نحوه في « شرح المنتقى » ففي هذا تصريح بأن أوقاف السلاطين من بيت المال ، ارصادات لا أوقاف حقيقة ، وأن ما كان منها على مصارف بيت المال لا ينقض ، بخلاف ما وقفه السلطان على أولاده وعتقائه مثلا . وإنه حيث كانت ارصاداً لا يلزم مراعاة شروطها ، لعدم كونها وقفاً صحيحاً ، فأن شرط صحته ملك الواقف ، والسلطان بدون شرائه من بيت المال لا يملكه. وقد علمه موافقة العلامة الأكمل على ذلك ، وهو موافق لما مر عن المبسوط ، عن المولى أبي السعود ، ولما سيذكره الشارح في الوقف عن النهر من أن وقف الاقطاعات لا يجوز ، إلا إذا كانت أرضاً مواتاً ، أو ملكاً للإمام ، فأقطعها رجلاً ، وهذا خلاف ما في « التحفة المرضية » عن العلامة قاسم من أن وقف السلطان لأراضي بيت المال صحيح ، قلت : ولعلّ مراده أن لازم لا يغير ، إذا كان على مصلحة عامة ، كما نقل من قاضيخان من أن السلطان لو وقف أرضاً من بيت المال على مصلحة عامة للمسلمين جاز.

قال ابن وهبان : لأنه إذا أيده على مصرفه الشرعي فقد منع منْ يصرفه

من أمراء الجــور في غير مصرفه ، إنتهى ، فقد أفاد أن المراد من هذا الوقف تأبيد صرفه على هذه الجهة المعينة ، التي عينها السلطان مما هو مصلحة عامة ، وهـو معنى الارصاد السابق ، فلا ينافي ما تقدم ، والله تعالى أعلم ، إنتـهى ما ذكره ونقله السيد ابن عابدين.

أقول جميع ما نقله في غاية الحسن ، لكن جملة كلام العلامة قاسم ، وما نقله الطرطوسي عن قاضيخان ، على اللزوم والارصاد خلاف ظاهر ، عبارتهما من صحة وقف السلطان لأرض بيت المال وجوازه ، إذا كان على مصلحة عامة ، فأن الظاهر من كلامهما ، أن يكون الوقف وقفاً حقيقة ، كما لا يخفى والذي حمله على الحمل المذكور إنما هو التوفيق بينهما وبين ما تقدم ، من أن أوقاف السلاطين من بيت المال ارصادات لا أوقاف حقيقة ، وهـو محمل حسـن في توجيه كلام الفقهاء ، ووقع الخلاف بينهم ، لو كانت قرينة على صرف الكلام عن ظاهره . نعم، هـو رحمه الله أعلم مني بمراد الفقهاء، وأن كان للذهن بحال في النظر والموات الذي أحياه الذمي خراجي على ما ذكره صاحب « التنوير » وغيره ، ، لأنه أليق به، لكن يتوقف احياؤه على إذن الإمام ، فلو أحياه مسلم أعتبر قربة ، فأن كان ما أحياه أقرب إلى أرض الخراج كان خراجياً ، وإن كان أقرب إلى أرض العشر كان عشرياً على ما في النهر وغيره من المتون والشروح ، لأن ما قارب الشيء يعطى حكمه . قال في البحر : كفناء الدار لصاحبها الإنتفاع به ، وان لم يكن ملكا له ، ولذا لا يجوز احياء ما قرب من العامر ، وكل من الأرض العشرية والخراجية ، إن سقي بماء العشر أخذ منه العشر ، والأرض التي تسقى بماء الخراج أخذ منه الخراج ، على ما ذكره صاحب « التنوير» تبعاً لصاحب « الدرر ».

قال السيد ابن عابدين : وهـو مخالف لما في الهداية والتبيين والكافي وغيرهما ، من أن اعتبار الماء في ما لو جعل المسلم داره بستاناً . قال في

الكافـي : لأن المؤنة في غير المنصوص عليه ، تدور مع الماء ، فان كانت تسقى بماء بئر ، أو عين فهي عشرية ، وان كانت تسقى بأنهار الأعجام فخراجية ، ولو بهذا مرة وبهذا مرة ، فالعشر أحق بالمسلم ، إنتهى . ومقتضاه أن النصوص على أنه عشري كأرض العرب ونحوه ، أو على أنه خراجي كأرض السواد ونحوها ، لا يعتبر فيه الماء ، وعن هذا قال في الفتح بعد كلام والحاصل : أن التي فتحت عنوة أو أقر الكفار عليها لا يوظف عليهم إلا الخراج ، ولو سقيت بماء المطر ، وأن قسمت بين المسلمين لا يوظف إلا العشرات ، سقيت بماء الأنهار، وكل أرض لم تفتح عنوة ، بل أحياها مسلم أن كان يصل إليها ماء الأنهار فخراجية ، أو ماء عين ونحوه فعشرية ، وهذا قول محمد وهو قول أبي حنيفة ، انتهى . فتحصل أن الماء يعتبر فيما لو أحيا مسلم أرضاً ، أو جعل داره بستاناً ، بخلاف المنصوص على أنه عشري أو خراجي . وقدمنا عن « الدر المنتقى » أن المفتى به قول أبي يوسف : أنه يعتبر القرب ، وهو ما مشى عليه المصنف أولاً ، كالكنز وغيره ، وقدمه في متن المنتقى ، فأفاد ترجيحه على قول محمد . وقال الحلبي : وهو المختار كما في الحموي على الكنز عن شرح قرى حصاري ، وعليه المتون ، وإعتبار الماء قول محمد . قال في الشربنلالية : قوله له أي صاحب « التنوير » ، وكل منهما الخ ، فيه مخالفة لقوله قبله : وما أحياه مسلم يعتبر بقربه ، لأنه أعتبر الحيز ثمة ، وهنا أعتبر الماء ، وعلمت أن ذلك قول أبي يوسف ، وهذا قول محمد ، انتهى . ما ذكره السيد ابن عابدين : وماء العشر هو ماء السماء والبئر والعين والبحر ، الذي لا يدخل تحت ولاية أحد ، وماء الخراج ، وهو ماء أنهار حفرتها الأعاجم ، ومذا سيحون وجيحون ودجلة والفرات . خلافات لمحمد ، وحاصله على ما ذكره ابن عابدين ، أن ما كانت عليه يد الكفرة ، ثم حويناه قهراً ، وما سواه عشري .

والخراج نوعان : النوع الأول : خراج مقاسمة ، وهو ما يكون الواجب

بعض الخارج ، كالخص ونحوه وفقاً لا يوضع أي رأساً إلا على الكافر ، كالخراج الموظف ، فإذا فتحت بلدة ، ومنْ على أهلها بأرضها فله أن يضع الخراج عليها مقاسمة ، أو موظفاً ، بخلاف ما إذا قسمها بين الجيش ، فأنه يضع العشر. والنوع الثاني : الخراج الموظف ، ويسمى خراج وظيفة ، وهو ما يكون الواجب شيئاً في الذمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالأرض ، كما وضع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على سواد العراق . ووفاء لكل جريب يصل إليه الماء ، وتصير الأرض صالحة للزراعة ، مما يزرع في تلك الأرض لا يخير بين الحنطة والشعير ، وهو الصحيح كما في « الكافي » ودرهما من أجود النقود ، وزنه أربعة عشر قيراطاً على ما في الجوهرة ، والصاع هو القفيز الهاشمي ، الذي ورد عن عمر رضي الله عنه ، كما ذكره في الهداية ، وهو ثمانية ارطال (أو) أربعة أمنان. وكان صاع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وينسب إلى الحجاج فيقال صاع حجاجي ، لأنه الذي أخرجه بعد ما فُقد ، على ما ذكره الطحطاوي عن الشلبي ، ووضع رضي الله عنه لجريب كالقثاء الرطاب ، والخيار ، والبطيخ ، والباذنجان ، وما جرى مجراه خمسة دراهم.

ولجريب الكرم أو النخيل عشرة دراهم ، والجريب ستون ذراعاً في ستين بذراع كسري ، الذي هو عبارة عن سبع قبضات ، والقبضة أربع أصابع ، وقال بعضهم : المعتبر في كل بلدة عرفهم . أقول وعرف نواحي بغداد ، كالخالص وخريسان ، ونواحي الحلة ونحوها التقدير بالفدان في هذا العصر ، وكذا مصر والشام.

قال في « البحر » : وعلى الأول المعمول ، وفي الفتح أن الثاني يقتضي أن الجريب يختلف قدره في البلدان ، ومقتضاه أن يتحد الواجب مع أختلاف المقادير ، فأنه قد يكون عرف بلد فيه مائة ذراع ، وعرف أخرى فيه خمسون ذراعاً . وخراج المقاسمة على ما ذكره الخير الرملي كالموظف مصرفاً ، وكالعشر

مأخذاً لا فرق فيه بين الرطاب والزرع ، والكرم والنخل المتصل وغيره ، فيقسم الجميع على حسب ما تطيق الأرض من النصف أو الثلث ، أو الربع أو الخمس . وقد تقرر أن خراج المقاسمة كالعشر لتعلقه ، وكذا يتكرر الخارج في السنة ، وانما يفارقه في المصرف لكل شيء يؤخذ منه العشر ، او نصفه يؤخذ منه خراج المقاسمة ، وتجري الاحكام التي قررت في العشر وفاقاً وخلافات . فإذا علمت ما يزرع في بلادنا ، وما يغرس ، فإذا غرس رجل في أرضه زيتوناً أو كرماً أو أشجاراً يقسم الخارج كالزرع ، ولا شيء قبل أن يطعم بخلاف ما إذا غرس رجل في الموظف، ولو أخذها مقاطعة على دراهم معينة بالتراضي ، ينبغي الجواز، وكذا لو وقع على عدد الأشجار لأن التقدير يجب أن يكون بقدر الطاقة من أي شيء كان . ولأن تقدير خراج المقاسمة مفوض لرأي الإمام ، وكل من الأنواع الثلاثة يفعل في بلادنا ، فبعض الإرض تقسم ثمار أشجارها ، ويأخذ مأنون السلطان منها ثلثاً أو ربعاً ونحوه ، وبعضها يقطع عليه دراهم معينة ، وبعضها يعد أشجارها ، ويأخذ (من) كل شجرة قدراً معيناً . وكل ذلك جائز عند الطاقة ولاتراضي على أخذ شيء في مقابلة خراج المقاسمة، لمن يستحقه ، ولا شك أن أراضي بلادنا خراجية ، وخراجها مقاسمة ، كما هو مشاهد وتقديره مفوض إلى رأي الإمام ، انتهى ما ذكره الخير الرملي.

وأما ما سوى ذلك ، مما ليس فيه توظيف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كزعفران ، فيؤخذ على حسب ما تطيقه الأرض ، وغاية الطاقة نصف الخارج.

قال في التنوير والتنصيف عين الإنصاف ، فلا يزاد عليه ، إنتهى . أي فيما لم يوظف ، وكذا لا يزاد على النصف في خراج المقاسمة ، ولا يزاد في الموظف على ما وصفه عمر رضي الله عنه . وإن طاقة الأرض على الصحيح ،

على ما نقله في الدر المختار عن « الكافي » وعطف في « التنوير » على الزعفران الذي ليس فيه توظيف عمر رضي الله تعالى عنه ، قوله : وبستان ، وعرف الشارح العلامة العلائي البستان : بأنه كل أرض يحوطها حائط ، وفيها أشجار متفرقة ، يمكن الزرع تحتها . ثم قال : فلو ملتفة ، أي متصلة ، لا يمكن زراعة أرضها ، فهو كرم ، وحاصل فرقة بين البستان والكرم انما كانت أشجاره متفرقة فهو بستان ، وما كانت أشجاره متصلة فهو كرم.

قال السيد ابن عابدين : وفي عزاه في البحر إلى الظهيرية ، ومثله في كافي النسفي ، ومقتضاه : أن الكرم يفيد أنه غيره ، وفي الأختيار والجريب الذي فيه أشجار مثمرة ، ملتفة لا يمكن زراعتها . قال محمد : يوضع عليه بقدر ما يطيق ، لأنه لم يرد عن عمر رضي الله عنه في البستان تقدير ، فكان مفوضاً إلى أمر الإمام .

وقال أبو يوسف : لا يزاد على الكرم ، لأن البستان بمعنى الكرم ، فالوارد في الكرم وارد فيه دلالة ، وإن كان فيه أشجار متفرقة ، فهي تابعة للأرض ، إنتهى ، ومفاد هذا أيضاً أن الكرم مختص بالعنب ، والبستان غيره ، بقرينة التعليل أولا وثانياً ، وهذا أوفق بما في كتب اللغة ، ومفاده ايضاً ان الخلاف بين محمد وأبي يوسف في البستان إذا كانت أشجاره ملتفة ، وان في « المتن » هو قول محمد ، وعليه جرى في « المنتقى » . وذكر في « البديع » مثل ما في الإختيار . انتهى ما ذكره ابن عابدين.

وينقص وجوباً مما وظف لم تطق الأرض ، وجوازاً إن اطاقت وليس للإمام ، على ما في الكافي ، أن يحول الخراج الموظف إلى خراج القسمة ، وكذا العكس فيما يظهر من التعليل بأن فيه نقض العهد وهو حرام على ما قاله الخير الرملي ، وصرح القهستاني بالعكس ، وقال ابن عابدين : وما يفعله أهل التيمار والزعامات

من مطالبة أهل القرى ، بجميع ما عينه لهم السلطان على القرى ، كالقسم من النصف فهو ظلم محض ، لأن ذلك المعين في الدفاتر السلطانية ، مبني على أنه لا يؤخذ من الزراع سوى ذلك القسم المعين ، والفاضل منه يبقى للزراع . والواقع في زماننا خلافه ، فأن ما يؤخذ ظلماً ، مما يسمى بالذخائر وغيرهما ، بشيء كثير ، وربما يستغرق جميع الخارج من بعض الأراضي ، بل يؤخذ منهم ذلك ، وأن لم تخرج الأرض شيئاً . ولكثرة الظلم كثيراً ما ينزل أصحاب الأراضي عن أرضه لغيره ، بلا شيء ، وعلى هذا لا يجوز مساعدة التيمار على ظلمهم بل يجب ان ينظر الى ما تطيقه كما افتى الخير الرملي ونقل بعضهم عن « شمس الائمة » ، أن من سيرة الأكاسرة إذا أصاب بعض زرع الرعية آفة عوضوا له ما أنفقه في الزراعة ، من بيت مالهم . وقالوا التاجر شريك الخسران ، كما هو شريك في الربح ، فإذا لم يعطه الإمام فلا أقل من أن لا يغرمه الخراج ، ولا خراج مقاسمة وموظفاً ولا عبرة بالأولى ، على أرض غلب عليها الماء ، أو أنقطع عنها ، أو أصاب الزرع آفة سماوية ، كغرق وحرق وشدة برد ، إلا إذا بقي من السنة ما يمكن الزرع فيها .

ثانياً : بخلاف ما إذا كانت الآفة غير سماوية وأمكن الإحتراز عنها ، كأكل قردة وسباع وأنعام وفار ودودة ، أو هلك الخارج بعد الحصاد فأنه لا يسقط الخراج ، ولو هلك قبل الحصاد سقط ، إلا إذا بقى من السنة ما يتمكن فيه من الزراعة صاحبها ، وكان خراجها موظفاً ، وجب عليه الخراج لأنه مقصر ، ويُعد من التعطيل ما لو زرع الاخس مع قدرته على الأعلى ، ويستثنى من التعطيل ما لو جعل أرضه مقبرة ، أو خاناً للغلة أو مسكناً فأنه يسقط عنه الخراج ، وقيل لا يسقط والصحيح هو الأول ، على ما في الاسعاف ، ولو عجز صاحب الأرض عن زراعتها لعدم قوته وأسبابه فللإمام أن يدفعها لغيره مزارعة ، ليأخذ الخراج من نصيب الملك ، ويمسك الباقي للمالك ، وان شاء اجرها وأخذ الخراج من الأجرة ، وانشاء زرعها من بيت المال ، فأن لم يتمكن باعها وأخذ الخراج من ثمنها . قال

في « النهاية » : وهذا لا خلاف فيه ، لأنه من باب صرف الضرر العام بالضرر الخاص ، وعن أبي يوسف يدفع للعاجز كفايته من بيت المال قرضاً ، ليعمل فيه على ما في شرح الزيلعي على الكنز ، ولو عادت قدرة مالكها ردها الإمام عليه ، الا في البيع ، على ما في الذخيرة . ولو، اشترى مسلم من ذي أرض خراج ، أو أسلم صاحبها يجب عليه الخراج ، لما صح أن الصحابة رضي الله عنهم أشتروا أراضي الخراج ، وكانوا يؤدون خراجها ، على ما في « الفتح » ، ولو منعه إنسان من الزراعة ، ولم يقدر على رفعه ، أو ترك زراعة الأرض لعذر أو غيره ، أو رحل إلى قرية آخرى ، وكان خراج الأرض خارج المقاسمة لا يجب على صاحبها شيء، لأنه إذا منع ولم يقدر على الدفع لم يتمكن من الزراعة ، ولأن خراج المقاسمة يتعلق بعين الخارج كالعشر ، فإذا لم يخرج من الأرض فلا شيء عليه بخلاف الخراج الموظف ، فأنه يتعلق بالذمة ، ويجب بمجرد التمكن من الزراعة زرع أم لا ، ولو باع أرضاً خراجية فأن بقى من السنة مقدار ما يتمكن المشتري من الزراعة فعليه الخراج ، وإلا فعلى البائع ، وإختلفوا في إعتبار ما يتمكن المشتري من زراعته ، فقيل الحنطة والشعير وقيل أي زرع كان ، وفي أنه هل يشترط إدراك الربح بكفالة أولا . وفي « واقعات الناطقي» : أن الفتوى على تقديره بثلاثة أشهر ، وهذه الفتوى مبنية على إعتبار زرع الدخن ، لأن ربح الدخن يُدرك في مثل هذه المدة ، وإذا رحل الفلاح من قريته لا يجبر على العود إلى القرية والزراعة . نعم ، يدفع الإمام أراضي تلك القرية إلى غيره مزارعة ، أو إجرة ، أو يبيعها ، ولم يقل أحد من الفقهاء باجبار صاحبها ، ولا يؤخذ العشر من الخارج من أرض الخراج ، فلو كانت الأرض ملكا لأحد ، وكان خراجها موظفاً لا يؤخذ منها عشر الخراج ، وكذا لو كان خراجها مقاسمة من النصف ونحوه ، وكذا لو كانت عشرية لا يؤخذ منها خراج ، لأنهما لا يجتمعان . وعند الامام الشافعي رضي الله عنه يجتمعان ، لأن العشر حق الفقراء ، والخراج حق بيت المال ، ولا يسقط أحدهما بالآخر ، ولا

يتكرر الخراج بتكرار الخارج في سنة واحدة ، لو كان الخارج موظفاً ، فالخراج له شدة من حيث تعلقه بالتمكن من الزراعة ، وخفة بإعتبار عدم تكرره في السنة ، ولو زرعها مراراً ، والعشر له شدة ، وهو تكرره بتكرر خروج الخارج ، وخفة بتعلقه بعين الخارج . وأما خراج المقاسمة فأنه يتكرر كالعشر ، بتكرر خروج الخارج ، لأنه متعلق بالخارج حقيقة مثل العشر ، ولو ترك السلطان أو نائبه الخراج لصاحب الأرض أو وهبه له ، بأن أخذه منه ثم اعطاه إياه جاز ما فعله السلطان عند أبي يوسف . وقال محمد : لا يجوز على ما في البحر.

قال السيد ابن عابدين : ولم يظهر لي وجه قول محمد بأن مراده أنه لا يجوز ، لو كان مصرفاً للخراج ، إنتهى . وحل لصاحب الأرض أن يتصرف فيما وهبه السلطان له من الخراج ، لو كان مصرفاً ، وإلا تصدق به ، وبه يفتي ، وما في الحاوي من ترجيح حله لغير المصرف فهو خلاف المشهور ، على ما في « الدر المختار » أي مخالف لما نقله العامة عن أبي يوسف كما في النهر.

قال في « القنبة » : ويعذر في صرفه إلى نفسه ، إن كان مصرفاً ، كالمفتي والمجاهد والمعلم والمتعلم والذاكر والواعظ عن ألم ، ولا يجوز لغيرهم . وكذا إذا ترك اعمال السلطان الخراج لأحد بدون علمه ، إنتهى . ولو ترك السلطان العشر لأحد فإنه لا يجوز بالإجماع ، ويخرجه بنفسه للفقراء ، على ما نقله في «الدر المختار» عن السراج ، لأن العشر مصرفه مصرف الزكاة نفسه ، بخلاف الخراج فأنه ليس زكاة .

وكذا يوضع على أرض الكافر ، قاله ابن عابدين ، وهو وجيه ، ومقتضى ما في الإشباه من قاعدة تصرف الإمام منوط بالمصلحة ، أنه يجوز ترك العشر لأحد، وهو معزى إلى البزازية ، قال فيها السلطان : إذا ترك العشر لمن هو عليه جاز غنياً كان أو فقيراً ، لكن ، إن كان المتروك له فقيراً فلا ضمان على السلطان ، وأن

كان غنياً ضمن السلطان العشر للفقراء ، من بيت مال الخراج لبيت مال الصدقة ، انتهى.

وفي « الذخيرة » مثلها في البزازية . قال في « الدر المنتقى » : ثم رأيت في « البرجندي » في بيان مصرف الجزية ، وكذا لو جعل العشور للمقاتلة ، جاز لأنه مال حصل بقوتهم ، إنتهى . فليفظ وليكن لله التوفيق ، انتهى.

أي بين القول بالمنع والقول بالجواز بحمل الجواز على المقاتلة ، وحمل المنع على غيرهم . قال ابن عابدين قلتُ : لكن قوله لو جعل العشور للمقاتلة ليس صريحاً في جعل عشور أراضيهم تأمل ، انتهى.

اقول : وإن لم يكن صريحاً في ذلك إلا أنه علم يعمّ عشور أراضيهم وغيرها (فافهم) . ونقل في « الدر المختار » عن « النهر » أنه يعلم من قول الثاني ، أي أبي يوسف القائل بجواز ترك الخراج ، وهبته لمن هو مصرف له ، حكم الإقطاعات من أراضي بيت المال ، إذ حاصلها أن الرقبة لبيت المال ، والخراج له، انتهى.

قال أبو يوسف رحمه الله في كتاب « الخراج » : وللإمام أن يقطع كل موات ، وكل ما ليس فيه ملك لأحد ، ويعمل بما يرى أنه خير للمسلمين واعم نفعاً . وقال أيضاً : وكل أرض ليست لأحد ، وعليها أثر عمارة ، فأقطعها رجلاً فعمرها ، فإن كانت في أرض الخراج أدى عنها الخراج ، وإن كانت عشرية ففيها العشر . وقال في ذكر القطائع : إن عمر رضي الله عنه اصطفى أموال كسرى واهل كسرى ، وكل منْ فر عن أرضه أو قتل في المعركة ، وكل مغيض ماء أو أجمة ، فكان عمر رضي الله عنه يقطع من هذا لمن يقطع.

قال أبو يوسف : وذلك بمنزلة بيت المال ، الذي لم يكن لأحد ، ولا في يد وارث فللإمام العادل أن يجيز منه ، ويعطي منْ كان له عناء في الإسلام ، ويضع

ذلك في موضعه ولا يحابي به ، فكذلك هذه الأرض . فهذا سبيل القطائع عندي في أرض العراق ، وإنما صارت القطائع يؤخذ منه العشر لأنها بمنزلة الصدقة ، وكل من القطعة الولاة المهديون أيضاً من أرض السواد ، وأرض العرب ، والجبال من الاصناف التي ذكرناها ، فلا يحل لمن يأتي بعدهم من الخلفاء أن يرد ذلك ، ولا يخرجه من يد منْ هو في يده وارث ، أو مشتر . ثم قال : والأرض عنده بمنزلة المال ، فللإمام أن يجيز من بيت المال منْ له عناء في الإسلام ، ومنْ يقوى به على العدو ، ويعمل في ذلك بالذي يرى أنه خير للمسلمين وأصلح لأمرهم ، وكذا الأرضون بقطع الإمام منْ أحب من الاصناف ، إنتهى.

قال ابن عابدين بعد نقله كلام أبي يوسف المذكور : فهذا يدل على أن للإمام ان يعطي الأرض من بيت المال ، على وجه التمليك لرقبتهما ، كما يعطى المال حيث رأى المصلحة ، إذ لا فرق بين الأرض والمال في الدفع للمستحق ، فأغتنم هذه الفائدة ، فأني لم أر من صرح بها ، وإنما المشهور في الكتب أن الإقطاع تمليك الخراج ، مع بقاء رقبة الأرض لبيت المال ، إنتهى . وعلى تقدير كون رقبة الأرض لبيت المال لا يصح بيعه ، ولا هبته ، ولا وقفه على ما في « الدر المختار ».

قال ابن عابدين : وهذا ظاهر ، وأما إذا كانت رقبتها للمقطع له ، كما قلنا، فلا شك في صحة بيعه وغيره ، إنتهى . وله اجارته بلا خلاف ، تخريجاً على اجارة المستأجر ، على ما في « الدر المختار ».

قال ابن نجيم في رسالته في الاقطاعات : وصرح الشيخ قاسم في فتوى وقعت له بأن للجندى أن يؤجر ما أقطعه له الإمام ، ولا أثر لجواز اخراج الإمام له

اثناء المــدة ، كما لا أثر لجواز موت المؤجر في اثناء المدة ، ولا لكونه ملك منفعة لا في مقابلة مال ، لاتفاقهم على أن من صولح على خدمة عبد سنة ، كان للمصالح أن يؤجره إلى غير ذلك من النصوص الناطقة بإيجار ما ملكه من المنافع ، لا في مقابلة مال ، فهو نظير المستأجر لأنه ملك منفعة الإقطاع بمقابلة استعداده ، لما أعد له وإذا مات المؤجر أو أخرج الإمام الأرض على المقطع تنفسخ الاجارة ، لانتقال الملك إلى غير المؤجر ، أو انتقل الملك في النظائر التي خرج عليها اجارة الاقطاع ، وهي اجارة المستأجر واجارة العبد ، الذي صولح على خدمته مدة ، واجارة الموقوف عليه الغلة ، وإجارة المأذون ، واجارة أم الولد ، إنتهى . ولو أقطع السلطان أرضاً لرجل ولأولاده من بعده ، على أن من مات منهم انتقل نصيبه إلى أخيه ، ثم مات السلطان ، ومات منْ أقطع له في زمن سلطان آخر ، فهل تصير الأرض لأولاد المقطع له ، عملاً بقول السلطان ولأولاده ، فأنه بمعنى أن من مات عن أولاد فلأولاده من بعده ، فهو تعليق معني.

قال في « الدر المختار » بعد ذكره هذه الحادثة لم أره ، ومقتضى قواعدهم الغاء التعليق بموت المعلق فتدبر إنتهى. يعني انها لا تكون لاولاده والبطلان التعليق بموت السلطان الذي علق ذلك ، وكذا ذكر في الاشباه أنه يبطل التعليق بموت المعلق ، ولو أقطع السلطان أرضاً مواتاً من أراضي بيت المال ، أو من غير بيت المال ، وأذن له باحيائها ، على ما شرطه أبو حنيفة رضي اللّه عنه في صحة الاحياء ، أو ملكها السلطان باحياء ، أو شراء من وكيلي بيت المال ، ثم أقطعها ووهبها له ، جاز وقفه لها ، على ما في « الدر المختار» ، وكذا بيعه ونحوه لأنه ملكها حقيقة ، وارصاد السلطان بعض القرى والمزارع من بيت المال ، على المساجد والمدارس ونحوها ، لمن يستحق من بيت المال ، كالقراء والأئمة والمؤذنين ونحوهم .

ليس بإيقاف ألبتة على ما في « الدر » لعدم ملك السلطان ، بل هو تعيين شيء من بيت المال على بعض مستحقيه ، ولا يجوز لمن بعده أن يغيره ويبدله ، ولو أحيا رجل أرضاً بأذن الإمام فليس للإمام اخراجه عنها ، لأنه تملكها بالاحياء . وأما غير الموات فله أن يخرجه منها متى شاء ، على ما ذكره ابن نجيم . والسياسة تجوز في كل جناية ، والرأي فيها إلى الإمام ، على ما في « الكافي » ، كقتل مبتدع يتوهم منه إنتشار بدعته ، وان لم يحكم بكفره ، كما في « التمهيد » ، وهي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة ، فهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم ، ومن السلاطين والملوك على الخاصة والعامة ايضاً ، لكن في ظواهرهم فقط ، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غيرهم ، وأنها تعريف لمطلق السياسة العامة ، الصادقة على جميع ما شرعه اللّه تعالى لعباده من الاحكام الشرعية ، وتستعمل أخص من ذلك مما فيه زجر وتأديب ، ولو بالقتل ، كما قالوا في اللوطي والسارق والخذق ، إذا تكرر ذلك منهم حل قتلهم سياسة ، على ما في « الدر المنتقى » . ثم قال : ولهذا عرفها بأنها تغليظ جناية ، ، لها حكم شرعي حسماً لمادة الفساد ، وقوله لها حكم شرعي ، معناه أنها داخلة تحت قواعد الشرع ، وإن لم ينص عليها بخصوصها ، فأن مدار الشريعة بعد قواعد الإيمان على حسم مواد الفساد لبقاء العالم . ولذا قال في « البحر » : وظاهر كلامهم أن السياسة هي فعل من الحاكم لمصلحة يراها ، وأن لم يرد بذلك الفعل جزيء ، إنتهى . وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أنه نفى من المدينة نصر بن الحجاج سياسة . ولما نفاه قال له : ما ذنبي يا أمير المؤمنين ؟

فقال : لا ذنب لك وإنما الذنب لي ، حيث لا أطهر دار الهجرة منك. وكان

نفيه لإفتتان النساء به ، وأن لم يكن يصنعه فهو فعل لمصلحة . وفعل السياسة يكون من القاضي أيضاً على ما نص عليه الفقهاء وقالوا على ما ذكره ابن عابدين : والتعبير بالإمام ليس للاحتراز عن القاضي ، بل لكونه هو الأصل ، والقاضي نائب عنه في تنفيذ الأحكام.

قال في « الدر المنتقى » نقلا عن « معين الأحكام : للقضاء تعاطي كثير من هذه الأمور ، حتى ادامة الحبس والاغلاظ على أهل الشر بالقمع لهم ، والتحليف بالطلاق وغيره ، وتحليف الشهود إذا ارتاب منهم ذكره في « التتارخانية » ، وتحليف المتهم لاعتبار حاله ، أو المتهم بسرقة يضربه ويحبسه الوالي والقاضي ، انتهى.

وصرح الزيلعي قبيل الجهاد : إن من السياسة عقوبته إذا غلب على ظنه أنه سارق ، وأن المسروق عنده ، فقد أجازوا قتل النفس بغلبة الظن ، كما إذا دخل عليه رجل شاهراً سيفه ، وغلب على ظنه أنه يقتله ، إنتهى . ولو تشاتم الخصمان بحضور القاضي هل له العفو عنهما ؟ قال في « النهر » : لم أره ، والظاهر لا بخلاف قوله : أخذت الرشوة من خصمي ، وقضيت علي ، فقد صرحوا بانه له أن يعفو ، والفرق بين ، إنتهى.

قال ابن عابدين : وفيه نظر ، لأنهما إذا تشاتما استوفيا حقهما ، لكنهما أخلا بحرمة مجلس القاضي ، فبقى مجرد حقه ، فصار بمنزلة قوله : أخذت الرشوة فله العفو، يدل عليه ما في (الوالجية) لو تشاتما بين يديه ، ولم ينتهيا بالنهي إن حبسهما وعزرهما فهو حسن لئلا يجتري بذلك غيرهما : فيذهب ماء وجه القاضي، وإن عفا عنهما فهو حسن ، لان العفو مندوب إليه في كل أمر .

وأختلفوا في أنه هل للإمام العفو، والظاهر أن تشاتمهما عند القاضي . وقوله أخذت الرشوة اجتمع فيه حق الشرع مع حق العبد ، وهو القاضي ، وترجح فيه حقه فكان حق عبد ، كما يفيده كلام (الوالجية) وإلا يكن له العفو تأمل ، إنتهى.

أقول : فيما ذكره من النظر نظر ، لأن رعاية حق الشرع والحكومة أولى من رعاية حق القاضي نفسه ، فالاخلال بحرمة مجلس القاضي إخلال بمقام الشريعة والحكم ، فليس للقاضي العفو . وما ذكره من ترجيح حق القاضي على حق الشرع فهو من باب ترجيح المرجوح عل الراجح ، كما لا يخفى ، ولعلّ هذا وجه الأمر بالتأمل ، هذا ما ظهر لي فأمعن النظر ، والاستعانة بالكافر جائزة عند الحاجة ، على ما في « الدر المختار » ، ثم قال : وقد استعان عليه الصلاة والسلام باليهود على اليهود ، ورضخ لهم ، إنتهى . يعني اعطاهم قليلا من كثير ، فأن الرضيخة هي الاعطاء ، كذلك والكثير السهم ، فالرضخ لا يبلغ السهم . وذكر في الفتح أن في سند حديثه استعانته (ص) باليهود ضعفاً ، وأن جماعة قالوا : لا يجوز ، لحديث مسلم أنه عليه الصلاة والسلام خرج إلى بدر ، فلحقه رجل مشرك ، فقال : إرجع فلن أستعين بمشرك ، الحديث ، وروي رجلان ، ثم قال في « الفتح » وقال الشافعي : رده عليه الصلاة والسلام المشرك والمشركين كان في غزوة بدر ثم انه عليه الصلاة والسلام استعان في غزوة خيبر لليهود من بني قينقاع وفي غزوة حنين بصفوان بن أمية وهو مشرك فالرد ان كان لأجل أنه كان مخيراً بين الإستعانة وعدمها فلا مخالفة بين الحديثين ، وإن كان لأجل أنه مشرك فقد نسخه ما بعده ، انتهى.

أقول : ومفاد كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وعدم التعرض به

ترجيحه القول بجواز الاستعانة بالكافر عند الحاجة ، كما في « الدر » وغيره على القول بعدم الجواز ، والذي ظهر لي رجحان القول بالجواز لفعله ، وأن الحاجة قد تشتد ويضيق الحال ، وتدعو الضرورة إلى ذلك ، وفي ترك الإستعانة قد يخشى من محذور عظيم ، والعياذ بالله ، ولا سيما في هذه الاعصر. أيد الله تعالى سلطان المسلمين بنصره ، وخذل أعداءه بقهره ، ودفع عن المسلمين كيد المخالفين ، وقهر أعداء الدين ، آمين بجاه النبي الأمين صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا آخر ما حررته في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب بالبصرة اثناء الاشتغال بالنيابة ، وختامه في شهر رمضان المبارك ، سنة ألف ومائتين وست وثمانين من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية.

قوبلت هذه النسخة على النسخ الخطية الموجودة في مكتبة آل باشعيان العامرة ، والمكتبة المستنصرية ، ومكتبة المجمع العلمي العراقي .

فهرست المحتويات

أحوال نجد